وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامـــعـــة ديـــالـــى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التأريخ

أثر الوازع الأقتصادي
في نشأة حكومة مكة قبل الإسلام

رسالة قدّمها الطالب
{غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي}
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية– جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في التأريخ الإسلامي

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
شاكر محمود إسماعيل العُبيدي

شعبان 1433هـ
تموز 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صدق الله العظيم بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾

(قريش :1-4)

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ :-

أثر الوازع الاقتصادي في نشأة حكومة مكّة قبل الإسلام

التي تقدم بها طالب الماجستير (غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي) قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :
المشرف : أ.م.د شاكر محمود إسماعيل
التاريخ : / / 2012

بناءً على التعليمات والتوصيات المتوافرة نرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :
رئيس قسم التاريخ : أ . م . د عبدالخالق خميس علي
التاريخ : / / 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ (أثر الوازع الاقتصادي في نشأة حكومة مكّة قبل الإسلام) المقدمة من قبل الطالب (غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي) تخصص التاريخ الإسلامي قد حصل تقويمها لغوياً من قبلي ، وعليه أرشح هذه الرسالة للمناقشة من الناحية اللغوية بحيث أصبحت بأسلوب علمي سليم خالٍ من الأغلاط والتعبيرات اللغوية غير الصحيحة ولأجله وقعت.

التوقيع :

الاسم : عبد الرسول سلمان ابراهيم الزيدي

الدرجة العلمية : أ . د

التاريخ : / / 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة بـ (أثر الوازع الاقتصادي في نشأة حكومة مكّة قبل الإسلام) المقدمة من قبل الطالب (غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي) تخصص التاريخ الإسلامي قد حصل تقويمها علمياً من قبلي ، وعليه أرشح هذه الرسالة للمناقشة من الناحية العلمية بحيث أصبحت بأسلوب علمي سليم .

التوقيع :

الاسم : عبد القادر عبد الجبار الشيخلي

الدرجة العلمية : أ . د

التاريخ : / / 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد أننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ **(أثر الوازع الأقتصادي في نشأة حكومة مكّة قبل الإسلام)** ، وقد ناقشنا الطالب **(غسّان جبّار عبد الله أحمد العُبيدي)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونقر أنها جديرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، وبتقدير ( ) .

التوقيع :
الاســم : أ . م . د غسّان عبد صالح
التاريخ : / / 2012م
عضواً

التوقيع :
الاســم : أ . م . د عامر عبد الله نجم
التاريخ : / / 2012م
عضواً

التوقيع :
الاســم : أ . م . د شاكر محمود إسماعيل
التاريخ : / /2012م
عضواً ومشرفاً

التوقيع :
الاســم : أ . د خالد موسى عبد
التاريخ : / / 2012م
رئيس اللجنة

صُدّقت الرسالة من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى

التوقيع :
الاسم : الاسم : أ . م . د نصيف جاسم محمد
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/وكالة
/ /2012م

الإهـــــداء

إلى .. من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة الى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد ﷺ

إلى.. الدماء الزكية التي روت أرض العراق ... الى الأرواح الطاهرة التي سكنت تحت تراب الوطن الغالي ... شهداء العراق

إلى.. من كلّله الله بالهيبة والوقار ... الى من علمني العطاء دون انتظار ... الى من أحمل اسمه بكل افتخار ... والدي العزيز ... أطال الله في عمره

إلى .. ملاكي في الحياة ... الى معنى الحب والحنان والتفاني ... الى بسمة الحياة ... الى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ... أمي الحبيبة

إلى .. من بهم أكبر وعليهم أعتمد ... الى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي ... الى من بوجودهم اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ... الى من عرفت بهم الحياة ... أخوتي وأخواتي

إلى .. الذين لم تلدهم أمي ... الى من تميزوا بالوفاء وتحلوا بالاخاء ... الى النبع الصافي الذين معهم سعدت وبرفقتهم سرت على طريق النجاح والخير ... الى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم ... أصدقائي وزملائي

اهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

حمداً لله على نعمائه والشكر على فضله أن أعانني على إكمال رسالتي هذه ، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لكل من أسهم في أغنائي بكلمة قالها أو ملاحظة أبداها ، لاسيما أستاذي الدكتور (شاكر محمود إسماعيل) المشرف على هذه الرسالة الذي ساندني بكل قوة من خلال ملاحظاته العلمية وآرائه السديدة فجزاه الله عني خير الجزاء ، ووفقه لما يحب ويرضاه .

وأقدم شكري وامتناني الى أساتذتي في قسم التأريخ الذين تتلمذت على أيديهم في سنوات الدراسة الأولية في القسم وفي السنة التحضيرية و نهلت من فيض علمهم الزاخر ، والشكر موصول الى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى ممثلة بالدكتور (نصيف جاسم محمد الخفاجي) عميد الكلية المحترم .

ثم لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذتي في لجنة المناقشة لتفضلهم عليَّ وعنائهم بقراءة رسالتي وإبداء الملاحظات والتوجيهات العلمية مما يعزز قيمتها وعلميتها ، كما أتقدم بالشكر والامتنان للمقومين اللغوي و العلمي لما أبدوه من ملاحظات قيمة اسهمت في اخراج الرسالة بهذه الصورة .

وأتقدم بالشكر الى جميع موظفي وموظفات مكتبتي الكلية والجامعة و موظفي مكتبة كلية التربية /ابن رشد ومكتبة الجامعة المستنصرية ، والى الأخ محمد طالب الكرخي الذي أسهم في إخراج هذه الرسالة بهذه الحلة الجميلة في طباعتها .

وشكري الى زملائي وزميلاتي الذين قدموا لي المؤازرة والمشورة في مشواري الدراسي فلكم جميعاً الشكر والامتنان والتقدير .

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
إقرار المشرف	أ
إقرار الخبير اللغوي	ب
إقرار الخبير العلمي	ج
إقرار لجنة المناقشة والتقويم	د
الإهداء	هـ
شكر وتقدير	و
قائمة المحتويات	ز- ط
المقدمة	1-6
الفصل الأول : مكة المكرمة	7-67
المبحث الاول : الجانب اللغوي والتأريخي	7-22
❁ مكة لغةً واصطلاحاً	7-10
❁ أسماء مكة ودلالاتها	10-18
❁ نشأة مدينة مكة	18-22
المبحث الثاني : طبيعة مكة الجغرافية	23-36
❁ جغرافية مكة	23-25
❁ جبال مكة	25-33
❁ مناخ مكة	33-36
المبحث الثالث : طبيعة المجتمع القرشي	37-67
❁ سكان مكة	37-49
❁ طبقات المجتمع القرشي	49-57
❁ ضواحي مكة وقراها	58-61
❁ المدن المجاورة لمكة وقبائلها	61-67

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني : حكومة مكة	122-68
المبحث الاول : حكومة الملأ	81-68
❁ نشأة حكومة الملأ القرشي	72-68
❁ الأساس القبلي لحكومة مكة	76-72
❁ قصي بن كلاب	77-76
❁ وصول قصي لرئاسة مكة	81-77
المبحث الثاني : استقرار قريش في مكة	92-82
❁ قريش في مكة	86-82
❁ عبد مناف بن قصي	87-86
❁ هاشم بن عبد مناف	89-87
❁ عبد المطلب بن هشام	92-90
المبحث الثالث : سياسة قريش الداخلية والخارجية	122-93
❁ السياسة الداخلية	106-93
❁ السياسة الخارجية	122-106
الفصل الثالث : قريش التجار	178-123
المبحث الاول : المكانة الاقتصادية لقريش	137-123
❁ دور قريش الاقتصادي	130-123
❁ إيلاف قريش	137-131
المبحث الثاني : طرق المواصلات وأهميتها في تجارة مكة	163-138
المبحث الثالث : أسواق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام	178-164

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع : المجتمع القرشي	230-179
المبحث الاول : الوظائف في مكة	197-179
❁ الوظائف منذ نشوء الكعبة حتى نهاية حكم خزاعة.	181-179
❁ الوظائف أيام قصي بن كلاب .	183-181
❁ الوظائف بعد قصي .	184-183
❁ تقسيم الوظائف .	197-184
المبحث الثاني : توظيف الدين للحياة الاقتصادية	210-198
❁ الحج وآثاره الاقتصادية .	203-198
❁ الاشهر الحرم وأهميتها الاقتصادية .	205-203
❁ البعد الاقتصادي لحملة أبرهة الحبشي على مكة .	209-205
❁ البعد الاقتصادي لوظيفة النسيء.	210
المبحث الثالث : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية	230-211
❁ الأغنياء والفقراء .	219-211
❁ التكافل الاجتماعي .	221-219
❁ العلوم والمعارف .	226-221
❁ المعاملات .	228-227
❁ صور من عادات وتقاليد اهل مكة .	230-228
الخاتمة	232-231
الملاحق (الخرائط)	238-233
قائمة المصادر	266-239
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	1-2

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأولين والآخرين محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ...

أما بعد :

حظيت مدينة مكة المكرمة بأهمية خاصة من قبل الكتاب المسلمين قديماً وحديثاً ، لما تتمتع به من موقع في نفوس العرب والمسلمين جميعاً بفضل وجود الكعبة المشرفة (بيت الله الحرام) فيها ، مما أضفى عليها أهمية دينية كبيرة كانت الأساس في نشوء هذه المدينة ، وأن الناظر في الأحوال الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية ليجد أن البادية تعتمد على الاقتصاد الرعوي والتجاري ، فالقبائل العربية تستقر في الأماكن التي يتوفر فيها الماء وتصلح لرعي الإبل والأغنام والماعز ، وعندما يشح الماء فأنها تضطر الى الانتقال ، مما يجعلها في حروب مع بعضها للحصول على المورد الأفضل ، كما يوجد في شبة الجزيرة العربية واحات زراعية متناثرة يستقر فيها السكان لكنها عرضة لغزو البدو لها ، ويقوم في المدن نشاط زراعي وتجاري وصناعي ، وقد يغلب عليها نوع واحد من هذه النشاطات .

يغلب على مدينة مكة النشاط التجاري فقط ، وذلك لوجود عدة عوامل منها وقوعها بوادٍ غير ذي زرع كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم ، فضلاً عن أن موقعها قد جعلها تتحكم بطرق التجارة بين اليمن وبلاد الشام ، إذ تمر فيها القوافل المحملة بالتوابل والبخور والعطور ، فهي حلقة الوصل بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية ، ثم أن أهل مكة قد استفادوا من مكانة الكعبة الدينية في نفوس العرب من خلال حماية قوافلها التجارية من أعتداءات القبائل البدوية القاطنة على طول الطرق التجارية ، فعقدت معهم مجموعة من الاتفاقيات أو ما يسمى بـ(الأحلاف) حفاظاً على المصالح الاقتصادية لهذه المدينة ، ثم ارتأى سادة مكة توسيع الحركة التجارية خارج حدود شبه الجزيرة العربية ، وذلك لإضفاء أهمية اقتصادية اكبر لمكة من خلال توسيع علاقاتها مع الدول الإقليمية لاسيما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية وبلاد الحبشة ، فكان إن أخذ هاشم بن عبد مناف العهود أو

ما يطلق عليها (الإيلاف) من الإمبراطور البيزنطي ، ثم تبعه أخوته على مثل ذلك مع الإمبراطورية الساسانية وبلاد الحبشة وكذلك من أقيال وملوك اليمن ، وإن هذا الدور الذي لعبته مكة في التجارة العالمية لم يكن وليد الصدفة ، وإنما قام على أسس وقواعد اقتصادية وضعها قصي بن كلاب وأبناؤه من بعده ، لذلك تناولت الدراسة هذه الحقبة التاريخية لمدينة مكة منذ تولي قصي بن كلاب رئاسة شؤون هذه المدينة والى البعثة النبوية متناولة الجوانب الاقتصادية التي ساعدت على نشوء ما يمكن أن نطلق عليه (حكومة مكة) التي استطاعت أن تجعلها مدينة تتربع على سيادة مدن شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وهو ما يمكن حصره في قرن ونصف أو قرنين من الزمان ، وقد كان من أهم ما انطلقت الدراسة من أجله هو توضيح الدور الاقتصادي والتنظيمات المرتبطة به الذي قامت به مدينة مكة بإطار تأريخي ولاسيما تنظيم الكعبة المشرفة والشعائر المرتبطة بها أي توظيف الدين من أجل الازدهار الاقتصادي .

رغم الأهمية الكبيرة لهذه الحقبة التأريخية إلا أن البحث فيها شاقٍ ومضنٍ ليس لقلة المصادر التأريخية فحسب ، بل أن معظم المصادر التي وقعت أيدينا عليها يعود الى العصور الإسلامية لاسيما العصر العباسي ، وهي عصور بعيدة زمنياً عن الحقبة موضوع الدراسة ، كذلك فأن من كتب عن هذه الحقبة ربما يكون قد خضع لضغوط سياسية أو اجتماعية أو فكرية ، فضلاً عن أن ما موجود من مادة تأريخية في هذه المصادر يكاد يكون فيها تضارب وعدم تطابق لأنها دونت بحقبة متأخرة ، الأمر الذي يضيف إشكالاً جديداً للباحث في المطابقة بين هذه المعلومات والخروج بوجهة نظر لربط الحقائق بعضها ببعض ، وان دراسة العامل الاقتصادي وأثره في نشوء مدينة مكة وحكومتها قبل الإسلام يكاد يكون من الصعوبة بمكان ، إذ أن تأريخ مدينة مكة قد أضيف إليه من القصص والأساطير الكثير ، وعلى الرغم من ذلك فان هذه المصادر قد زودتنا بنصوص تأريخية لهذه الحقبة رغم علاتها وما فيها ، إلا أن الدراسة حاولت قدر المستطاع إكمال وتدارك هذه العلات والنواقص من خلال كتب الأدب ومعاجم اللغة ومعاجم البلدان التي احتوت مادة تاريخية لا بأس بها لهذه الحقبة الزمنية فأكملت بعض المعلومات الناقصة وعالجت الخلل في بعضها الآخر .

وقد قسمت الدراسة على أربعة فصول ، وقسم الفصل الأول على ثلاثة مباحث ، تناولنا فيها مدينة مكة المكرمة من خلال المعنى اللغوي لهذا الاسم ، واهم الأسماء التي تطلق عليها ، ثم تأريخية نشوء هذه المدينة ، وكذلك دراستها من الناحية الجغرافية من حيث موقعها في شبه الجزيرة العربية ومعرفة أهم الجبال المحيطة بها ، ثم التعرج على مناخ مكة وما فيه من درجات حرارة ورياح وعناصر بيئية أخرى ، ثم تناول القسم الأخير من هذا الفصل المجتمع المكي من خلال بيان أهم القبائل التي سكنت مكة على مر العصور وصولاً الى قريش ، ثم تناول دراسة الطبقات التي يتكون منها المجتمع القرشي ، ومن ثم بيان القرى والضواحي القريبة من مكة وأهميتها بالنسبة لهذه المدينة ، ثم التعرج على ذكر المدن الكبيرة والمجاورة لمكة من خلال دراسة مواقع هذه المدن وتأثيراتها على اقتصاد مكة ، وكذلك ذكر أهم القبائل التي استوطنتها ، ومن اجل إتمام الفائدة المرجوة من توضيح المواقع الجغرافية فقد ألحقنا عدد من الخرائط التي توضح مواقع المدن والقبائل والطرق التجارية .

وفي الفصل الثاني الذي قسم على ثلاثة مباحث ، فقد تطرقنا فيه الى الحكومة التي نشأت في مكة منذ أن تولى قصي بن كلاب رئاسة المدينة مع التطرق للأساس القبلي الذي قامت عليه هذه الحكومة ، ثم إسكان قريش وتجميعهم في مكة مع ذكر أهم أركان هذه الحكومة وهم أبناء قصي ، والتطرق الى شيء من حياتهم وأهم ما تميزوا به والأعمال التي قاموا بها ، ثم تحدثنا في القسم الأخير من هذا الفصل في سياسة حكومة مكة الداخلية من خلال عقدها لمجموعة من الأحلاف التي كان لها الأثر الواضح في تنظيم الحياة الاقتصادية في مكة ، وكذلك السياسة الخارجية التي تمثلت بعلاقات قريش وتحالفاتها مع القبائل الأخرى في شبه الجزيرة العربية .

أما في الفصل الثالث الذي تم تقسيمه على ثلاثة مباحث فقد تناولت الدراسة الدور الاقتصادي لقبيلة قريش ، إذ تطرق البحث الى دور قريش الاقتصادي وأثره في التجارة الدولية ، وكذلك أثر المعاهدات التجارية (الإيلاف) في تجارة شبه الجزيرة العربية ، وتطرقت الدراسة الى طرق المواصلات في شبه الجزيرة العربية وما جاورها وأثرها في اقتصاد مدينة مكة ، ثم جاء المبحث الأخير من هذا الفصل ليتناول بالبحث في أسواق شبه الجزيرة العربية الموسمية وأثرها في الاقتصاد المكي .

أما الفصل الرابع والأخير الذي قسم على ثلاثة مباحث فقد تناول المجتمع القرشي من خلال البحث في الوظائف التي نشأت في مكة تأريخياً حسب الحقب الزمنية التي مرت بها المدينة المقدسة وتقسيمها حسب المهام التي انيطت بكل قسم من هذه الوظائف ، وقد تناولنا بالدراسة توظيف الدين للحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام من خلال تتبع الآثار الاقتصادية للحج ، وكذلك الأهمية الاقتصادية التي ارتبطت بوجود الأشهر الحرم ، وكذلك البحث في الدوافع الاقتصادية لحملة أبرهة الحبشي على مكة ، مع بيان البعد الاقتصادي لوظيفة النسيء ، وفي نهاية هذا الفصل تطرقت الدراسة الى جوانب من الحياة الاجتماعية الاقتصادية في مكة كالأغنياء والفقراء ، وكذلك صور من التكافل الاجتماعي في هذا المجتمع وبيان أهم العلوم والمعارف التي اقتبسوها أو تعلموها ، وكذلك التعرف على أهم المعاملات التي استعملوها في أمورهم الاقتصادية مع ذكر مجموعة من عادات وتقاليد أهل مكة التي مثلت جزءاً من تراث هذه المدينة والتي كانت متأتية من حالة الرفاه الاقتصادي الذي كانوا يعيشونه .

لقد اعتمدت الدراسة على عدد كبير من المصادر التي أغنت هذه الدراسة بالمعلومات الوفيرة ومنها :

- المصادر التي اختصت بتأريخ مكة وقريش : وفي مقدمتها كتابا " المحبر والمنمق في أخبار قريش " لمحمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ) ، وكذلك كتاب " أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار " لأبي الوليد الازرقي (ت250هـ) ، وكتاب (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه " لمحمد بن إسحاق الفاكهي (ت272هـ أو 284هـ) ، وكتابا التقي الفاسي المكي (ت832هـ) " شفاء الغرام والزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة " .
- كتب التاريخ العام : التي احتوت مادة تاريخية ساعدت في مهمة البحث ، ولعل من أهمها كتاب إمام أهل الصنعة الإمام الطبري (ت310هـ) " تاريخ الرسل والملوك " ، و" الكامل في التاريخ لأبن الأثير الجزري (ت630هـ) ، و " البداية والنهاية " لأبن كثير الدمشقي (ت774هـ) .
- كتب السير والمغازي : التي ساعدت في فهم أحداث التأريخ وسهلت المهمة على الباحث وكان في مقدمتها " كتاب المغازي " للواقدي (ت207هـ) ، وكتاب "

السيرة النبوية " لأبن هشام المعافري (ت213هـ) ، وشرحها المسمى " الروض الأنف " لأبي القاسم السهيلي (ت581هـ) .

- كتب التراجم : التي احتوت على مادة تأريخية تساعد الباحث في عملية البحث العلمي ، ولعل من أهم هذه الكتب " الطبقات الكبرى " لأبن سعد البصري (ت230هـ) ، وكتاب " الاستيعاب في معرفة الأصحاب " لأبن عبد البر (ت463هـ) ، وكتاب " تاريخ دمشق " لأبن عساكر (ت571هـ) .
- كتب التفسير : والتي من أهمها كتاب " جامع البيان " للإمام الطبري (ت310هـ) ، وكتاب " مفاتيح الغيب " للفخر الرازي (ت606هـ) ، وكتاب " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (ت671هـ) .
- وكتب الأنساب التي لا تقل شأناً عن بقية المصادر ، ولعل من أهمها كتاب " جمهرة النسب " لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت204هـ) ، وكتاب " نسب قريش " لمصعب الزبيري (ت236هـ) ، وكتاب " أنساب الأشراف " للبلاذري (ت279هـ) ، وكتاب " جمهرة انساب العرب " لأبن حزم (ت456هـ) .
- كتب اللغة : التي كان لها أهمية في تفسير المعاني المبهمة للمصطلحات وأصول اشتقاقها ، وفي مقدمتها كتاب " العين " للخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) ، وكتابا " جمهرة اللغة والاشتقاق " لأبن دريد الازدي (ت321هـ) ، وكتاب " الصحاح في اللغة " للجوهري (ت398هـ) ، وكذلك كتابا " المخصص والمحكم " لأبن سيدة (ت458هـ) ، وكتاب " القاموس المحيط " للفيروز آبادي (ت817هـ) .
- كتب الأدب : التي احتوت مادة تاريخية لا بأس بها واستدركت على ما في كتب التاريخ العام من نصوص ملتبسة ومتضاربة ، ولعل في مقدمتها مؤلفات ابي عثمان الجاحظ (ت255هـ) " البيان والتبيين والحيوان والرسائل " ، واعتمدت الدراسة على طبعتين من كتاب الرسائل الأولى : بتحقيق (عبد السلام محمد هارون) ، والثانية : بتحقيق (علي أبو ملحم) ، والسبب في ذلك يعود الى وجود إضافات للمحقق الأخير لا توجد عند الأول ، وقد استفادت منها الدراسة ، ومن كتب الأدب الأخرى كتاب " الامالي في لغة العرب " لأبي علي القالي

(ت356هـ) ، وكتابا " الإمتاع والمؤانسة والبصائر والذخائر " لأبي حيان التوحيدي (ت400هـ) وغيرها من كتب الأدب .

- المصادر الجغرافية : فقد اعتمدتها الدراسة بشكل أساسي في تحديد المدن والمحطات والمواضع ، فضلاً عما تحويه من أمور اقتصادية واجتماعية تساعد الباحث في مهمته ، ومن أهم هذه الكتب كتاب " المسالك والممالك " لابن خرداذبة (ت300هـ) ، وكتاب مسالك الممالك " للاصطخري (ت346هـ) ، وكتاب " صورة الأرض " لأبن حوقل (ت367هـ) ، وكذلك كتاب " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت626هـ) .
- كتب الرحلات : والتي أفادتنا في هذا السياق بما تضمنته مثل " رحلة ابن جبير " لابن جبير (ت614هـ) ، وكتاب " تحفة النظار " لابن بطوطة (ت779هـ).
- المراجع الحديثة : إن الدراسة اعتمدت على جملة من المراجع الحديثة التي شكلت دليلاً للباحث في بحثه عن المعلومات داخل المصادر ، فضلاً عن كونها تحتوي على وجهات نظر تفسر ما موجود في هذه المصادر ، وأهم هذه المراجع كتاب " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام " للدكتور جواد علي ، وكتاب " الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام " للدكتور هاشم يحيى الملاح ، وكذلك كتاب " قبيلة قريش " للدكتور خضير عباس الجميلي ، وجملة من المصادر والمراجع والدوريات مسطرة في قائمة المصادر والمراجع .

وختاماً فإننا لا ندعي الكمال فالكمال لله وحده ، ولكن نسأله تعالى أن يجنبنا الخطأ والزلل ، فأن أخطئنا فنحن نتحمله وحدنا ، وأن أصبنا فبما انعم علينا ، ونسأله أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتنا فهو ولي ذلك والقادر عليه .

الباحث

الفصل الأول

مكـــــة المكرمـــــة

المبحث الأول : الجانب اللغوي والتأريخي

- مكة لغةً واصطلاحاً
- أسماء مكة ودلالاتها
- نشأة مدينة مكة

المبحث الثاني : طبيعة مكة الجغرافية

- جغرافية مكة
- جبال مكة
- مناخ مكة

المبحث الثالث : طبيعة المجتمع القرشي

- سكان مكة
- طبقات المجتمع القرشي
- ضواحي مكة وقراها
- المدن المجاورة لمكة وقبائلها

الفصل الثاني

حكومـــــة مكـــــة

المبحث الأول : حكومة الملأ

- نشأة حكومة الملأ القرشي
- الأساس القبلي لحكومة مكة
- قصي بن كلاب
- وصول قصي لرئاسة مكة

المبحث الثاني : استقرار قريش في مكة

- قريش في مكة
- عبد مناف بن قصي
- هاشم بن عبد مناف
- عبد المطلب بن هشام

المبحث الثالث : سياسة قريش الداخلية والخارجية

- السياسة الداخلية
- السياسة الخارجية

الفصل الثالث

قـــــريش الـــــتجار

المبحث الأول : المكانة الاقتصادية لقريش

- دور قريش الاقتصادي
- إيلاف قريش

المبحث الثاني : طرق المواصلات وأهميتها في تجارة مكة

المبحث الثالث : أسواق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

الفصل الرابع

المجتمـــــع القرشـــــــــي

المبحث الأول : الوظائف في مكة

- الوظائف منذ نشوء الكعبة حتى نهاية حكم خزاعة.
- الوظائف أيام قصي بن كلاب .
- الوظائف بعد قصي .
- تقسيم الوظائف .

المبحث الثاني : توظيف الدين للحياة الاقتصادية

- الحج وآثاره الاقتصادية .
- الاشهر الحرم وأهميتها الاقتصادية .
- البعد الاقتصادي لحملة أبرهة الحبشي على مكة .
- البعد الاقتصادي لوظيفة النسيء.

المبحث الثالث : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية

- الأغنياء والفقراء .
- التكافل الاجتماعي .
- العلوم والمعارف .
- المعاملات .
- صور من عادات وتقاليد اهل مكة .

قائمة

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

الملاحق

الفصل الأول
مكة المكرمة
المبحث الأول
الجانب اللغوي والتأريخي

مكة لغةً و اصطلاحاً :

أولاً : لغةً :ـ

وردت عدة معانٍ لأسم مكة في المعاجم اللغوية ، فقد ورد : (مكة) مكهُ وأمتكه وتمككهُ ومكمكهُ : مصه جميعاً ، والمكُّ : الازدحام[1] ، وسميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تُذهب نخوتهم[2] ، وسميت كذلك لازدحام الناس بها وتدافعهم ، وقيل : لقلة مائها من قولهم : امتك الفصيل[3] ضرع أمه ، إذا مصه مصاً شديداً ، وذلك لأنهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه[4] ، وقيل : إنما سميت مكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكا ، حول الكعبة وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها ، و(المكاء) بتشديد الكاف : طائر يأوي الى الرياض[5] ،

---

(1) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت817هـ/1414م) ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، (بيروت – 1978م) ، ج1 ، ص1231 .

(2) ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ/1229م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، (بيروت – 1960م) ، ج 5 ، ص181 ؛ البعلي ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي (ت709هـ/1309م) ، المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق : محمد بشير الادلبي ، المكتب الإسلامي ، (بيروت – 1981م) ، ص186 .

(3) الفصيل : ولد الابل ، سمي فصيلاً إذا فصل عن أمه في الرضاع ، ينظر : الازدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ/933م) ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1987م) ، ج2 ، ص891 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص181 ؛ البعلي ، المطلع ، ص186 ؛ ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري المصري (ت711هـ/1311م) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ج10، ص490 .

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص182 .

وربما سميت مكة لأنها تمك الذنوب أي تَذهب بها[1] ، أو لأنها تهلك من ظلم فيها وألحد[2] ، قال تعالى : ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3] .

وكانت تلبية عك[4] ومذحج[5] جميعاً :

يامَكة الفاجر مكي مكاً ... ولا تمكي مُذحَجاً وعَكْا

فَنَترُك البيتَ الحرامَ دكاً ... جِئنا إلى رَبكِ لا نَشُكا[6]

ويذكر أن مكة سميت بهذا الاسم لان الناس قد عبدت الآلهة فيها فيأتوها من جميع الأطراف ، فكأنها تجتذب الى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم ، ولما كانت في بطن وادٍ فهي تمك الماء من جبالها وأخاشبها[7] عند نزول المطر وتنجذب إليها السيول[8] ، أو سميت بهذا الاسم لأنها واقعة بين جبلين مرتفعين

---

(1) النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف بن مري الدمشقي الشافعي (ت676هـ/1277م) ، تحرير ألفاظ التنبيه ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم ، (دمشق – 1987م) ، ص133 .

(2) الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن مرتضى الحسيني الحنفي (ت1205هـ/1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المحمدية ، (القاهرة – 1887م) ، ج1 ، ص6787 .

(3) سورة الأنفال الآية : 35 .

(4)عك : قبيلة يقال لها عك بن عدنان أخو معد بن عدنان حالفوا اليمن ونزلوا في الاشعرين ، ينظر : السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت562هـ/1166م) ، الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط2 ، مكتبة ابن تيمية ، (القاهرة – 1980م) ، ج9 ، ص350.

(5) مذحج : كل من ينسب الى مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ وهم ثلاثة بطون : جلد ابن مذحج ومروان بن مذحج وسعد العشيرة بن مذحج ، ينظر : ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عاصم النمري (ت463هـ/1070م) ، الانباه على قبائل الرواة ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – 1985م) ، ص120 .

(6) قُطرب ، ابو علي بن المستنير بن احمد (ت206هـ/821م) ، الازمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : 1985م) ، ص43 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص6787 .

(7) الاخشب : الجبل الغليظ ، ينظر : ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ/839م) ، غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد – 1964م) ، ج1 ، ص108 .

(8) السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت581هـ/ 1185م) ، الروض الأنف ، تحقيق : مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص220 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ/1505م) ، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق – 1985م) ، ص19 .

عليها ، وهي في هبطة بمنزلة المكوك[1] ، وقد ورد ذكر مكة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾[2] .

ثانياً : اصطلاحاً :-

مكة : هي بيت الله الحرام[3] ، وهي على الرغم من شهرتها وامتدادها الى عصور تاريخية متقدمة ، إلا أن البحث لم يجد لها نصاً تأريخياً يذكرها يعود الى العصور القديمة ، سوى ما ذكره الدكتور جواد علي في المفصل ناقلاً ذلك عن العالم اليوناني (بطليموس) ، فقد ذكر في كتابه (جغرافية) اسم مدينة أطلق عليها (مكربة) أو (ماكورابا) (Macoraba) ، وقد ذهب الباحثون الى أن المدينة المذكورة هي (مكة) وبهذا يعد بطليموس أقدم من أشار الى وجود هذه المدينة كونه قد عاش في القرن الثاني الميلادي[4] ، ثم أن شمال شبه الجزيرة العربية قد شهد موجات من هجرة الأقوام العربية الساكنة في بلاد اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية ، وقد سكن قسم من هؤلاء مكة الى جانب الاسماعيليين (ذرية إسماعيل عليه السلام) سكان المدينة ، ولهذا يرجح أحد الباحثين أن اسم مكة أخذ من لغة أهل الجنوب مستنداً في ذلك الى وجود البيت الحرام ، فمكة عنده مأخوذة من (مكرب) ، وهي كلمة يمنية مكونة من (مك ، ورب) ، ومك بمعنى (بيت) ، فتكون مكرب بمعنى (بيت ألآله) ومنها أخذت كلمة مكة[5] .

---

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص182 .

(2) سورة الفتح الآية : 24 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص181 .

(4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، (بغداد – 1993م) ، ج4 ، ص9 .

(5) مهران ، محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – د.ت) ، ص394 .

ويرى بروكلمان أنها مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية ، ومعناها (الهيكل)[1] ، لكن الدكتور جواد علي له رأي أخر في المعنى المراد من هذه الكلمة مفاده : أن لفظة (مكربة) أو (مكرب) هي لفظة عربية أصابها بعض التحريف ليناسب النطق اليوناني (فمكربة) أي (مقربة) من التقريب مستشهداً بأن حكام (سبأ)[2] في العربية الجنوبية كانوا كهاناً أي : رجال دين حكموا الناس باسم آلهتهم ، وقد كان الواحد منهم يلقب نفسه بلقب (مكرب) ، أي : (مقرب) وهو اقرب الناس الى الآلهة فهو مقدس لنطقه باسم الآلهة وفي هذا المعنى جاءت لفظة (مكربة) لأنها مقربة من الآلهة ، فاللفظة ليست علماً لمكة ، وإنما هي نعت لها ، ثم صار هذا النعت علماً على المدينة[3] ، ويبدو للباحث من مقارنة النصين أن الرأي الثاني أقرب الى الصواب من الأول لما أسنده من تشابه بين هذه اللفظة وما هو مستعمل عند حكومة سبأ القديمة بإطلاق لفظ (مكرب) على حكامها .

أسماء مكة ودلالاتها :

لمكة أسماء كثيرة تصل إلى أكثر من ثلاثين اسماً ورد قسم منها في آي القرآن الكريم ، ولعل كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومكانته ، كما هو الحال في أسماء الله تعالى وأسماء النبي ﷺ ومن اسماء مكة الاخرى :

أولاً . بكة :

ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ﴾[4] ، والبك : دق العنق وبك

---

(6) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) ، ص31 .

(1) سبأ : مدينة بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانت مدينة حصينة كثيرة الأهل طيبة الهواء عذبة الماء كثيرة الأشجار كثيرة أنواع الحيوان ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ...﴾(سبأ: من الآية15) ، ينظر : القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ص14 .

(2) المفصل ، ج4 ، ص9 .

(3) سورة آل عمران الاية : 96 .

فلان يبك بكةً ، أي زحم ، وتباك القوم أي زحموا ، وسميت مكة : بكة لان الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف ، بمعنى يدفع بعضهم بعضاً بالازدحام ، وقيل : بل سميت كذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم[1] ، ويرى البعض أن بكة موضع البيت ، ومكة ما حوله ، أو أن بكة اسم القرية ، ومكة منزل بأسفل ذي طوى فيه أبيات[2] ، وقيل : البيت مكة وما والاه بكة[3] ، أو هما اسمان للبلدة والباء والميم يتعاقبان[4] ، وقيل : إنما سميت بكة لأنهم يأتونها من كل جانب حجاجاً[5] ، وروي : " أن بكة هي الكعبة وحول بكة مكة وحول مكة الحرم "[6] ، وسميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء جميعاً في الصلاة [1] .

---

(1) الفراهيدي ، الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الازدي البصري(ت175هـ/791م) ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط2 ، دار ومكتبة الهلال ، (بغداد – 1985م) ، ج2 ، ص285 ؛ الجوهري ، ابو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت393هـ/1002م) ، الصحاح في اللغة ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار العلم الملايين ، (بيروت – 1987م) ، ج1 ، ص390 ؛ الزمخشري ، أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت538هـ/1143م) ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعرفة ، (بيروت – بلا ت) ، ج1 ، ص126؛ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (666هـ/1267م) ، مختار الصحاح ، ط2 ، مكتبة لبنان ناشرون ، (بيروت – 1995م) ، ص73 ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، ص1206 ؛ ابن الضياء ، أبو البقاء محمد بن احمد المكي الحنفي (854هـ/1450م) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ص122 .

(2) البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1996م) ، ج1 ، ص269 ؛ ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ/1209م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، (بيروت – 1979م) ، ج2 ، ص389 ؛ البعلي ، المطلع ، ص187 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص475 ؛ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، (بيروت–1984م)، ص93.

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص402 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص6656 .

(5) ابن ابي خيثمة ، ابو بكر احمد بن زهير بن حرب (ت279هـ/892م) ، التاريخ الكبير ، تحقيق : صلاح فتحي هلل ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، (القاهرة – 2004م) ، مج1 ، ص141 .

(6) المقدسي ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت322هـ/933م) ، البدء والتاريخ ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ج2 ، ص19 ؛ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن

ويبدو أن الرأي الأول القائل : أن اسم بكة يعني ازدحام الناس ، وأن الأقدام يبك بعضها بعضاً هو رأي المفسرين[2] ، والرأي الثاني القائل : أن بكة هي موضع البيت الحرام ، وأن مكة هي المدينة هو رأي المؤرخين[3] .

وفي سبب استعمال كلمة (بكة) بالباء مرة ، ثم (مكة) بالميم في آية أخرى ، يذكر احد الباحثين : " وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج ، فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الازدحام ، لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي : يزحم بعضهم بعضاً ... ، وليس السياق كذلك في آية الفتح ، فجاء بالاسم المشهور لها أعني (مكة) بالميم ، فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه ، وقيل : وردت بالباء في سورة آل عمران مراعاة لتعداد الحرف (ميم) ، إذ لو وردت الكلمة بالميم لأختل الإحصاء في هذه السورة ، إذ أن مجموع مكررات حروف (الم) التي تبدأ بها هذه السورة (5662) مرة وهي تساوي 19 × 298 ، ولو وردت (بكة) بالميم لكان المجموع

عبد الحق (ت739هـ/1338م) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) ، مج1 ، ص214 .

(7) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1023م) ، ج1 ، ص313 .

(1) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : صدقة حميد العطار ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ج28 ، ص18 ؛ القرطبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1272م) ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، ط4 ، عالم الكتب ، (الرياض – 2003م) ، ج4 ، ص138 ؛ ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، ط2 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، (الرياض – 1999م) ، ج2 ، ص78 .

(2) الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت250هـ /864م) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك عبد الله دهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2003م) ، ج1 ، ص188 ؛ القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط2 ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1914م) ، ج4 ، ص249 .

(5663) ، وهذا العدد لا يقبل القسمة على (19) الذي هو القاسم المشترك للحروف المقطعة كما يقال والله أعلم "[1] .

ثانياً . أم القرى :

هي مكة شرفها الله تعالى[2] ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿... الْأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ...﴾[3] ، وقد جاء عند أهل الأخبار أن أول ما خلق الله عز وجل من الأرض مكان الكعبة ، ثم دحا (بسط)[4] الأرض من تحتها ، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا وأم القرى[5] ، أو أنها سميت بذلك لأن أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجاً واعتماراً وجواراً[6] ، أو لأنها أقدم الأرض ، أو أعظم القرى شأناً لأن فيها بيت الله تعالى ، ولما جرت العادة بان الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت أماً لأن الأم متقدمة[7] .

---

(3) السامرائي ، فاضل صالح ، التعبير القرآني ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل – 1989م) ، ص156– 157 .

(1) الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم (ت328هـ/939م) ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1992م) ، ج2 ، ص82 ؛ الجوهري ، الصحاح في اللغة ، ج7 ، ص165 .

(2) سورة الشورى الآية : 7 .

(3) الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ/1368م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ط2 ، المكتبة العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص190 .

(4) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج2 ، ص19 .

(5) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(6) ابن ظهيرة ، جمال الدين بن أبي بكر بن علي القريشي (ت986هـ/1578م) ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة – 1921م) ، ص175 ؛ الصباغ ، محمد بن احمد بن سالم المالكي المكي (ت1321هـ/1903م) ، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2004م) ، ج1 ، ص486 ؛ الغازي ، عبد الله المكي الحنفي (ت1365هـ/1945م) ، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2009م) ، مج1 ، ص202 .

ثالثاً . البلد :

ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾[1] ، **لقد سمى الله تعالى مكة في هذه الآيات المباركة بالبلد ، والبلد لغةً : " كل موضع مستحيز من الأرض عامراً أو غير عامر خالٍ أو مسكون ، والطائفة منه بَلدة ، والجمع** البلاد "[2] ، وقد أقسم الله تعالى بمكة لفضلها ، فأنه جعلها حرماً آمناً ، وهي بلد النبي ﷺ ، وحرم خليله إبراهيم ومنشأ إسماعيل **(عليهما السلام)**[3] .

رابعاً . البلد الأمين :

ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾ ﴿بِسۡمِ﴾[4] ، والبلد الأمين : مكة وأمانتها أن تحفظ من دخلها جاهليةً وإسلاماً من قتل أو سبي ، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه[5] ، أو انه آمن من الأعداء أن يحاربوا أهله أو يغزوهم[6] ، " وقد كانت مكة آمنة قبل مبعث النبي ﷺ لا يغير عليها احد ، وقيل : أنها كانت أمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام من لدن آدم عليه السلام من الخسف والزلزال والطوفان وغيرها من أنواع المهلكات ، وإنما تأكد ذلك بدعائه عليه السلام "[7] ، ودعاؤه ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ٱلۡجِنِّ ٱلۡمُزَّمِّلُ ٱلۡمُدَّثِّرُ ٱلۡقِيَامَةِ ٱلۡإِنسَٰنِ ٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ٱلنَّبَإِ ٱلنَّازِعَٰتِ﴾[8] .

خامساً . البلدة :

---

(7) سورة البلد الآيات : 1-2 .

(8) الفراهيدي ، العين ، ج8 ، ص42 .

(1) الطبري ، تفسير ، ج24 ، ص429 ؛ القرطبي ، تفسير ، ج2 ، ص60 .

(2) سورة التين الآيات : 1-3 .

(3) الاستانبولي ، ابو الفداء اسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت1127هـ/1715م) ، روح البيان ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) ، ج10 ، ص467 ؛ الألوسي ، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ/1854م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) ، ج15 ، ص393 .

(4) الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت1393هـ/1973م) ، أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت – 1995م) ، ج9 ، ص5 .

(5) الطريحي ، فخر الدين بن محمد النجفي (ت1085هـ/1674م) ، مجمع البحرين ومطلع النيرين ، تحقيق : احمد الحسيني ، مكتبة الثقافة العراقية ، (النجف – 1961م) ، ص319 .

(6) سورة البقرة الآية : 126 .

كما جاء في قوله تعالى على لسان النبي ﷺ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾[1] ، قال أهل التفسير : البلدة هي مكة ، الذي حرمها ، جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ، وذلك من نعم الله على أهلها في رفعه العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب[2] .

سادساً . القريـــــة :

وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ﴾[3] ، وقد ذكر المفسرون : " أن معنى القرية الآمنة هو مكة التي سكنها أهل الشرك ، وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضهم بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً ، وأهل مكة لا يغير عليهم احد ولا يحاربون في بلدهم ، ويأتي أهلها معايش واسعة كثيرة من كل مكان وناحية " [4] .

سابعاً . صَلاح :

سميت بذلك لأن فيها صلاح الخلق ، أو لأنها تُعمل فيها الأعمال الصالحة ، فهي محل الصلاح والفلاح[5] ، وقد جاء في قول حرب بن أمية[6] مخاطباً أبا مطر الحضرمي[1] يدعوه الى حلفهُ ونزول مكة :

---

(7) سورة النمل الآية : 91 .

(8) المحلي ، جلال الدين محمد بن احمد (ت864هـ/1459م) والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) ، تفسير الجلالين ، دار الحديث ، (القاهرة – د.ت) ، ص505 ؛ الاستانبولي ، روح البيان ، ج6 ، ص377 .

(1) سورة النحل الآية : 112 .

(2) مجاهد ، أبو الحجاج بن جبير المكي القرشي المخزومي (ت104هـ/722م) ، تفسير مجاهد ، تحقيق : محمد عبد السلام ابـو النيـل ، دار الفكـر الإسـلامي الحديثـة ، (القـاهرة – 1989م) ، ص426 ؛ الطبـري ، تفسـير ، ج17 ، ص310 ؛ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/1058م) ، النكت والعيون ، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج3 ، ص218 .

(3) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(4) هو أبو عمرو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي ، والد أبو سفيان وأحد سادات مكة ، ينظر : (ترجمة ابو سفيان بن حرب) ، البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود

أبــا مَطَرٍ هَلُمَ الى صَـلاحِ ... فَيَكْفيكَ النَدامى مِنْ قُــريش
فَتَأمَن وَسْطَهُم وتَعيشَ فيهم ... أبا مَطَرٍ هُديتَ لِخَيرِ عَيش
وتَنــزلَ بَلــدَةً عُزْت قَديماً ... وتأمن أنْ يَزورَكَ ربُ جَيش

ثامناً . أم رُحم :

سميت مكة بهذا الاسم لأن الرحمة تنزل بها[2] ، والناس يتراحمون فيها ويتوادعون[3] ويتواصلون[4] ويتهادون[5] ، وعند أهل اللغة أن معنى (أم رُحم) : أصل الرحمة[6] .

تاسعاً . القادس والمقدسة والقادسة والقادسية :

" سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام دعا لها بالقدس ، وأن تكون مَحِلة الحاج "[7] ، والقادس : البيت الحرام[8] ، وهو مأخوذ من التقديس أي التطهير يعني أنها تطهر من الذنوب[9] .

(ت279هـ/892هـ) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، (القاهرة – 1959م) ، ج2 ، ص78 .

(5) هو العلاء بن الحضرمي ، واسمه عبد الله بن عباد من حضرموت حليف بني امية ، ولاه النبي ﷺ البحرين ، وتوفى الرسول ﷺ ، فأقره ابو بكر الصديق رضي الله عنه عليها في خلافته كلها ، ثم أقره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوفي في خلافته سنة (14هـ) ، وقيل (21هـ) ، ينظر : ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م) ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل احمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996هـ) ، ج4 ، ص81 .

(1) الشربيني ، محمد بن احمد الخطيب (ت977هـ/1569م) ، السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ص190 .

(2) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص249 ؛ الالوسي ، جمال الدين ابو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود البغدادي (ت1342هـ/1923م) ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجت الاثري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص228 .

(3) السيوطي ، الحجج المبينة ، ص21 .

(4) الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص486 .

(5) الزمخشري ، الفائق ، ص126 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج12 ، ص230 .

(6) القزويني ، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ/1004م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (بيروت – 1979م) ، ج5 ، ص64 ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص248.

(7) ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، ص170 .

(8) البكري ، معجم ما استعجم ، ص500 ؛ ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص158 .

عاشراً . كوثى :

سأل رجل علي بن أبي طالب ﷺ : " اخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم فقال : نحن قوم من كوثى ، فقال البعض : أراد كوثى العراق وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم ﷺ ، وقال آخرون : أراد بقوله كوثى مكة ، لأن محلة بني عبد الدار يقال لها كوثى ، فأراد ﷺ : إنا مكيون من أم القرى "[1] ، وعلى الرغم من أن الرأي الثاني ضعيف عند أكثر المؤرخين وأهل اللغة ، ولكن يبدو لنا أن إطلاق هذا الاسم على مكة من باب إطلاق الجزء على الكل ، وهو مستخدم في لغة العرب ، وعند ابن عساكر أن كوثى : اسم مكة بالعبرانية[2] .

أحد عشر . الرأس :

أطلق هذا الاسم على مكة لأنها مثل رأس الإنسان[3] ، أي مثله في الفضيلة ، فكما أن رأس الإنسان أشرف عضو فيه كذلك مكة أشرف بقاع الأرض[4] .

اثنا عشر . وما بعدها :

الناسة[5] ، والباسة[6] ، والنساسة[7] ، وأم زحم[1] ، والحاطمة[2] ، ثم العرش أو العريش[3] العريش[3] ، والبنية[4] ، وبرة[5] ، والرتاج[6] ، والبلد الحرام ، وسبوحة[7] وغيرها من الأسماء الكثير دلالة على شرف المسمى ومكانته ، وحسبنا في ذلك ما ذكره النووي في

---

(9) الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص1298 .

(1) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م) ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، (بيروت – 1995م) ، ج61 ، ص100 .

(2) النووي ، تهذيب الأسماء واللغات ، تحقيق : شركة العلماء بمساعدة إدارة المطبعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) ، ج4 ، ص156 .

(3) الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص487 .

(4) الناسة : لقلة الماء بها : ينظر : الجوهري ، الصحاح في اللغة ، ج3 ، ص983 .

(5) الباسة : لأنها تبس من ألحد فيها أي تحطمه وتهلكه ، ينظر : الزمخشري ، الفائق ، ج1 ، ص126 .

(6) النساسة : من النَّس وهو اليُبس ، ينظر : ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ/1065م) ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996م) ، ج4 ، ص117 .

قوله : " أعلم إن كثرة الأسماء تدل على عِظَم المسمى "[8] ، وروى أحد مؤرخي مكة : أن الهنود القدماء كانوا يطلقون على مكة (مكشيشا) ، او (موكشيشانا)[9] ، وجمعت جملة من أسماء مكة في سبعة أبيات نظمها القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي صاحب كتاب (تاريخ مكة المشرفة) بقوله :

لِمَكةَ أسْماءٌ ثَلاثونَ قَدْ غَدَتْ ... ومِنْ بَعدِ ذلكَ اثنانِ مِنْها اسمُ بَكةَ
صَلاح وكُوثى والحَرامُ فَقادسٍ ... وحاطِمةُ البَلدُ العَريش بقَريَـــــة
ومُعطشـــة أُمُ القُرى رَحِمُ ناسَة ... ونَسْاسة رأس بفتـحٍ لهَمْـــــزة
مقَـــدَسَةٌ والقادِسيّـــةُ باسَـةٌ ... ورأس رَتاج أمُ كُوثى كَبَـــــرة
سُبْوُحَة عَرش أمُ رَحْمَةٍ عَرْشُنا ... كَذا حُرِمَ البَلَدُ الحَرام كَبَلْـــــدَة
كَذاكَ اسمُها البَلَدُ الأمينِ لأمْنِها ... وبالمَسْجِد الأَسْنى الحَرام تَسَمْتِ
وما كَثُرَتُ الأَسْماءِ إلا لفَضْلِها ... حَباها بِها الرَّحْمنِ مِنْ أجْلِ كَعْبَة[10]

نشأة مدينة مكة :

يجد الناظر في تاريخ العرب قبل الإسلام غموضاً وتناقضاً في روايات الإخباريين ، وذلك شأن أي تأريخ يعتمد الروايات الشفوية واستمد مادته من أقوال الناس ومن ذكرياتهم

---

(7) أم زحم : من ازدحام الناس فيها : ينظر : السيوطي ، الحجج المبينة ، ص22 .
(8) الحاطمة : لأنها تحطم من يستخف بها ، ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج1 ، ص314 .
(9) العرش او العريش : بيوت مكة سميت العرش ، لانها اعمدة تنصب ويظلل عليها بعريش النخل ، ويقال لها : عروش ، و(العريش) جمع عُرش ، ينظر : ابن سلّام ، غريب الحديث ، ج4 ، ص21 .
(10) البنية : الكعبة ، يقال : لا ورب هذه البنية ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج8 ، ص382 .
(11) برة : لبرها للمؤمنين ، وقال بعضهم : لانها بلدة الابرار وهي مبرورة بهم ، ينظر : الصباغ ، تحصيل المرام ، ج1 ، ص488 .
(12) الرتاج : رتاج الكعبة ، بابها ، ينظر : ابن سلّام ، غريب الحديث ، ج4 ، ص325 .
(13) سبوحة : وادٍ بعرفات ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص475 .
(1) النووي ، تذهيب الأسماء واللغات ، ج4 ، ص157 .
(2) الكردي ، محمد طاهر المكي (ت1400هـ/1979م) ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة النهضة الحديثة ، (مكة المكرمة – 2000م) ، ج1 ، ص63 .
(3) الخضراوي ، احمد بن محمد بن احمد بن مسعود المكي الشافعي (ت1327هـ/1909م) ، العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ، مطبعة وادي النيل ، (القاهرة – 1872م) ، ص10 .

عن الماضي البعيد ، ولو كان هناك منبع قديم مكتوب لما حصل هذا التناقض والاختلاف الذي نجده فيما كتب عن مكة شرفها الله ، ورغم أنها مدينة قديمة يصل تأريخ نشوئها الى بداية خلق الأرض ، فقد مر بنا أن أول ما خلق الله من الأرض مكان الكعبة ، ثم بسط الأرض من تحتها ، فهي أم القرى .

وإن هذه المدينة الحصينة بجبالها ظهرت تأريخياً بسُكنى إسماعيل بن إبراهيم وأمه هاجر (عليهم السلام) فيها بصريح قول الله تعالى : ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ...﴾[1] ، وعلى هذا فأن ظهورها كان في منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد تقريباً ، وقد كان نشوؤها مصحوباً بقداسة دينية ببناء بيت الله الحرام ، ومنذ ذلك الحين غدت مكة محط أنظار العرب ومهوى أفئدتهم[2] ، استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء ﴾[3] .

أما الكعبة المشرفة التي هي الأساس في بناء ونشوء مدينة مكة فأن بناءها في هذا الموضع قد مر بمراحل حسب ما روى المؤرخون ، ولعل أول بناء لها على ما ذكره الازرقي في تأريخه روايةً عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم[4] ، هو بناء الملائكة ، اذ قال : " ثم أن الله تبارك وتعالى بعث ملائكته فقال : أبنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره (أي البيت المعمور) ، فأمر الله سبحانه وتعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت ، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور "[5] ، وكان ذلك قبل خلق آدم عليه السلام .

---

(1) سورة إبراهيم الآية : 37 .

(2) سلامة ، عواطف أديب ، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ للنشر ، (الرياض – 1994م) ، ص20 .

(3) سورة إبراهيم الآية : 37 .

(4) هو ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الهاشمي المدني القرشي ، توفى سنة (114هـ) ، ينظر : البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (256هـ/869م) ، التاريخ الكبير ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – د.ت) ، ج1 ، ص183 .

(5) أخبار مكة ، ج1 ، ص70 .

والبناء الثاني : كان بعد هبوط ادم الى الأرض ، فقد ذكر الازرقي ذلك مسنداً إلى عبد الله بن عباس ﷺ أن آدم عليه السلام بعد أن أُهبط سأل الله تعالى فقال : " يا رب ما لي لا اسمع أصوات الملائكة ولا حسُّهم؟ قال : خطيئتك يا آدم ، ولكن أذهب فأبنِ لي بيتاً فطف به واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي "[1] .

أما البناء الثالث : فقد ذكره أبو الوليد الازرقي كذلك بسنده الى وهب بن منبه[2] وفيه : أن البيت كان زمن آدم عليه السلام عبارة عن خيمة من الجنة ، ثم أنها رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام ، فبنى أولاده مكانها بيتاً بالطين والحجارة فلم يزل معموراً حتى زمن نوح عليه السلام ، فنسفه الغرق وأعفا مكانه[3] ، وذكر ان الذي بناه من أبناء آدم عليه السلام هوشيت عليه السلام[4] ، وبقي البيت كذلك الى أن أمر الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام ببناء البيت ، قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾[5] ، وهو البناء الرابع .

واستمرت الكعبة مبنية قائمة في بطن الوادي المبارك ليس حولها جدار ولا دار ، وهي على ما تأسست لم يتغير فيها شيء الى أن قام العماليق بإصلاحها وترميم بنائها[6] وهذا هو البناء الخامس ، وفي عهد جرهم اجتاح مكة سيل عرمرم من سيولها الموسمية

---

(6) المصدر نفسه ، ج1 ، ص72 .

(1) ابو عبد الله وهب بن منبه اليماني ، كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء وسير الملوك ، وهو من الابناء (ابناء الفرس الذين دخلوا اليمن) ، توفي في المحرم سنة عشر ، وقيل : أربع عشرة ، وقيل : ست عشرة ومائة بصنعاء وعمره تسعون سنة ، ينظر : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر الاربلي(ت681هـ/1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1900م) ، ج6 ، ص36 .

(2) أخبار مكة ، ج1 ، ص94 .

(3) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م) ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ص20 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1987م) ، ج2 ، ص47 .

(4) سورة البقرة الاية ، 127 .

(5) الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت272أو284هـ/885أو897م) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله دهيش ، ط2 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1994م) ، ج5 ، ص138 .

المفاجئة أدى الى تهدم بناء الكعبة ، فقامت جرهم بإعادة بنائها من جديد[1] للمرة السادسة في تاريخها .

ثم بعد قدوم قصي بن كلاب الى مكة وأخذه ولاية البيت من خزاعة هدم الكعبة وأعاد بناءها ، وجعل لها سقفاً اتخذه من الخشب وجريد النخل[2] وهو البناء السابع لها ، ثم أن قريشاً أعادت بناء الكعبة وتجديدها قبل مبعث النبي ﷺ[3] وهذا هو البناء الثامن ، وقد رأت قريش أن كعبتهم المقدسة قد طال العهد على بنائها وخشيت عليها من السيول ، لذلك قررت تجديد بناء الكعبة ، ووزعوا الأعمال بينهم ، فجعلوا شق باب الكعبة لبني عبد مناف وبني زهرة ، وما بين الركنين الأسود واليماني لبني مخزوم ومعهم قبائل أخرى من قريش ، وظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ، وجعل شق الحجر لبني عبد الدار ، ولبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب جهة الحطيم ، لكن قريش هابت هدم الكعبة وتخوفوا من ذلك ، فبدأ الوليد بن المغيرة المخزومي فراقبه الناس خشية وقوع الأذى به ، فلما أصبح معافاً غادياً الى عمله أقبل الناس معه على الهدم ، وجعلوا في بنائه شروطاً منها : أن لا يقدموا إلا مالاً طاهراً حلالاً لا يدخله مهر بغي ولا مال ربا ، فقاموا بجمع الأحجار والأخشاب اللازمة ، وكانت من سفينة رجل رومي تحطمت على ساحل البحر ، واتفقوا مع نجار رومي أسمه (باقوم أو باطوم) للعمل في تسقيفها ، وقرروا أن يرفعوا باب الكعبة عن الأرض ، وألا يرقى إليها إلا بدرج لحمايتها من السيل وليتحكموا فيمن يدخلها من الناس ، ولما وصلوا الى موضع الحجر الأسود دب الخلاف بينهم ، وأراد كل حي منهم أن يكون له شرف وضع الحجر في مكانه بيده حتى احتكموا الى أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فكان النبي ﷺ فقالوا : هذا الأمين هو خير حكم بيننا ، فبسط ثوباً على الأرض ووضع الحجر عليه ، وطلب من سادة قريش ان يأخذوا جميعاً بأطراف الرداء حتى أوصلوه الى موضعه ، ثم حمله بيده ورفعه في مكانه وبنى عليه[4] .

---

(6) المصدر نفسه ، ج5 ، ص139-140 .

(1) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص173-174 .

(2) ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة ، ص95 .

(3) الازرقي ، اخبار مكة ، ج1 ، ص159-164 ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج1 ، ص225-230 .

وقد جمع عبد اللطيف بن أبي كثير مراحل بناء الكعبة في أبيات نذكرها :

بَنى الكَعْبَةُ الغَرّاءَ عَشْرٌ ذَكَرْتُهُم ... وَرَتَبْتُهُم حسب الذي أخْبَر الثِقة

مَـــــلائِكةُ الرَّحْمنِ ، آدمُ وأبِنُـهُ ... كَذاكَ خَليلُ اللهِ ثُـــمَ العَمالِقـة

وجُــرْهُمٌ يَتْلوهُمُ قُصَي قُرَيشِهم ... كَذا ابْنُ الزُبَيرِ ثُمَ حَجّاجُ لاحِقه[1]

بناءً على ما تقدم يمكن القول أنَّ مدينة مكة هي مدينة قديمة ، بل هي أقدم مدن الأرض ، وقد حباها الله تعالى بمكانة وأهمية ، فجعل فيها بيته وجعلها مقصد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومحط أفئدة الناس أجمعين ، وهي بلدة النبي ﷺ وأهل بيته ، وعصمها وأهلها من فتن آخر الزمان ، واصبحت مهيئة لنشوء كيان سياسي واقتصادي متكامل فيها لاقترانه بقداسة دينية حظيت بها مدينة مكة المكرمة قبل الاسلام .

(1) العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي الشافعي (ت1111هـ/1699م) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج1 ، ص67 .

المبحث الثاني
طبيعة مكة الجغرافية

جغرافية مكة :

يعود الفضل في ازدهار مكة وديمومتها قبل الإسلام الى ما حباها الله تعالى به من موقع جغرافي مهم منح أهلها السيادة على المنطقة ، فضلاً عما تشكله الكعبة المشرفة من مكانة دينية في نفوس العرب جميعاً حتى قبل الإسلام لتلك الأسباب وغيرها ، أصبحت مكة محطة تتجمع بها القوافل القادمة من بلاد العربية الجنوبية باتجاه بلاد الشام أو القادمة من بلاد الشام ذاهبة الى بلاد العربية الجنوبية ، هذه القوافل كان لابد لها أن تجد محطات تستريح بها من عناء السفر ، فكانت أهم هذه المحطات مكة ، لا بل هي محطة وسوق لبيع بضائع هذه القوافل ، ومن ثم تنطلق منها قوافل أخرى محملة ببضائع جديدة .

تقع مكة في وادٍ غير ذي زرع كما أخبر الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء ﴾[1] ، تشرف عليها جبال جُرد تزيد في قسوة مناخها[2] ، ليس بها ماء غير ماء زمزم ، وهي بئر محفورة وآبار أخرى مَجَّة حفرها أصحاب البيوت ، أما المياه الجارية والعيون الغزيرة فليس لهما وجود هناك[3] .

---

(1) سورة ابراهيم الاية : 37 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص5 .

(3) ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن أيوب (ت732هـ/1331م) ، تقويم البلدان ، تحقيق : رينوه وماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس – 1840م) ، ص87 .

والوادي على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب[1] تحيط بالوادي إحاطة كاملة ، أما موقعها من الأقاليم (الأقاليم السبع التي حددها أهل الجغرافية في تقسيمهم للعالم) ، فهي في الإقليم الثاني ، وهي مصر هذا الإقليم[2] ، وقد أغنت هذه الجبال على مر الزمن عن بناء سور لحماية المدينة ، فمن الممكن للقافلة التي تنزل في هذه البقعة أن تتحصن في شعابها[3] ، ويظهر من سكوت أهل الإخبار عن الإشارة الى وجود أُطم أو حصون وبروج في مكة للدفاع عنها ، إن هذه المدينة الآمنة لم تكن ذات حصون ولا سور يقيها من احتمال غزو الأعراب ، أو أي عدو لها ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن مكة لم تكن قبل أيام (قصي) في هذا الوادي الذي يتمركزه (البيت) ، بل كانت على المرتفعات المشرفة عليه ، أما الوادي فكان حرماً آمناً يغطيه الشجر الذي أنبتته السيول ورعته عناية رب البيت ، ولم يكن ذا دور ولا سكن ثابت متصل بالأرض ، بل كان سكن من يأوي إليه الخيام ، وأما أهل المرتفعات فكانوا إذا داهمهم عدواً وجاءهم غزو اعتصموا برؤوس الجبال والمرتفعات المشرفة على الدروب ، وقاوموا العدو والغزو منها ، وبذلك يصير من الصعب على من يطمع فيهم الوصول إليهم ويضطر عندئذ الى التراجع عنهم فحماهم الله بهذه الرؤوس الجبلية التي أوجدها على مشارف الأودية والطرق المؤدية الى الحرم[4] ، وفضلاً عن ذلك يمكن القول : أن طبيعة أهل مكة باعتبارهم من القبائل التي تحب الصحراء والأرض المفتوحة أحد الأسباب التي جعلت مكة تبقى دون أسوار ، وهذه صفة للعديد من المدن الصحراوية .

وتقع مكة عند تقاطع درجتي العرض 21-25[5] شمالاً ، والطول 39-49[5] شرقاً[5] ، ويرتفع الوادي الذي تقع فيه مكة ويسمى (وادي إبراهيم) عن سطح البحر بما يقارب

---

(4) الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1937م) ، ص15 ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت350هـ/961م) ، صورة الأرض ، ط2 ، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر ، (بيروت – 1992م) ، ص35 .

(1) المقدسي البشاري ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر (ت414هـ/1023م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1903م) ، ص71 .

(2) الشريف ، احمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – د.ت) ، ص28 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص8 .

(4) الشبكة الدولية للمعلومات ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة / مكة ، الأحد 2012/1/8م .

(909) قدماً أي (277)متراً على بعد (75)كم من ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم) وتقع على الشرق من ميناء جدة ، والى الجنوب من المدينة المنورة (يثرب)[1] .

ولمعرفة جغرافية مكة بشكل أكثر دقة نورد النص الآتي : " وطول مكة من المعلاة[2] الى المسفلة[3] نحو ميلين ، وهو من حد الجنوب الى الشمال ، ومن أسفل اجياد الى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا وأبنيتها حجارة ، والمسجد في نحو الوسط منها ، والكعبة في وسط المسجد ، وباب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة وهو مصراع واحد ، وارض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب ، والباب بجانب قبة زمزم ، والمقام بقرب زمزم على خط محاذ للباب ، وبين يدي الكعبة مما يلي المغرب حائط مبني مدور وهو من البيت ، إلا انه لم يدخل فيه وهو الحجر والطواف يحيط به ، وبالبيت ... وسقاية الحاج التي تعرف بسقاية العباس على ظهر زمزم ، وزمزم فيما بينها وبين البيت ... "[4] .

جبال مكة :

تحيط الجبال الوادي الطويل الذي تقع فيه مكة من معظم الجهات كما ذكرنا ، وتخفيه حتى أن أبنيتها لا ترى للقادم ، إلا إذا اقترب منها وأطل على الوادي ، وقد سهلت هذه الجبال على أهلها مهمة الدفاع عنها ، غير أن في هذه الجبال وديااناً وشعاباً تجري فيها السيول بعد الأمطار وكثيراً ما تهدد أبنية مكة ، وقد غرَّقت الكعبة وهدمتها

---

(5) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص16 .

(1) المعلاة : هي الثنية عند المقبرة ، وهي أعلى مكة عند ذي طوى قرب شعب الشافعيين وابن الزبير عند جبل قعيقعان ، دخل النبي ﷺ منها الى مكة يوم الفتح ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج39 ، ص384 .

(2) المسفلة : هي منطقة جنوب المسجد الحرام ، وفيها مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب والخليفة ابو بكر الصديق ﷺ وحدها من الصفا الى اجيادين فما أسفل ، ومن زقاق البقر منحدراً الى دار عمرو بن العاص ودار ابن عبد الرزاق الجمحي ودار زبيدة ، فذلك كله من المسفلة ، ينظر : الفاسي ، تقي الدين محمد بن احمد الحسني المكي (ت832هـ/1428م) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) ، ج1 ، ص34 .

(3) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص15–16 ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص35–36 ؛ المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم ، ص71–72 .

عدة مرات ، كما أن هذه الشعاب كانت ملجأ لمن يكره أهل مكة أو يكرهونه[1] ، وأهم جبال مكة :

1 . جبل أبي قبيس :

يقع شرقي مكة[2] ، وهو مستدير كالقبة ، لو رمي سهم من أسفله لبلغ قمته ، ويرى الناظر من داخل المسجد الحرام الشمس وهي تشرق من فوقه[3] ، " ولونه أدكن الى البياض قليلاً ، وإنما قيل له : أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه ، أو أنه أسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس عُرف به لأنه أول من بنى فيه ، وقيل : أنه عرف برجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه فنذرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها فحلف ليقتلن قبيساً فهرب منه في الجبل المعروف به وأنقطع خبره ، فأما مات وأما تردى ، وكان يسمى في الجاهلية الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه ، وفي أصله الصفا ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد ، ويصعد إليه أيضاً من شعب أجياد الصغير ، وأبو قبيس أحد الاخشبين ، وهو أقرب الجبال الى المسجد الحرام ، وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة "[4] ، وقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال : " أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس "[5] .

---

(4) العلي ، صالح احمد ، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، (بيروت – 2000م) ، ص130 .

(1) القزويني ، آثار البلاد ، ص118 .

(2) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت292هـ/904م) ، البلدان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2001م) ، ص153 ؛ ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت481هـ/1088م) ، سفرنامة ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط3 ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت – 1983م) ، ص121 .

(3) البكري ، المسالك والممالك ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 1992م) ، ج1 ، ص401 ؛ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى ، (ت749هـ/1348م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : عبد الله بن يحيى السريجي ، المجمع الثقافي ، (أبو ظبي– 2003م) ، ج1 ، ص91–92 .

(4) ابو عروبة ، الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني (ت318هـ/930م) ، الأوائل ، تحقيق : مشعل بن باني الجبرين المطيري ، دار ابن حزم ، (بيروت – 2003م) ، ص40 .

2 . جبل قعيقعان :

هو الاخشب الثاني بعد أبي قبيس ويقابله من ناحية الشمال[1] ، سمي قعيقعان لقعقعة السلاح عليه[2] ، وهو جبل أخضر يقابل الكعبة ما بين الركن العراقي والميزاب[3][4] ، ويذكر أن حجارة البيت أخذت منه[5] ، ومن قعيقعان الى الكعبة أثنا عشر ميلاً[6] ، ويبلغ ارتفاعه (1401) قدماً أي (427) متراً[7] .

3 . جبل الخندمة :

هو الجبل المستعلي على أبي قبيس من ناحية المشرق ، وهو جبل أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة[8] ، وعنده تجمع صفوان بن أمية[9] وعكرمة بن أبي جهل[10] وسهيل بن عمرو[1] وغيرهم ليقاتلوا المسلمين عام الفتح سنة (8هـ)[2] ، وفيه

---

(1) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 .

(2) الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص156 .

(3) الميزاب : مجرى او قناة من معدن او حجر بارز عن سمت واجهة البناء من الاعلى ، يثبت احد طرفيه عموديا على الجدار ويميل الطرف الآخر قليلا الى الاسفل حتى ينحدر منه ماء المطر الذي يتجمع على السطح . ينظر : رزق ، عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي (القاهرة – 2000) ص306.

(4) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 .

(5) الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت611هـ/1214م) ، الإشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 2002م) ، ص77 .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص379 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص17 .

(8) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص93 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص223 .

(9) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يكنى أبا وهب ، أسلم بعد الفتح ، وتوفي بمكة سنة (42هـ) ، ينظر : خليفة بن خياط ، أبو عمرو بن خليفة العصفري البصري (ت240هـ/854م) ، طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت – 1993م) ، ص59 .

(10) هو عكرمة بن أبي جهل وأسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، أسلم بعد فتح مكة (8هـ) ، وحسن أسلامه ، واستشهد بالشام يوم اجنادين سنة (13هـ) ، ينظر : ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت230هـ/844م) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1990م) ، ج7 ، 284 .

تحصن أهل مكة عندما أحاط بهم القرامطة[3] وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا جميع ما كان في الكعبة الى أن رده الله تعالى الى موضعه ، تحته شعب ينسب الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4] .

4 . جبل أجياد :

هو الجبل الأخضر العالي بغربي المسجد الحرام ، يقابل من مكة الركن اليماني يخرج إليه من باب إبراهيم عليه السلام ، ويقابل قعيقعان من ناحية الغرب[5] ، ويبلغ ارتفاعه (1332) قدماً أي (406) متراً تقريباً[6] ، وأجياد جمع جواد من الخيل[7] .

5 . عرفات (جبل الرحمة) :

ورد اسمه في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ... ﴾ ... ﴾[8] ، وهو جبل مشرف على آخر مكة ، وسمي بهذا الاسم لأن جبريل عليه السلام عرف

---

(11) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن عامر بن لؤي القرشي ابو زيد ، أسلم بالجعرانة بعد حنين ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن أسلامه خرج غازياً في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الشام ومات بها في طاعون عمواس سنة (18هـ) ، ينظر : ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي(ت354هـ/965م) ، الثقات ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – 1973م) ، ج3 ، ص171 .

(12) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص392 .

(1) القرامطة : نسبة الى حمدان قرمط أحد دعاة الباطنية ومن بدعهم القول : بأبطال الفرائض من صلاة وحج وغير ذلك وإباحة المحرمات ، وكان ظهورهم سنة (278هـ) ، ودخلوا مكة سنة (317هـ) في خلافة المقتدر فقتلوا الحجيج ورموهم في بئر زمزم وقلعوا باب الكعبة وأخذوا كسوتها والحجر الأسود فبقي عندهم سنين ، وكانت مدة خروجهم ستاً وثمانين سنة ، ينظر : عبد القاهر البغدادي ، أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي(ت429هـ/1037م) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ط2 ، دار الأفاق الجديدة ، (بيروت – 1977م) ، ص272.

(2) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص92 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص223 .

(3) الحميري ، الروض المعطار ، ص12 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص18 .

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص104 .

(6) سورة البقرة الاية : 198 .

إبراهيم عليه السلام المناسك ، فلما وقفه بعرفة قال له : عرفت؟ قال : نعم ، فسميت عرفة[1] ، وقيل : أنه سمي عرفات لأنه كان موقف النبي ﷺ يوم عرفة[2] .

6 . الصفا والمروة :

وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد ، أما الصفا : فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي ، ومن وقف على الصفا كان بجانب الحجر الأسود ، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة[3] ، والمروة : جبل مائل الى الحمرة ، وهي في جانب مكة الذي يلي قعيقعان[4] ، وقد جاء في التنزيل : ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ ﴾[5] .

7 . جبل حراء :

يقع في شمال شرق مكة ، وهو أول حد للأبطح (الوادي) على بعد ثلاثة أميال من مكة ، ويبلغ ارتفاعه (2080) قدماً أي (634) متر تقريباً[6]، وفي أعلاه الغار المشهور (غار حراء) الذي أمه المتحنثون النساك الزاهدون عن عبادة الأوثان للتأمل والتعبد[7] ، وقد كان الرسول ﷺ يتعبد فيه حتى جاءه الوحي ، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ... "[8] ، واعتاد كبار قريش اللجوء الى حراء لدعوة آلهتهم عند

---

(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص104 .

(8) ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت614هـ/1217م) ، رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت – د.ت) ، ص175 .

(1) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص411 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص119 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص116 .

(3) سورة البقرة الاية : 158 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص19 .

(5) ابن جبير ، رحلة ، ج2 ، ص233 .

(6) البخاري ، الجامع الصحيح ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار ابن كثير ، (بيروت – 1987م) ، ج1 ، ص4 .

حلول المحن والمصائب ، وسمي جبل النور بعد أن شع فيه نور الوحي وهدايته بالحق المبين ، الإسلام ديننا القويم[1] .

8 . جبل ثور :

هو من جبال مكة على مقدار فرسخ[2] منها في الطريق الى اليمن ، وفيه الغار الذي أوى إليه رسول الله ﷺ حين خروجه مهاجراً ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه[3] ، ويبلغ ارتفاعه (2490) قدماً أي (759) متر تقريباً[4] .

9 . جبل ثبير :

وهو بمكة قرب منى[5] ، وهو جبل مبارك يقصده الزوار لأنه أهبط عليه الكبش الذي فدي به إسماعيل عليه السلام[6] ، وهو أعلى جبال مكة وأعظمها يكون ارتفاعه ميل ونصف تقريباً[7] ، ولونه أسود كثير الحجارة ، قيل : أنه عرف برجل من هذيل مات ودفن فيه ، فعرف به الجبل[8] .

---

(7) جواد علي ، المفصل ، ج6 ، ص404 .

(1) الفرسخ : بفتح ثم سكون وجمعه فراسخ ، مقياس من مقاييس المسافة مقداره ثلاثة أميال ، والتي تساوي اثنا عشر ألف ذراع أي (5544) متراً ويساوي (6) كيلو متر، ينظر : قلعجي ، محمد رواس وحامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ، ط2 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1988م) ، ص343 .

(2) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط – 1996م) ، ج1 ، ص384 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص19 .

(4) منى : بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار ، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص198 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص293 .

(5) ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر القرشي المعري الحلبي (ت852هـ/1448م) ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، (القاهرة – 2008م) ، ص277 .

(6) البكري ، المسالك والممالك ، ج1 ، ص403 .

(7) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج1 ، ص96 .

10 . شامة وطفيل :

جبلان على نحو ثلاثين ميلاً جنوب مكة[1] ، وطفيل : بفتح الطاء وكسر الفاء اسم شاعر[2] ، وذكرا في الشعر الذي قاله بلال ﷺ عنه بعد الهجرة الى المدينة متشوقاً الى مكة :

وَهَلْ أَرِدْنَ يَوْماً مِياهَ مَجَنَّةٍ[3] ... وَهَلْ يَبْدُونَ لي شامَةٍ وَطَفيلُ[4]

11 . الحجون :

جبل مشرف على مكة يلي شعب الجزارين[5] ، عنده مقبرة أهل مكة[6] ، قال مضاض بن عمرو الجرهمي : يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة :

كَأَنْ لَمْ يَكنْ بَينَ الحُجُونِ الى الصَفا ... أنيسٌ ولَمْ يَسْمُر بمَكةَ سامرُ[7]

وذكر أن الرسول ﷺ أمر أن تركز رايته فوق هذا الجبل يوم فتح مكة[8] .

12 . أبو دلامة : (غير أسم الشاعر)

---

(1) القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت544هـ/1149م) ، مشارق الأنوار على صحاح الاثار ، دار التراث ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص327 .

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج29 ، ص374 .

(3) مجنة : تقع على أميال يسيرة من مكة بناحية مر الظهران ، وهي سوق لكنانة تقوم في العشرة الأخيرة من ذي القعدة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1187 .

(4) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج2 ، ص521 .

(5) الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق : احمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 1999م) ، ص96 .

(6) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص383 .

(7) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص225 .

(8) شراب ، محمد محمد حسن ، المعالم الاثيرة في السنة والسيرة ، دار القلم ، (دمشق – 1990م) ، ص97 .

جبل مطل على الحجون بمكة[1] ، كثيراً ما كان يسمع منه قبل الإسلام هواتف الجن[2] ، والادلم : من الجبال المليس الصخر المائل الى السواد[3] .

13 . الجبل الأبيض :

هو الجبل المشرف على فلق ابن الزبير ، وكان يسمى قبل الإسلام بالمستنذر[4] ، وفلق ابن الزبير طريق في الجبل عمله عبد الله بن الزبير ﷺ لأن المال الذي كان يأتيه من العراق عندما يدخل مكة يعلم الناس به فكره ذلك فعمل على تسهيل هذا الطريق ، فكان إذا جاءه مالاً دخل به ليلاً ولا يعلم به أحد[5] ، وسمي أبيضَ لأن حجارته بيضاء[6] .

14 . جبل كبكب :

وموقع هذا الجبل خلف عرفة ، وهو الجبل الأحمر يجعله الواقف بعرفة خلف ظهره[7] .

15 . جبل قِدقِد :

جبل قرب مكة فيه معدن البرام[8] الذي يحمل الى سائر بلاد الدنيا ، وهو من الجبال التي لا يرتقى الى ذروتها[9] .

---

(9) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص459 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص531 .

(10) البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص555 .

(11) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص459 .

(1) البكري ، المسالك والممالك ، ص402 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص285 .

(3) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص1029 .

(4) الهروي ، أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت370هـ/980م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 2001م) ، ج10 ، ص349 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج9 ، ص211 .

(5) البرام : معدن يسحق ويستن به ويكون نافعاً للأسنان مبيضاً لها ، ينظر : ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج22 ، ص198 ؛ البصام ، خلدون ، علم المعادن في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1999م) مج46 ، ج4 ، ص202.

(6) الحازمي ، زين الدين ابو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت548هـ/1188م) ، الأماكن ، تحقيق : حمد محمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (الرياض – 1994م) ، ص764 ؛ ياقوت الحموي ،

ومن خلال هذا السور الجبلي الذي أحاط بمكة ، فقد تحددت رقعتها ومداخلها السهلية وصار لها أربعة منافذ طبيعية بسبب وجود هذه الجبال ، الأول : ممر في الشمال الشرقي الى منى وعرفات ثم الى الطائف ، والثاني : في الشمال الغربي الى المدينة المنورة ، والثالث : من الغرب الى جدة ، أما الرابع : ففي الجنوب الى اليمن[1] .

وبطبيعة الحال فقد اشتملت مدينة مكة المكرمة على عدد من الاودية والشعاب التي تكونت نتيجة الطبيعة الجغرافية للمدينة والتي اشرنا الى بعض منها ضمناً وتركنا التفصيل فيها بسبب ان اسماء هذه الاودية والشعاب قد تغيرت عما كانت عليه قبل الاسلام فضلاً عن وجود بحث قيم للدكتور صالح احمد العلي تناول فيه المعالم العمرانية في مكة بشيء من التفصيل[2] ومن ضمنها هذه الاودية والشعاب.

مناخ مكة :

يُعد المناخ من أهم العوامل الجغرافية التي تساعد في نشوء المدن وتوزيع السكان فيها ، ولعل في دراسته إعطاء صورة واضحة عن أهمية المدن من الناحية الجغرافية كنسبة درجات الحرارة ، ومقدار الأمطار الساقطة عليها ، وما يمر به طقس هذه المدن من تغيرات أخرى .

تعد شبه الجزيرة العربية من أشد المناطق جفافاً وحرارة ، ذلك أنه على الرغم من كون البحر يحيط بها من ثلاث جهات ، إلا أن هذه المساحات من الماء لم تستطيع التقليل من حدة ارتفاع درجات الحرارة في تلك الأجزاء الواسعة النادرة الإمطار ، فدرجة الحرارة في داخل شبه الجزيرة العربية مرتفعة عادة ولا تهبط في الصحراء إلى أقل من 43^{5}م نهاراً و38^{5}م ليلاً ، فالجو البحري لم يتغلب على ظاهرة الجفاف لأنه لا يكاد

معجم البلدان ، ج4 ، ص311 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص119 ؛ البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1068 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص20 .

(2) العلي ، المعالم العمرانية في مكة في القرنين الاول والثاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1989م) مج40 ، ج3و4 ، ص5–38 .

(3) محمود ، محمود عرفة ، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، (القاهرة –1995م) ص20 .

يصل الى أواسط الجزيرة بسبب مقاومة رياح السموم الشديدة الحرارة التي تمنعه من التغلغل الى داخل الجزيرة[3] ، وكذلك من أسباب ارتفاع درجات الحرارة في هذه المنطقة وقوعها في منطقة قريبة من خط الاستواء ، أو لأن معظمها يقع في الإقليم المداري الحار ، وإذا ما نظرنا الى ما يحيط الجزيرة من مسطحات مائية من جهتي الشرق والغرب أي الخليج العربي (خليج البصرة) والبحر الأحمر (بحر القلزم) ، فهي أضيق من أن تكفي لكسر حدة هذا الجفاف المستمر ، كذلك فأن المحيط الهندي الذي يقع الى الجنوب منها ، والذي يساعد على سقوط الأمطار في تلك المنطقة فأن مرتفعات حضرموت ، ومنطقة الربع الخالي تمنعان وصول تأثير هذا المحيط الى داخل مناطق شبه الجزيرة العربية[1] .

وبالنسبة لمناخ مكة فأنه جاف قاري حار جداً في الصيف ، فهي كما وصفها بعض الجغرافيين العرب بقولهم : " أنها حارة في الصيف ، إلا أن ليلها طيب قد رفع الله عنهم مؤونة الدفء وأراحهم من كلف الاصطلاء "[2] ، وقد كان كفار قريش يعذبون بعض المسلمين الأوائل بإلقائهم فوق رمال مكة المحرقة نهاراً في رمضاء الصيف[3] .

ثم أن ارتفاع درجات الحرارة في مكة هو نعمة من نعم الله عليهم ، فقد جعل أجواءها صحية خالية من الأمراض ، والى ذلك يشير القزويني بقوله : " ويكثر لأهل الحجاز الجذام[4] لفرط الحرارة ، يحرق أخلاطهم فيغلب على مزاجهم السوداء ، سوى أهل مكة

---

(1) سليم ، أحمد أمين ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة – 1997م) ، ص26 .

(2) المقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم ، ص71 ؛ القزويني ، آثار البلاد ، ص113 .

(3) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص130 .

(4) الجذام : علة تعفن الأعضاء وتشنجها وتقرحها ، وتبح الصوت ، وتمرط الشعر ، ينظر : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف البلخي (ت387هـ/997م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – د.ت) ، ص184 .

فأن الله كفاهم ذلك "[1] ، كذلك الأمراض السائدة في المناطق ذات المياه الوفيرة كالملاريا (الحمى الشديدة) التي تنتشر في خيبر[2] ويثرب (المدينة المنورة)[3] .

وتعتمد مكة في الحصول على المياه من الأمطار التي كانت تتجمع في برك ، وكذلك على مياه الآبار وأهمها زمزم[4] ، وإذا ما سقطت الأمطار لاسيما في الشتاء وأوائل الربيع فأنها تكون غزيرة وتسيل المياه بقوة من الجبال الى الوديان والشعاب مكونة سيولاً جارفة تهدد الأبنية في بطون الوديان ، وكثيراً ما كانت تفيض الكعبة من تلك السيول[5] ، وقد حاول سادة بعض القبائل إقامة عدد من السدود بوجه السيول لوقاية محلاتهم ، فمن ذلك ردم بني جمح ، وردم آل عبد الله[6] ، وسدود عملت فيما بعد زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وآخر زمن الحجاج والأزمان اللاحقة[7] .

أما الأشجار المثمرة فليس بمكة أو الحرم كله شجر مثمر ، كما أخبر بذلك الاصطخري إذ يقول : " وليس بجميع مكة فيما علمته شجر مثمر إلا شجر البادية ... وأما الحرم فلم أرَ ولم اسمع أن بها شجراً مثمراً إلا نخيلات رأيتها بفخ[8] ، نخيلات يسيرة متفرقة "[9] .

---

(5) آثار البلاد ، ص86 .

(6) خيبر : هي ناحية على ثمانية برد من المدينة ، يسكنها اليهود ، وتشتمل على سبعة حصون ، ومزارع ونخل كثير ، فتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة ، وقد فتحت عنوة ثم صالحهم على الشطر من التمر والحب ، ثم أجلاهم عمر ﷺ في خلافته الى الشام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص410 .

(7) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص130 .

(8) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص17 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص37 .

(1) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص169-210 .

(3) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

(4) فخ : وادٍ بمكة بينه وبينها ثلاثة أميال ، وقيل : ستة أميال ، اغتسل فيه رسول الله ﷺ قبل دخوله مكة ، وفيه الوقعة التي قتل فيها الحسين بن علي بن الحسن ﷺ سنة (169هـ) ، وفيه مدافن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عمر ﷺ ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص119 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص436 .

(5) مسالك الممالك ، ص17 .

ويبدو أن هذا يعود الى سبب أساسي هو عدم وجود مياه كافية لقيام مثل هكذا نوع من المزروعات .

وإذا ما صادف موسم أمطار جيدة ، فقد تنبت فيها بعض الأعشاب مدة قصيرة من السنة تكفي لرعي المواشي ، وقد تنبت بعض الأشجار الصحراوية في الجبال المحيطة بها[1] ، ويروى أن قصي بن كلاب حين أراد إسكان قريش بطحاء مكة هابت قريش قطع الشجر الذي كان حول البيت فقطعها قصي بيده[2] ، وكانت هذه الأشجار من الشجر غير المثمر مثل الأثل والعضال الذي ينتج منه الفحم ، والطلع الذي يستخدم منه الصمغ العربي ، والأراك الذي تتخذ منه المساويك[3] ، ويبدو أن هذه المنتجات لم تكن تكفي لسد حاجة الناس اليومية لاسيما بعد أن كثر عدد ساكني بطحاء مكة حين استقرت قريش فيه بسبب قطع هذه الأشجار ، وهذا ما دعا الى استيراد المنتجات من الخارج عن طريق التجارة .

وتهب على شبه الجزيرة العربية بشكل عام أنواع من الرياح التي أطلق عليها الكتاب المسلمون عدد من التسميات ، فقد أطلقوا على الرياح التي تهب من جهة المشرق (القبول)[4] ، وهي عند المسعودي ريح الصبا نظراً لأنها ريح مقبولة طيبة تصبو إليها النفوس[5] ، وأطلقوا على رياح الشمال (التيسر) عكس التيمن او اليمين ، وهي رياح باردة تهب على الحجاز بعد أن تكون قد اجتازت هضاب الأناضول ومرتفعات بلاد الشام ، ولذلك عرفت أيضاً بالرياح الشامية ، كما عرفت بالحدواء لأنها تحدو السحاب أي تسوقه[6] ، وسميت الرياح التي تهب من جهة المغرب (الدَبُور) كما عند المسعودي : "

---

(6) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص131 .

(7) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ج2 ، ص259 .

(8) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص29 .

(1) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) ، ج2 ، ص180 .

(2) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الفكر ، (بيروت – 1973م) ، ج1 ، ص217 .

(3) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص26 .

وما جاء من وراء الكعبة فهي دَبُور "[1] ، وهي تهب مصحوبة بالأمطار ، لذلك عرفت أيضاً بالذاريات والمعصرات ، أما الرياح الرابعة فهي الرياح الجنوبية التي تأتي من جهة اليمن[2] .

وهذه الطبيعة الجغرافية لمدينة مكة المكرمة قد ساعدت في نشوء حكومة مستقلة فيها من خلال ما فرضته جبالها و اوديتها الت احاطت بها احاطت السوار بالمعصم فشكلت بذلك حصناً طبيعياً منيعاً ضد الاخطار المحدقة بالمدينة ، وكذلك فقد تحددت مخارج ومداخل المدينة من خلال هذا السور الطبيعي الذي اسهم من جانبه بتنوع التجارة مع البلدان المحيطة بها .

المبحث الثالث
طبيعة المجتمع القرشي

سكان مكة :

ذكر المؤرخون أنه قد سكن الكثير من القبائل مكة على مر العصور دون أن يذكروا معلومات دقيقة عنهم ، ولا يمكننا الاعتماد قطعياً على ما جاء في رواياتهم ، وذلك لأن أغلب أصحابها عاشوا في العصور الإسلامية المتأخرة ، وهي بعيدة عن تلك الحقبة التأريخية المتقدمة ، وهذا الأمر ينطبق على تأريخ مكة ، فأن أخبارها في العصور المتقدمة جاءت مضطربة في بعض الأحيان ، وهذا ما نجده في ذكرهم للأقوام التي سكنت فيها ، فلا نكاد نجد تسلسلاً تأريخياً دقيقاً يبين لنا تتابع تلك القبائل والأقوام وسكناها في مكة ، ومع ذلك سنحاول أن نتناول القبائل التي سكنت هذه المدينة حسب آراء أغلب المؤرخين ، والتي تكاد تجمع عليها المصادر والمراجع التأريخية .

1 . عـــاد :

---

(4) مروج الذهب ، ج1 ، ص217 .

(5) سليم ، جوانب من تاريخ وحضارة العرب ، ص27 .

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾[1] ، وهم من سكان مكة والحرم ، ويطلق عليهم " عاد الثانية بطن من عاد الأولى ، وهم بنو بكر بن معاوية بن بكر بن عاد بن عوص ، أما عاد الأولى فهم قبيلة من العرب البائدة ، وهو بنو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام "[2] ، وقد سكنوا مكة بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام ، كما جاء مرتباً في آيات القرآن الكريم[3] ، وكان العرب يضربون المثل بقوم عاد ويشيرون ، الى أنهم أقدم من العمالقة[4] .

2 . العماليق :

وهم من القبائل العربية البائدة[5] ، وقد أختلف المؤرخون في نسبهم ، فمنهم من ينسبهم الى عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام[6] ، أو الى عمليق بن اسليخا بن لوذ ابن سام بن نوح عليه السلام[7] ، ومنهم من ينسبهم الى عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام[8] ، وعند المسعودي رأي آخر أنفرد به فيذكر : أنهم أبناء قيطور بن كركر بن حيدان ، ويطلق عليهم (أبناء كركر) ، ويقول : أنهم أول من سكن مكة بعد هاجر

---

(1) سورة هود الآية : 50 .

(2) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، (القاهرة – 1980م) ، ص328 .

(3) دخيل ، حسن كاظم ، طريق الحج البري من الحيرة الى مكة قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2005م ، ص139 .

(4) زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، ط2 ، مطبعة الهلال ، (القاهرة – 1922م) ، ص76 .

(1) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص150 .

(2) ابن هشام ، ابو محمد بن الملك بن هشام المعافري (ت213هـ/828م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت – 1975م) ، ج1 ، ص8 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج1 ، ص206 .

(3) ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/902م) ، الأعلاق النفيسة ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1988م) ، ص37 .

(4) ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي ، (ت808هـ،1405م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – 1989م) ، ج2 ، ص30 .

وإسماعيل (عليهم السلام)[1] ، في حين يرى صاحب تاريخ الخميس : أنهم قد سكنوا مكة قبل قدوم إبراهيم بزوجه هاجر وأبنه إسماعيل (عليهم السلام) ، وذكر : أن مساكنهم كانت على عرفة ثم انتقلوا منها الى ما حول زمزم بعد أن كلموا هاجر في ذلك وأخذوا الأذن منها[2] .

ويرى الازرقي : " أن العماليق حي كانوا يسكنون مكة ، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل وإبل ، وقد أظهروا الظلم والمعاصي ، وفعلوا السيئات حتى سلبهم الله نعمتهم ، وسلط عليهم الجدب ، حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا في البلاد "[3] .

3 . جرهم :

سكنت جرهم مكة بعد العماليق ، وفي عهدهم نزلت هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام بوادي مكة وصاهرهم إسماعيل عليه السلام بعد أن وصل الى مصاف الرجال[4] ، وكانت ولاية جرهم للبيت قد استمرت الى ما يقارب (300) سنة[5] ، وهذا الرأي يتنافى مع إرجاع عهد جرهم الى حياة إسماعيل عليه السلام لأن ولاية جرهم لمكة تنتهي في مطلع القرن الثالث الميلادي[6] ، وأن عهد إسماعيل عليه السلام يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد[7] .

وقد أشار أهل الأخبار أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان من أهل العراق ، وانه خرج منه بعد أن تعرضت دعوته الى توحيد الله للمحاربة من أهل كوثى العراق ، وحط في بلاد الشام مبشراً بدعوته ، ومنها اتجه الى مصر للغرض نفسه[8] ، وهناك تزوج من هاجر المصرية على زوجته الأولى سارة التي لم تكن تنجب الأطفال ، فرزقه الله من هاجر

---

(5) مروج الذهب ، ج2 ، ص46 .

(6) الديار بكري ، حسين بن محمد الحسن ، (ت966هـ/1558م) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص94 .

(7) أخبار مكة ، ج1 ، ص58 .

(8) حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط4 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1996م) ، ج1 ، ص41 .

(1) دخيل ، طريق الحج ، ص141 .

(2) سيديو ، ل ، أ ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، (القاهرة – 2009م) ، ص32 ؛ حسن ، علي إبراهيم ، التاريخ الإسلامي العام ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – د.ت) ، ص92 .

(3) مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص398 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص55 .

بإسماعيل عليه السلام[1] ، فقدم به وبأمه هاجر الى أرض الحجاز وسكن مكة ودعاهم بدعوته المعروفة في القرآن الكريم ، وبعد ذلك سكنت قبيلة جرهم اليمنية مكة ، فنشأ إسماعيل عليه السلام بينهم وتزوج امرأة جرهمية منهم فولدت له اثنا عشر ولداً[2] ، ثم أصبحت ولاية البيت بيد ابنه (نابت) الى ان توفى ، فولي البيت من بعده جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي ، وقد استمرت جرهم على ولاية البيت فترة طويلة إلى أن نزلت خزاعة فأزاحتهم عن ولاية البيت وأخرجتهم من مكة[3] .

وأصل جرهم من اليمن ، وهم من ولد يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد[4] ، ويشير ابن هشام الى : " أن جرهم قد بغوا بمكة واستحلوا خلالاً من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها سرقوه مرة بعد مرة حتى أن رجلاً منهم دخل البئر الذي حفره إبراهيم عليه السلام عند باب الكعبة ، وكان يلقى فيه ما يهدى لها فسقط عليه حجر فحبسه فيها ، فلما رأت خزاعة ذلك اجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فكانت الغلبة لهم وطردوا جرهم من مكة "[5] .

4 . خزاعة :

هم فرع من قبيلة الأزد التي هاجرت من اليمن باتجاه بلاد الشام مروراً بالحجاز ومكة[6] ، وفي نسبهم خلاف بين المؤرخين ، فابن هشام يروي عنهم : " وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ... وخندف أمنا "[7] ، وأما ابن

---

(5) هيكل ، محمد حسنين ، حياة محمد ، ط3 ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة – 1956م) ، ص85–79 .

(6) ابن حزم ، محمد بن علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت456هـ/1063م) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، (القاهرة – 1962م) ، ص235 .

(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص57 .

(8) ابن خلدون ، تاريخ ، ج2 ، ص395 .

(1) السيرة النبوية ، ج1 ، ص105 .

(2) كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) ، ص339 .

(3) السيرة النبوية ، ج1 ، ص84 .

حزم فيذكر : " أنهم من ولد قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان "[1] ، وابن قتيبة يقول : " أنهم من ولد الصلت بن النضر بن كنانة "[2] .

وسميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم انخزعوا[3] من ولد عمرو بن عامر حين اقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران[4] فأقاموا بها ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فَلمّا هَبطْنا بَطْنَ مَرٍ تَخَزَّعَتْ ... خُزاعَةَ مِنّا في خُيولٍ كَراكِر[5]
حَموا كُلَ وادٍ من تُهامَة واحْتَموا ... بصَمِّ القَنا والمُرهَفاتِ البَواتِرِ[6]

وكانت هجرتهم من اليمن بسبب انهيار سد مأرب[7] ، وقيل : أن هجرتهم كانت قبل خراب سد مأرب ، وقد وصلوا الى ضواحي مكة ، فنزلوا بمر الظهران وطلبوا من جرهم

---

(4) الجمهرة ، ص235 .

(5) المعارف ، ص67 .

(6) الانخزاع : الانقطاع وهو تخلف الرجل عن أصحابه في مسيرهم ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج1 ، ص114.

(7) مر الظهران : بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالظاء المعجمة ، موضع بينه وبين البيت ستة عشر ميلاً ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص531 .

(8) كراكر : كراديس من الخيل ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص278 .

(9) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص92 ؛ الفاسي ، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد – 2001م) ، ص239 .

(1) سد مأرب : (مأرب) : اسم المكان من الأرب وهي الحاجة ، وهي بلاد الازد اليمنية ، قيل : أن مأرب أسم قصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك يلي سبأ كما أن تبعاً اسم كل من ولي اليمن والشحر وحضرموت ، ومأرب بين حضرموت وصنعاء بينها وبين صنعاء أربعة أيام ، وكان السد من بناء سبأ بن يشجب بن يعرب ومات قبل أن يتمه ، فأتمه ملوك حمير ، وقيل : أن الذي أتمه لقمان بن عاد ، وجعله فرسخاً في فرسخ ، وجعل له ثلاثين مشعباً ، وهو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلا من جهة واحدة ، فكان الأوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص فيجتمع فيه ماء العيون مع ما يفيض من مياه السيول فيصير خلف السد كالبحر ، فكانوا إذا أرادوا سقي مزروعاتهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه إذا أرادوا ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص34–35 .

الإقامة معهم ، إلا أن جرهم رفضت ذلك ، فحدثت بينهم الحرب التي انتهت بانتصار الازد ونزولهم مكة[1] .

وكان أشهر من تولى أمر البيت من خزاعة عمرو بن لحي الخزاعي[2] ، واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر[3] ، وعمرو هذا هو الذي غير دين إبراهيم عليه السلام وبدله بعبادة الأوثان بعد أن أحضر معه من الشام أصناماً ونصبها حول الكعبة[4] ، وجاء بهبل من هيت[5] من أرض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة ، فقال له أحدهم ناصحاً (قيل هو الحارث بن مضاض الجرهمي) :

يا عَمْرُو لا تَظْلِم بِمَكَّةَ ... إنَّها بَلَدٌ حَرام
سائلْ بِعادٍ أينَ هُمُ ... وكَذلِكَ تُخْتَرَمُ الأَنام
وبني العَماليقِ الذينَ ... لهم بِها كانَ السَّوام[6]

وكان قوله في قومه ديناً متبعاً ، وبلغ بمكة وفي العرب مكانة كبيرة ، وهو أول من أطعم الحاج سدايف[7] الإبل ولحمها على الثريد ، وأهدى إليهم الثياب اليمنية[8] .

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الى حين ظهور قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي[9] ، ودامت ولاية خزاعة للبيت نحو ثلاث مائة سنة تقريباً[10] ، وقيل : أن ولاية البيت زمن عمرو بن لحي وولده من بعده قد استمرت الى ما يقارب

---

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص92 .
(3) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .
(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص93 .
(5) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .
(6) هيت : بكسر أوله ، مدينة مذكورة في حدود العراق على شاطئ الفرات ، وسميت هيت لأنها في هوة أي في منخفض ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1357 .
(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص165 .
(1) السدايف : (السديف) شحم السنام ، ينظر : الازدي ، جمهرة اللغة ، ج2 ، ص646 .
(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص164 ؛ الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص154 .
(3) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص44 .
(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص168 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، مج1 ، ص209 .

الخمس مائة عام حتى كان آخرهم حليل بن حبيشة بن سلول ، وكانوا هم حُجّابه وخُزّانه والقائمين عليه ، فضلاً عن أنهم ولاة الحكم في مكة[1] .

5 . قريش :

تجمع المصادر على أن قريشاً من القبائل العدنانية ، فهم ولد إسماعيل بن إبراهيم **(عليهما السلام)** ، والخلاف فقط في أصل التسمية ، فمن هو قريش؟ ، وعلى من أطلق هذا الاسم؟ ، ومتى سكنت هذه القبيلة مكة؟ ، ومع إننا لا نملك نصوصاً تأريخية تذكر لنا هذا الاسم تعود الى عصر ما قبل الإسلام ، وكذلك لم تذكره كتب اليونان أو الرومان ولا قدماء السريان .

إلا أن ذلك لا ينفي وجود قريش قبل أن يجمعها قصي بن كلاب في بطحاء مكة ، فقد ورد ذكر لها في النصوص الجنوبية القديمة ، فقد ورد في الوثيقة أو النص الحضرمي الذي يعود الى عهد الملك الحضرمي (العز) الذي حكم في القرن الأول قبل الميلاد ، أو في القرن الثالث الميلادي ، ورد فيها نصاً يذكر فيه عشر نساء قرشيات كُنَّ في معية الملك عند زيارته لأحد الحصون ، وكذلك وردت لفظة قريش اسماً لرجل عرف بـ(حبسل قريش) ، أو (حبسل قرشم) في الوثيقة نفسها التي تعود الى زمن الملك الحضرمي (العز)[2] ، وللوقوف على أصل تسمية قريش نورد بعض الروايات التي تتحدث عن ذلك :

أ . سميت قريش بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وقد كان قريش هذا دليل بني النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم ، فإذا قدمت عِير بني النضر قالت العرب : قدمت عِير قريش ، وإذا خرجت قالوا : خرجت عِير قريش ، باسم دليلهم[3] .

---

(5) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص166 ؛ الفاسي ، الزهور المقتطفة ، ص240 .

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص23 ؛ مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص409-410 .

(2) ابن حزم ، الجمهرة ، ص11 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص58 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (الرياض – 1997م) ، ج2 ، ص202 .

ب . إن قريشاً جماع نسب ، فليس بأب ولا بأم ، وإنما نعتت العرب به النضر بن كنانة ، إذ إنه خرج يوماً على نادي قومه فقالوا : أنظروا النضر كأنه جمل قريش[1] أي شديد[2] ، أو لأنه اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا : تقرش[3] ، وقيل : أن قريش هو اسم للنضر بن كنانة ، ثم أطلق على ولده من بعده[4] ، وأنه لقب له ، فكل من كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي[5] ، أو أن قريش هو اسم فهر بن مالك بن النضر ، وإن فهراً لقباً له ، وقيل : عكس ذلك ، وعلى هذا فما فوق فهر الى النضر لا يكون قرشياً وما دونه قرشي[6] ، وتبعاً لتسلسل النسب بين قصي وجده فهر يكون بينهما ستة أجيال ، فندرك أن فهر هو قريش قد عاش في مطلع القرن الثالث الميلادي[7] .

ج . أن قريش مصغر كلمة (قرش) ، وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها[8] ، وقيل : أن النظر كان في البحر فهاجم سفينته القرش ، إلا أن النضر تمكن من قتله[9] ، وانشد بعضهم :

وقُرَيشٌ هيَ التي تَسْكُن البَحْرَ ... بِها سُمِيَّتْ قُرَيشُ قريشاً
تأكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ ولا تَتْرُك ... مِنْها لذي الجَناحَينِ ريشاً
هكَذا في الوُجودِ حَيُّ قُريش ... يَأكُلونَ الأنامَ أكْلاً كَريشاً[10]

د . التقريش : لغة ، التفتيش[1] ، وكان النضر يقرش أو يبحث عن حاجة ذوي الفاقة من من قاصدي مكة[2] ، فمن كان محتاجاً أغنوه ، ومن كان عارياً كسوه ، ومن كان

---

(3) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج2 ، ص17 ؛ جواد علي ، المفصل ، ص23 .
(4) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص602 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج17 ، ص324 .
(5) الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط4 ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، (الكويت – 1996م) ، ص92 .
(6) الازدي ، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت –1991م) ، ص27 .
(7) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 ؛ الأفغاني ، أسواق العرب ، ص93 .
(8) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 .
(9) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص39 .
(1) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص201 .
(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص39 .
(3) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص73 .

معدماً واسوه ، ومن كان طريداً آووه ، ومن كان خائفاً حموه ، ومن كان ضالاً هدوه[3] .

هـ . وسميت قريش بهذا الاسم لاجتنابها أو بعدها عن الغارات ، فهي قد تقرشت عن الحروب[4] .

و . وربما سموا قريشاً لتجمعهم الى الحرم بعد تفرقهم في البلاد ، وذلك حين غلب على مكة قصي بن كلاب الذي سمي مجمعاً لذلك[5] .

ومما تقدم يتضح لنا أن أقرب هذه الأقوال وأشملها وهو أن اسم قريش أطلق على هذه القبيلة العدنانية لعملهم بالتجارة وتكسبهم الأموال (القروش) من هذا العمل ، وأنه أول ما أطلق كان في عهد النضر بن كنانة ، ولذا قال الجاحظ : " وبالتجارة كانوا يعرفون ، ولذلك قالت كاهنة اليمن : لله در الديار لقريش التجار ، وليس قولهم : قرشي لقولهم : هاشمي وزهري وتيمي ، لأنه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينتسبون إليه ، ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش ، فهو أفخم أسمائهم واشرف أنسابهم ، وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله ، فجعله قرآناً عربياً يتلى في المساجد ، ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وخطوه على الحبيب والخاص "[6] .

أما البطون والأفخاذ الذين تتكون منهم هذه القبيلة ، فهم كما يقول صاحب الجمهرة : " وبطون قريش : بنو العباس وأبي طالب وأبي لهب والحارث بني عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وبنو أمية وسائر أخوتهم من بني عبد شمس ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو أسد بن عبد العزى بن كلاب ، وبنو

---

(4) الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت388هـ/988م) ، غريب الحديث ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، دار الفكر ، (بيروت – 1982م) ، ج1 ، ص373 .

(5) العصامي ، سمط النجوم ، ج1 ، ص40 ؛ الجميلي ، خضير عباس ، قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 2002م) ، ص42 .

(6) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص93 .

(7) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص187 ؛ جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص23 .

(8) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص91 .

(1) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت255هـ/868م) ، رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1964م) ، ج4 ، ص256 .

زهرة بن عبد الدار بن قصي ، وزهرة بن كلاب بن مرة ، وبنو تيم بن مرة بن غالب ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو عدي بن كعب بن لؤي ، وبنو جمح بن هصيص بن كعب ، وبنو سهم بن هصيص بن كعب ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو تيم الادرم بن غالب ، وبنو الحارث بن فهر ، وبنو محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، هذه بطون قريش الصرحاء الذين لا شك فيهم "[1] .

أما الوقت الذي سكنت فيه هذه القبيلة مكة ، فهم أول من سكنها وذلك لأنهم بنو إسماعيل عليه السلام وذريته ، وهذا أمر ثابت متفق عليه بين أهل الأنساب وغيرهم ، وعلى الرغم من أنهم تركوا سيادة مكة وأمر البيت لغيرهم من جرهم وخزاعة ومن سبقهم ، إلا أنهم بقوا في مكة أو بقربها حتى مجيء قصي بن كلاب الذي أعاد الأمور الى نصابها ، وارجع قريش بعد أن جمعها وجعلهم سادة الحرم كله وليس مكة وحدها ، وهو ما سنتناوله في الفصل القادم .

وقد عرفت قريش قبل الإسلام بعدد من المزايا والخصائص والفضائل لموقعها ومكانتها بين العرب ، فقد ذكر : أن قريشاً كان يطلق عليها : آل الله[2] ، وجيران الله ، وسكان الله[3] ، وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نَحْنُ آلُ اللهِ في ذِمَّتِهِ ... لَمْ نَزل فيها على عَهْدٍ قَدُم
إنَّ للبَيْتِ رَبّاً مانِعَاً ... مَنْ يَرِدْ فيهِ بإثْمٍ يَخْتَرِم[4][5]

وروي عن قريش أيضاً : أنها كانت تسمى (العالمية) ، إذ قال أبو هلال : " وكانت قريش تسمى في الجاهلية العالمية لفضلهم وعلمهم ، قال ابن عباس بن عتبة بن أبي لهب : أَلسْنا أَهْلَ مَكَّةَ عالَمِيَّاً ... وأَدْرَكْنا السَّلامَ بِها رِطاباً "[6]

---

(2) ابن حزم ، ص464-465 .

(1) أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت295هـ/907م) ، الأوائل ، تحقيق : محمد السيد والوكيل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، (طنطا – 1987م) ، ص32.

(2) ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/939م) ، العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحيبي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1983م) ، ج3 ، ص313 .

(3) يخترم : (أخترم) استأصل واقتطع ومات ، واخترمته المنية من بين أصحابه ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج32 ، ص69 .

(4) حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص95 .

(5) ابو هلال العسكري ، الأوائل ، ص65 .

ومما عرفت به أيضاً لفظة السخينة[1] ، فقد لقبت بها قريش في الجاهلية وظل هذا الاسم يلازمها حتى في العصور الإسلامية قال كعب بن مالك[2] :

جاءَتْ سَخْينَةَ كَيْ تُغالِبَ رَبّها ... فَلَيَغْلِبنَ مُغالَب الغَلاب[8]

وغير ذلك مما تميزت به قريش عن سائر العرب من الفضائل ومكارم الأخلاق والتي سنتحدث عنها في الفصول اللاحقة .

6 . عناصر سكانية أخرى :

ساكن أهل مكة سواءً في بطحاء الوادي أو ظواهره بقية من قبائل أخرى تخلفت في مكة ممن كان فيها قبل قريش مثل بني فقيم وهم عشيرة من قبيلة كنانة وهم نسأة[3] الشهور[4] ، كذلك عشائر من قبيلة خزاعة القبيلة الازدية التي عاشت في مكة وحكمتها قبل قريش لمدة (300) سنة وقيل : (500) سنة[5] ، كما مر بنا سابقاً ، ولما انتقلت السلطة الى قريش بقيت خزاعة في مكة ، ولها بطون متعددة معروفة حتى في الإسلام[6] ، وسكن بعض خزاعة في مر الظهران وكانوا أحلافاً لقريش[7] ، ومنهم أم معبد عاتكة

---

(6) السخينة : طعام يعمل من دقيق وسمن أغلظ من الحساء ، وأرق من العصيدة ، وإنما تؤكل في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال ، ينظر : ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، (بغداد – 1976م) ، ج2 ، ص415 .

(7) كعب بن مالك : أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد العقبة ، واختلف في شهوده بدراً ، وكان أحد شعراء الرسول ﷺ الذين كانوا يردون عنه الأذى ، شهد أُحد والمشاهد كلها حاشا تبوك فأنه تخلف عنها وهو احد الثلاثة الذين نزل فيهم قوله تعالى : (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ...)(التوبة: من الآية118) ، توفى كعب بن مالك في زمن معاوية سنة خمسين وقيل : ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) ، ج3 ، ص1323–1325 .

(8) حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص95 .

(1) النسيء : معناه التأخير ، وكانت العرب تؤخر تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، ينظر : ابن سلاّم ، غريب الحديث ، ج2 ، ص158 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ، ج1 ، ص324 .

(3) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص244 .

(4) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص266 .

(5) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص245 .

بنت خالد من بني كعب من خزاعة التي مر بها النبي ﷺ في خيمتها التي كانت بقديد[1][2] .

وسكن الاحابيش خارج وادي مكة وهم بطن من بني عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة ويطلق عليهم اسم بني غوي ، وقد غيره النبي ﷺ واسماهم بني رشد بعد أن أسلموا ، وكان الشماخ وتيم ولدي عامر بن الحارث سيدا الاحابيش[3] .

وكان الحليس بن يزيد من بني عبد مناة سيد الاحابيش وزعيمهم يوم الفجار الرابع[4] ، وخرج الاحابيش مع قريش يوم ذات نكيف[5] وقائدهم حطمط بن سعد من بني الحارث بن عبد مناة ، وكذلك كان أبو حارثة والحبش بن عمرو رئيس بني الحارث بن عبد مناة[6] .

ورغم إنكار بعض المستشرقين ومنهم لامانس لعروبة الاحابيش كما يذكر ذلك احد الباحثين[7] ، فأنه قد ثبتت عروبتهم وأنهم من بني كنانة[8] ، وأطلق عليهم هذا الاسم لتجمعهم عند جبل حبشي ، وعرفوا بأحابيش قريش[9] ، ولأنهم تميزوا بغلبة السواد على ألوانهم عدوا في عداد الحبش ، ولكن نتج اسوداد بشرتهم من إقامتهم على الساحل في تهامة وخالطوا أهل الحبشة بالتجارة معهم والتزاوج منهم[10] .

---

(6) قديد : موضع بين مكة والمدينة وبينها وبين الجحفة (ميقات أهل الشام) سبعة وعشرون ميلاً ، وبين قديد والبحر خمسة أميال ، وقديد كثيرة الماء والبساتين ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص455 .

(7) السهيلي ، الروض الأنف ، ج2 ، ص234 .

(8) ابن حزم ، الجمهرة ، ص188 .

(9) ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص361 .

(10) ذات نكيف : (نكيف) ، بالفتح ثم الكسر ، موضع من ناحية يلملم من نواحي مكة ، ويوم نكيف أو ذي نكيف : وقعة كانت بين قريش وكنانة في هذا الموضع فهزمت قريش بني كنانة وكان صاحب أمر قريش عبد المطلب ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص303 .

(1) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت245هـ/859م) ، المنمَّق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1985م) ، ص127.

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص160 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج1 ، ص113 .

(4) الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، ص100 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص30 .

وكان للاحابيش من بني كنانة سيادة ومكانة مكافئة للقبائل الكبرى بدليل تحالفهم مع قريش محالفة الند لصنوه في حلف الاحابيش ، وكان لقريش على الاحابيش حقوق منها النصرة والحماية ، ولذلك أمرتهم قريش البقاء جنوب مكة للدفاع عنها من هذه الناحية ، وذلك عام الفتح سنة (8هـ)[1] .

ومن سادة الاحابيش الذين شاركوا في إدارة شؤونهم الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة ، وقد رأسهم يوم موقعة أُحد في السنة الثالثة للهجرة[2] ، وقد أوفدته قريش ليتفاهم مع النبي ﷺ يوم الحديبية سنة (6هـ) ، فلما شاهد المسلمون وهم محرمون ومعهم الأضاحي قال : " يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ، والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد ... فقالوا له : مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به "[3] ، وهذا دليل على مكانته في مكة وليس بين الاحابيش فقط[4] ، ومنهم أيضاً ابن الدغنة ، وهو ربيع بن رفيع السلمي الذي أجار أبا بكر رضي الله عنه وحاول رده عن هجرته[5] .

وقبائل أخرى كانت تسكن في الضواحي القريبة من مكة مثل بني هلال بن عامر وبطون من قضاعة وقيس وخندف وأشجع وعبس وفزارة .

طبقات المجتمع القُرَشِيّ :

كان المجتمع القرشي شأنه شأن بقية المجتمعات العربية في عصر قبل الإسلام ، والتي تكون فيها القبيلة وحدة المجتمع البدوي الرئيسية ، فهو يتكون من ثلاث طبقات ، تأثر تكوينها بالحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والأصل الذي ينتمي إليه أصحاب كل طبقة ، وأهم هذه الطبقات :

1 . طبقة الأحرار أو الصرحاء :

---

(6) المرجع نفسه ، ج4 ، ص35 .

(7) ابن حزم ، الجمهرة ، ص188 .

(8) الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الاسلمي المدني (ت207هـ/822م) ، مغازي الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ط3 ، دار الاعلمي ، (بيروت – 1989م) ، ق2 ، ص599 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص71 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص33 .

وهم أبناء القبيلة الذين في عروقهم دمها النقي ، كما أنهم ينحدرون من الجد الذي تنتسب إليه ، فهم عماد القبيلة ، وعليهم يعول في الحرب ، وهم الذين يسودون القبيلة ويؤلفون بيوتات الشرف فيها[1] ، فكانوا يتمتعون بالحرية والاستقرار والآمن في ظل حماية القبيلة ، فإذا ما أرتكب أحدهم إثماً أو جر على قبيلته وبالاً ، كان أفراد القبيلة يتضامنون لنصرته ظالماً أو مظلوماً[2] ، وقد قالوا في ذلك : (ينسب الى قريط بن أنيف):

لا يَسْأَلونَ أخاهُم حينَ يَنْدِبهم ... في النّائِباتِ على ما قالَ بُرْهانا[3]

فيمتلئ قلبه بالفخار والثقة الزائدة بالنفس التي جعلته لا يتردد في استعمال حق الأحرار في واحد من أهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الإجارة[4] ، فكان يدخل الجار في حمايته ويلزم قبيلته بذلك والدفاع عنه ، بل والقصاص ممن قد يتعرض له بالأذى ، وكان المجير يعلن الإجارة على الملأ في صراحة تامة بقوله : " قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع منه نفسي وأهلي وولدي "[5] .

وكان أبناء هذه الطبقة هم أصحاب الأموال الذين تتركز في أيديهم الثروات الطائلة ، فمنهم السادة التجار وأصحاب الإقطاعيات الكبيرة في المدن والمناطق القابلة للزراعة كالطائف مثلاً ، وكانوا يملكون ألوفاً من الإبل ، فضلاً عن مساحات كبيرة من مناطق الرعي ، وقد كان لهذا أثره في نفوس هذه الطبقة ، وظهرت آثاره في الديات ، فبينما

---

(3) توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ط2 ، دار الفكر ، (دمشق – 1996م) ، ص257 ؛ سقال ، ديزيرة ، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، (بيروت – 1995م) ، ص85 .

(4) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص271 .

(5) ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك العنسي المدلجي (ت685هـ/1286م) ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، (عمان – د.ت) ، ص461 .

(1) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص271 .

(2) الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت356هـ/966م) ، الأغاني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1959م) ، ج2 ، ص118 .

كانت دية الحر الشريف تصل الى الخمسمائة والألف من الإبل[1] ، كانت دية غيره من أبناء الطبقات الأخرى لا تكاد تصل الى نصف دية الرجل الحر العريق[2] .

2 . الموالي :

للموالى ثمان معانٍ في اللغة العربية[3] ، والتي يهمنا منها معنيان ، الأول : " إن المولى يطلق على الحليف ، وهو من أنضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك ، والثاني : أن المولى يطلق على المعتق ، ولهذا قيل للمعتقين : الموالي "[4] .

والحلف أو الموالاة يقوم على عدة أوجه : فيعقد الحلف بين شخصين أو بين بطن وآخر ، أو يكون بين قبيلة وأخرى ، ويحالف الرجل مجموعة أفراد من عشيرة واحدة كحلف عبد المطلب مع آل عتبة بن فرقد السلمي ، ولكن حقوق وبنود الحلف المتعارف عليها نافذة على الجميع مهما أختلف نوع الحلف ، فحقوق حليف الرجل محفوظة ومؤادة له من جميع أفراد القبيلة أو سكان مكة ، فعندما يحالف الرجل حرب بن أمية أو عبد المطلب بن هاشم فالجميع ملزم باحترام هذا الحليف ، وقد دخل في عداد الموالي والحلفاء الرقيق المعتق سواء كان هذا العتق بالمكاتبة أو تحريراً برغبة السيد[5] .

وبعد أن استتب أمر قريش في مكة وصار للبلدة وأهلها مركزاً مرموقاً بين سائر بلاد العرب مما ميزها وأعطاها الهيبة والاحترام ، فضلاً عن زعامتها الدينية ، فقد اكتسبت السمعة الحسنة والمركز الاقتصادي الممتاز والتجارة الرابحة ، فعم الاستقرار والأمن مكة التي غدت محط أنظار العرب وملاذهم ، مما شجع بعض الأعراب والأعاجم على اللجوء الى مكة وحرمها الذي تتولى قريش حمايته وحماية من يلجأ إليه[6] .

---

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج6 ، ص16 .

(4) محمود ، العرب قبل الإسلام ، ص272 .

(5) الموالى : المعتِق والمعتَق ، والولي : (... اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ...)(محمد: من الآية11) ، والمولى : الأولى : (... مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ ...)(الحديد: من الآية15) ، أي : اولى بكم ، والحليف والجار (من الجوار) ، ويكون المولى : الصِّهر ، ينظر : الانباري ، الزاهر ، ج1 ، ص124-126 .

(6) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج8 ، ص324 .

(1) الشريف ، مكة والمدينة ، ص226 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص363 .

فلجأ إليها بعضهم لجوءاً سياسياً ، وقدم آخرون للتجسس لحساب الروم والتقاط أخبار الفرس وعلاقتهم بمكة ، وقدم غيرهم طلباً للرزق والعمل ، وطلب بعض القادمين الإقامة في ظل الحماية القُرَشية ، ولم تبخل قريش على الموالي بمطالبهم لمصالح مشتركة قامت بين الطرفين ، مما فتح باب الإقامة للعديد من الناس الذين قدموا مكة وعاشوا فيها على مبدأ الجوار أو الحلف مع أحد سكانها فيكون موالياً وحليفاً[1] .

ومن أوائل هؤلاء الموالي الذين عقدوا الأحلاف حارثة بن الاوقص السلمي[2] ، وكان من المهتمين بأمر الدين ، فلما سمع عن بيت مكة ترك التعبد في بيت ضمار[3] وعقد النية على الذهاب الى مكة فبيتها أولى بتعبده وطوافه ، ولما قدمها حالف أمية بن عبد شمس وعاش حارثة في مكة ، ثم أنجب أبناً سماه حكيم[4] ، وقدم جحش بن رئاب بن يعمر الاسدي الى مكة وحالف أمية بن عبد شمس أيضاً ، فلما سمع عن عبد المطلب وعظمته ندم على أنه لم يحالفه ، فعزم على مصاهرته وتزوج أميمة بنت عبد المطلب[5] .

وقد رحبت قريش بكل من أتاها وأتاحت لهم سبل العيش ، بل أتاحت لبعضهم أن يصبح في عداد الأغنياء تحت ظل الحياة الآمنة المستقرة التي هيأتها في رحاب مكة ، ومنهم بديل بن ورقاء الخزاعي الذي كان ملاذً لجميع الخزاعيين وداره مأواهم وملجأهم ،

---

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص72 .

(4) هو حارثة بن الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن امرئ القيس السلمي ، حليف بني أمية ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر (ت852هـ/1448م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) ، ج8 ، ص116 .

(5) ضمار : بفتح أوله وبالراء المهملة في آخره ، حجر لبني سليم يعبدونه في الجاهلية ، وكان في ديار سليم في الحجاز ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص881 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص73 .

(2) ابن حبيب ، المحبر ، تحقيق : ايلزة لبتن شنيتر ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت – 1942م) ، ص63 .

وقد بلغ من شأنه انه كان أحد الثلاثة الذين خرجوا للقاء النبي ﷺ يوم فتح مكة سنة (8هـ) ، فاخذوا لأهلها الأمان[1] .

وكان الاخنس بن شريق الثقفي[2] حليفاً لبني زهرة وحاز مركزاً مرموقاً ، وصارت له الكلمة والنفوذ ، وقد اقنع حلفاءه بني زهرة بالرجوع وعدم الاشتراك في معركة بدر ، وان من شروط الحلف والموالاة الالتحام والتضامن في الشدائد ، فصار هؤلاء الموالي مع قريش في الحرب والسلم ، واعتمدت عليهم قريش ، وأفادت منهم كثيراً ، ففي معركة بدر مثلاً أشترك هؤلاء الموالي بفاعلية تامة حتى أنهم احتملوا (40%) من خسائر المعركة[3].

وقد استغلت قريش خبرة الموالي العملية ومواهبهم وطاقاتهم وأحسنت معاملتهم فأحلت كل منهم المنزلة اللائقة به ، وكان موالي قريش في وضع أفضل من أحلاف وموالي القبائل الأخرى القريبة من مكة ، وذلك نابع من سياسة قريش التي عمدت الى تنشيط الحركة التجارية وإشراك القبائل العربية معها والمحافظة على حسن الصلات والسمعة الحسنة ، وكل هذا لتدعيم وإبراز حرمة مكة وإثباتاً بان الحرم ملاذ العرب اجمع على الدوام[4] .

وإذا ما علمنا أن غالبية الرقيق من الغرباء عن مكة والجزيرة أي أنهم غير عرب ، أو أنهم عرب من أسرى الحرب والغزو ، إذ يكون مصير الأسير التملك فيباع ويشترى ، وإذا كان شريفاً في قومه يتخذ مولاً وحليفاً ، وقد ينعمون عليه ويطلقون سراحه بعد ان يجزوا ناصيته[5] ، فتكون الناصية فخراً له عند إطلاق سراحه من الأسر[1] .

---

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص74 .

(4) هو أبو ثعلبة أُبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب ، وكان اسمه أُبياً ، فلما أشار على بني زهرة بن كلاب بالرجوع الى مكة حين توجهوا بالنفير الى بدر ليمنعوا العِير ، قبلوا منه ورجعوا ، فقيل : خنس بهم ، فسمي الاخنس يومئذ ، أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وأعطاه الرسول ﷺ مع المؤلفة قلوبهم ، توفي في أول خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج1 ، ص192 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص226-227 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص74-75 .

(2) الناصية : جمعها النواصي ، والناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص327 .

3 . الرقيق :

عاش مع أهل مكة مجموعة أخرى من غير العرب ، وإنما كانوا دخلاء على مكة من خارج شبه الجزيرة العربية وكونوا طبقة من طبقات المجتمع القريشي لها حقوق وعليها واجبات رغم أنها أقل العناصر السكانية مكانة وهم الرقيق .

إذ كثر الرقيق في بيوت أغنياء مكة ، فأمتلك السيد القرشي العديد من ذلك الرقيق ذكوراً وإناثاً وبلونيه الأسود والأبيض[2] ، وأمتلك أهل مكة عبيدهم وإماءهم عن طريق الشراء غالباً وقلة منهم عن طريق الأسر والسبي نظراً لقلة حروب قريش وقلة اشتراكهم في الغزو والغارات ، وشراء رقيقهم يتم من أسواق تجارة الرقيق ، فلشدة حاجة المجتمع الى هذه البضاعة الحية خصصوا لها أسواقاً وشدوا الرحال إليها لجلب الرقيق ، ومن مصادره الأصلية في شواطئ افريقية التي هي مصدر الرقيق الأسود[3] ، وفي الشمال كبلاد الشام والعراق وأسواق أوربا جلبوا الرقيق الأبيض اللون ويكون أغلى ثمناً من الرقيق الأسود[4] ، وذلك أن العرب كانوا يتعشقون البياض ويحتقرون السواد ، إضافة لما يقدمه هؤلاء من أعمال تدر على أسيادهم الربح الوفير[5] ، وكذلك جلبوا الرقيق من الهند وفارس ومصر وبلاد الروم ، وكان بعض الرقيق من أصل عربي ، إذ تأسر القبيلة بعض أفراد قبيلة أخرى في غارة من غاراتهم ثم تسترقهم بالعنف والقوة وتبيعهم في أسواق الجزيرة الى المشترين من تجار القبائل ، وعرفت تجارة العبيد باسم النخاسة ، وقد كان عبد الله بن جدعان تاجراً للرقيق أو (نخاساً) ، بل أكبر تجار قريش ، والدليل على أهمية النخاسة في مكة ورواجها بين قريش سوق الرقيق الذي نظم خصيصاً لهذا النوع من

---

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص75 .

(4) المرجع نفسه ، ص64 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص37 ؛ الجميلي ، قبيلة قريش ، ص37 .

(6) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص119 .

(1) توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ص258 .

التجارة عند جبل أبي قبيس وعلى مقربة من الحرم وتداولوها أيضاً في سوق عكاظ[1] ، وفي الجزيرة العربية وأطرافها أسواق للنخاسة غيرها مثل سوق دومة الجندل[2][3] .

وأسوأ أوضاع هذه الفئة أنها مملوكة للسادة ولا تملك شيئاً ، فلا تملك المال على الإطلاق ، ولا تملك حتى أمر نفسها ، وقد فرضت على العبيد قيود إذ ليس لأي منهم أن يتزوج إلا بأذن سيده وعلى أن يتزوج أمة من جنسه ، وليس لهم حق الملكية والمقاضاة كما يحق لأسيادهم أن يعتقوهم أو يبيعوهم أو يهبوهم أو يعاقبوهم ، ولم تكن قريش تغلو في استعمال هذه الحقوق ، وأن العبيد في مكة يختلفون عن رقيق الارض في البلاد الأخرى ، فقد كانوا يسكنون مع أسيادهم ويعتبرون من الدرجة الثانية على خلاف ما كان في أوربا مثلاً[4] .

ويمكن للعبيد في مكة أن يستردوا حريتهم إذا ما قدموا أعمالاً عظيمة وشجاعة نادرة تعود على أسيادهم بفائدة كبيرة ، أو أن يتفق مع سيده على شراء حريته بالمال ، وهذا ما يطلق عليه بالمكاتبة ، والرقيق الذي يتحرر بهذه الطريقة يدعونه المكاتب[5] ، أو أن يوصي السيد بعتق العبد بعد وفاته تقرباً للآلهة ويسمى هذا بالمدبر[6] .

ويعمل هؤلاء الرقيق بقوت يومهم أي بمأكلهم وملبسهم ومسكنهم مقابل الأعمال العديدة الملقاة على عواتقهم ، وقد وزع أهل مكة عبيدهم على مختلف الأعمال مع إيجاد نوع من التخصص ، وجعلوا ذلك على عدة أوجه :

أ . الرقيق الأبيض :

---

(2) عكاظ : بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية لا عَلَم بها ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وكانت سوقاً لمكة في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد قريب من عرفات ، وقيل : عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف وعلى بريد منها ، وأرضها لبني نصر واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وقيل : غير ذلك ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص959 .

(3) دومة الجندل : بضم الدال ، ما بين برك الغماد ومكة ، وقيل : هي ما بين الحجاز والشام والمعنى واحد ، وهي على عشر مراحل من المدينة وعشرين من الكوفة وثمان من دمشق واثنتي عشرة من مصر ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص245 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص64 – 65 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص38 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص202 .

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص39 .

الذين كان وصولهم الى مكة من خارج الجزيرة من الشام أو من العراق أو من مصر ، ويتميزون عن غيرهم بأنهم كانوا على جانب من دقة العمل وحسن الأداء ووفرة الإنتاج ، وأبرز الأعمال التي أنيطت بهؤلاء هي القيام بعمليات إدارية وفي البيوتات ، والاشتغال بالمهن مثل البناء والنجارة والحدادة وبعض الحرف الدقيقة التي لابد للعامل فيها أن يمتلك المهارات الأساسية والخبرة والتمرس مع قدرة التفنن ، وهذه أمور لا يجيدها إلا من كان من أهل المدن والتحضر[1] .

ب . الرقيق الأسود :

ذو الأصول الأفريقية ، سود البشرة ، اشتراهم أثرياء مكة للقيام بأعمال شتى خدمة لهم ، وأهم أعمال هذا الصنف من الرقيق هي رعي المواشي ، وسياسة الخيل ، والخدمة في البيوت وفي الأسفار ، ثم استغلال مجهودهم العضلي للعمل في مزارعهم وأراضيهم خارج مكة ، وكان هذا النوع من الرقيق ضرورة مهمة في حركة اقتصاد مكة ، إذ أنه يعوض عن الآلة في الخدمات والأعمال[2] ، وكان عددهم على ما يبدو كبيراً ، إذ أن هند بنت عبد المطلب أعتقت في يوم واحد أربعين عبداً من عبيدها[3] ، وذكر أن حكيم بن حزام[4] : أنه أعتق مائة رقبة في الجاهلية ومثلها في الإسلام[5] ، وإذا ما قامت الحرب فأن سادة مكة يدفع كل منهم بعبيده مع الفرسان للدفاع عن القبيلة ، وكذلك

---

(3) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص38 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص37 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص65 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص192 .

(1) هو أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، من مُسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ، ثم حسن إسلامه ، ولد في الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين ، ينظر : أبو نعيم الأصبهاني ، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت430هـ/1038م) ، معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، (الرياض – 1998م) ، ج2 ، ص701 .

(2) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص274 .

لخدمتهم في الطريق والدفاع عن السيد إذا نشبت المعركة ، وقد اشتهر العديد من العبيد وأبناء الإماء بالفروسية[1] .

ج . الإماء :

وقد خصص للإماء العمل في خدمة البيوت كإعداد الطعام ونحوه ، وكذلك في خارجها لجمع الحطب وحلب النوق والاعتناء بسيدات قريش من تلبيس وتزيين وغيرها من الأمور التي تحتاجها سيدة البيت ، وقد أتخذ سادة مكة بعض الإماء زوجات أو خليلات ، والقسم الأكبر من الإماء للتجارة بيعاً وشراءً[2] ، لاسيما الإماء اللواتي يتمتعن ببعض المزايا التي تزيد من ثمنها كاحتراف الرقص والغناء ، لأن الأمة التي تجيد الغناء أغلى ثمناً من مثيلاتها اللواتي لا يجدنه ، فكان الاتجار بها يعد صفقة رابحة[3] .

ومما تقدم يتضح لنا أن للسيد سلطة كاملة ونفوذاً تاماً على عبيده وإمائه ، وتتضح سلطته أكثر في تعذيب أولئك العبيد والإماء أيضاً أبان ظهور الدعوة الإسلامية في مكة ، لأن الرقيق المضطهد سارع الى اعتناق الإسلام لاسيما وأن الإسلام أعطاه حقوقاً كثيرة افتقدوها في حياتهم وضمن لهم المساواة والعدالة الإنسانية والاجتماعية الرائعة ، فما كان من سادة مكة إلا أن هبوا لمقاومة هذه الدعوة التي من شأنها إنصاف الرقيق ، فازدادوا في اضطهادهم تعذيباً بشتى ألوانه وأنواعه ، فلجأوا الى جلدهم بالسياط وكيهم بالصخور الملتهبة من حرارة الشمس كما فعل أمية بن خلف ببلال بن رباح رضي الله عنه[4] .

ولما كان أبناء هذه الطبقة معدمين لا يملكون شيئاً ولا يجدون حتى قوت يومهم لذلك ارتبطت حياتهم ومقدراتهم بسادتهم تبعية مطلقة تجلت في الاعتقاد الديني والإيمان الروحي ، وقد صور القرآن الكريم ذلك : ﴿ ﴾[5] ، وكان من أهم الآثار التي ترتبت على التفاوت الكبير بين السادة والفقراء إن اشتدت الكراهية بين أبناء الطبقتين ، مما اضطر بعضهم الى الهرب من هذا الجحيم الى الصحراء ، فيتربصون بالقوافل على الطرق التجارية ويقومون بالفتك والقتل والسلب والنهب ، ولا شك إن

---

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص119 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص66 .

(5) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص276 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص68 .

(2) سورة الأحزاب الآية : 67 .

الأثرياء كانوا يمثلون العامل الأساسي لهذه الظاهرة في مجتمع ما قبل الإسلام ، وهم الذين كانوا يتحملون تبعاتها[1] .

ثم أن هذا الرقيق الذي أتى من بلاد مختلفة وجنسيات مختلفة أيضاً فانه يدين بديانات مختلفة كالنصرانية واليهودية والمجوسية ، وقد انبث في المجتمع المكي بعاداته وعقائده ، ولكن لسوء أوضاع الرقيق عامة كان تأثيرهم الديني ضعيفاً على المجتمع رغم كثرت أعدادهم وعظم خدماتهم للمجتمع عامة في شتى المجالات[2] ، ورغم ذلك فان هذه الطبقة لا يمكن ان تتخلى عن عاداتها وتقاليدها الموروثة من مواطنها الأصلية ، فقد نقلت الشيء اليسير منها الى المجتمع المكي ، فظهرت فيه بعض الألفاظ والمصطلحات بتأثير لغات العبيد المختلفة ، وأصبحت شائعة في لغة قريش[3] .

وقد كان للتنوع السكاني في مكة اثره في تسهيل عملية بناء حكومة ذات سيادة في هذه المدينة الواقعة في وسط الصحراء من خلال ما فرضه هذا التنوع من منافسة بين سكان مكة رغم ان غالبيتهم من قريش والتي سعت بدورها الى عقد الاحلاف مع بقية سكان المدينة تسهيلا لعملية التجارة وبالتالي تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها بما يساهم في بناء حكومة قوية ذات موقع اقتصادي مهم .

ضواحي مكة وقراها :

تتبع مكة عدد من القرى والضواحي القريبة منها وتشكل معها أهمية اقتصادية وسياسية ، فهي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم وكأنها مداخل للمدينة ، فكل من قصد مكة من الشام والعراق وجنوب شبه الجزيرة العربية أو حتى من مدن الحجاز ، فلا بد له من المرور بإحدى هذه القرى وأهمها :

1 . منى :

تلفظ بالكسر والتنوين ، في وسط الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم ، سمى بذلك لما يمنى فيه من الدماء ، أي : يراق ، أو لأن آدم عليه السلام تمنى فيها

---

(3) محمود ، العرب قبل الاسلام ، ص276 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص69 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج8 ، ص694-709 .

الجنة ، وهي بلدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان[1] ، تعمر أيام الموسم وتخلو أيام السنة إلا ممن يحفظها ، ومنى شِعبان بينهما أزقة ، وهي بين جبلين مطلين عليها وموقعها على طريق عرفة من مكة ، بينها وبين مكة ثلاثة أميال[2] ، وحدها من جمرة العقبة الى وادي محسر[3][4] .

وقال في وصفها ابن جبير : " فألفيناها تملأ النفوس بهجة وانشراحاً ، مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط عتيقة الوضع ، قد درست إلا منازل يسيرة متخذة للنزول ، تحف بجانبي طريق كأنه ميدان انبساطاً وانقساماً "[5] .

2 . وادي نخلة :

ويقال فيه أيضاً نخلة بإسقاط لفظ وادي ، موضع على ليلة من مكة[6] ، وذكر أنه من بلاد هذيل في طريق مكة على ليلتين منها[7] ، وبه كانت العزى التي هي أحد طواغيت قريش ، والتي بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ليهدمها ، ووادي نخلة قرى مجتمعة كثيرة الماء والنخل والمزدرع ، وغالب فواكه مكة وبقولها منها[8] .

---

(1) الميل : جمعه أميال ، وهو مقدار مدر البصر ، ويساوي ألف باع ، والباع قدر مد اليدين ، ويساوي 4000 ذراعاً أي : (1848) متراً ، ينظر : قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص470 .

(2) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص16 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص198 .

(3) وادي مُحَسِّر : بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين وكسرها ، هو وادي مزدلفة ، وقيل : أنه من منى ، وهو الحد بين منى والمزدلفة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص449 .

(4) ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م) ، مثير العزم الساكن الى أشرف الأماكن ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، دار الراية ، (دمشق – 1995م) ، ج1 ، ص241 .

(5) رحلة ابن جبير ، ص135 .

(1) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1304 .

(2) الحازمي ، الأماكن ، ص887 .

(3) الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الطالبي (ت560هـ/1164م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1988م) ، ج1 ، ص163 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص258.

3 . بطن مر :

وهو وادٍ من أودية الحجاز في الشمال عن مكة على مرحلة منها ، وهي بقعة بها عدة عيون ومياه تجري ونخيل كثير ، والنخل والزرع متصل من وادي نخلة اليها ومنها تحمل الى مكة[1] .

4 . تبالة :

مخلاف[2] من " مخاليف مكة وبينهما أربع مراحل ، وهي مدينة صغيرة بها عيون متدفقة ومزارع ونخل ، وهي في أسفل أكمة تراب ، لما وليها الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل عبد الملك بن مروان فلما وصل إليها لم يرها ، فسأل عنها فقيل له : إنها في أسفل هذه الأكمة التي بين يديك فقال : إن بلدة تسترها أكمة لخليق أن يقال فيها أهون بها ، ثم انصرف عنها ، فصار ذلك مثلاً فيقال : أهون من تبالة على الحجاج "[3] .

5 . نجران :

بفتح أوله وإسكان ثانيه ، ونجران مدينة بالحجاز من شق اليمن ، سميت بنجران بن زيدان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو أول من نزلها[4] .

6 . تربة :

بالضم ثم الفتح ، وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، يسكنه بنو هلال فيه النخل والزرع والفواكه ، وطول هذا الوادي ثلاث ليالٍ[5] .

---

(4) ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن عبد الله (ت300هـ/912م) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1889م) ، ص187 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص259 .

(5) المخلاف ، الكورة يقدم عليها الإنسان ، وجمعها مخاليف ، وهي الأطراف والنواحي ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج23 ، ص255 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص151 .

(1) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص298 ؛ الحازمي ، الأماكن ، ص879 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص21 .

7 . الهدة :

منزل بين مكة والطائف على مرحلة ونصف من مكة ، وسبب تسميتها بهذا الاسم لأن المطر يصيبهم بعد هدأة من الليل[1] .

8 . عُسفان :

قرية جامعة بين الجحفة[2] ومكة ، وهي من مكة على مرحلتين على طريق حجيج مصر[3] ، وقيل : هي بلد بين مكة والمدينة بينها وبين مكة تسعة وأربعون ميلاً ، وبينها وبين البحر عشرة أميال ، وهي كثيرة الأهل خصيبة ماؤها من الآبار[4] .

9 . البَرزَة :

" وهي وادٍ بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة بها مجموعة قرى على ماء "[5] .

10 . خليص :

قرية بين مكة والمدينة المنورة قريبة من مكة[6] ، في بسيط من الأرض وبها عين فوارة ، ولها جبل وفيها نخل كثير وشجر وبها مسجد[7] .

11 . مَرُّ الظّهران :

موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلاً ، وهو الذي نزل فيه رسول الله ﷺ عند صلحه مع قريش[8] .

---

(3) البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص298 ؛ الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص327 .

(4) الجحفة : بالضم ثم السكون والفاء ، قرية على طريق المدينة ، وهي من مكة على أربعة مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا بالمدينة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص111 .

(5) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص454 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص259 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص141 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص421 .

(7) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص260 .

(1) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص479 .

(2) البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص407 ؛ ابن جبير ، رحلة ، ص145 .

(3) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص260 .

المدن المجاورة لمكة وقبائلها :

تأتي بعد مكة من حيث الأهمية عدةٌ من مدن[1] شبه الجزيرة العربية التي أصبحت تشكل معها الأساس الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمنطقة وهي :

1 . المدينة المنورة (يثرب) :

تقع المدينة المنورة على بعد (300) ميل الى الشمال من مكة المكرمة في منطقة الحجاز ، وترتفع عن سطح البحر (600) متر تقريباً[2] ، وفي المدينة جبال مشهورة منها جبل أُحد الذي حدثت عنده المعركة التي سميت باسمه بين المسلمين وأهل مكة من المشركين في السنة الثالثة للهجرة ، وجبل سلع في شمالها ، أما جبل عِير فيقع في الجنوب الغربي منها[3] .

وتجري أودية المدينة من الجنوب باتجاه الشمال تحمل مياه الأمطار التي تسقي مزارع المدينة الخصبة ، والتي تنتج التمور والفواكه والخضار[4] ، وأهم أوديتها : وادي

---

(4) ينظر : الشكل رقم (1) الملحق ، ص233 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص287 .

(6) البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص117 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص108 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص26 .

العقيق[1] ، وقناة[2] ، ووادي مذينيب[3] ، ووادي مهزور[4] ، ويحصران بينهما عوالي المدينة ، واعتمادها الرئيسي على مياه الآبار[5] .

أما نشأة المدينة فقد ذكر المؤرخون : أن العماليق هم أول من سكنها وشادها[6] ، وفي القرن السادس ق.م قدمت الى الحجاز جماعات يهودية بادت واندثرت ، ثم بعد حرب اليهود مع الرومان ودمار هيكل بيت المقدس سنة (70م) تشتت اليهود في أصقاع البلاد ، فقصدت جماعة منهم الحجاز مرة أخرى ، ووصل قسم منهم الى يثرب وهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو هدل (بهدل)[7] ، واستقروا في أخصب بقاع المدينة وعاشوا حياتهم متكتلين في أحياء خاصة بهم[8] ، وابتنوا الحصون والآطام[9] على التلال المرتفعة ، وهو طراز معماري ابتدعه العماليق فهم أول من ابتنى الآطام[10] ، وفي اتخاذ اليهود هذه الحصون دليل على غربتهم وأنهم كانوا غير مطمئنين بين ظهراني المجتمع العربي الجديد الذي حلوا فيه[11] .

---

(1) وادي العقيق : وادي من أودية المدينة على ميلين منها ، وقيل : على عشرة أميال وفيه نخل وقبائل من العرب ، وذكر أن تبعاً مر بهذا الموضع فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمي لذلك ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص216 .

(2) قناة : وادي بالمدينة ، وهي احد أوديتها الثلاثة عليه حرث ومال : ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص401 .

(3) وادي مذينيب : من أودية المدينة ، وهو قسم من سيل بطحان يأتي الى الروضة ثم يتشعب الى خمسة عشر جزء ، ويمر بالمدينة غربي المصلى ، ومنبعه على سبعة أميال من المدينة ، ينظر : السمهودي ، أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت911هـ/1505م) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج3 ، ص212 .

(4) وادي مهزور : وادي من أودية المدينة ، وهو الذي يتخوف منه الغرق على أهل المدينة ، ومصدره من حرة سوران ، وهو يصب في أموال بني قريظة ، ثم يأتي بالمدينة فيسقيها ، ويمر في مسجد رسول الله ﷺ ، ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج3 ، ص213 .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص38 ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص287 .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص14 ؛ السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص157 .

(7) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص449–452 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص26 – 27 .

(8) الشريف ، مكة والمدينة ، ص295 .

(9) الآطام : (أَطم) الهمزة والطاء والميم يدل على الحبس والاحاطة بالشيء ، يقال للحصن : الأُطُمُ وجمعه آطام ، ينظر : القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، ج1 ، ص112 .

(10) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص84 .

(11) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص22 .

ونتيجة لاضطراب أحوال اليمن السياسية وتهدم سد مأرب ، بدأت هجرة قبائل الازد اليمنية الى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية ، وفي ما يقارب سنة (300م) استقرت أول هجرة من قبيلتي الأوس والخزرج الازدية في يثرب[1] ، ثم تتابعت عشائرهم في النزوح الى أن اكتمل عقد القبيلتين ، وفي أواخر القرن الرابع للميلاد تكون مجتمع عربي كبير في يثرب له شخصيته العربية المتميزة مثلته قبيلتي الأوس والخزرج[2] ، ونزلت الأوس بجوار أهم قبائل اليهود في عوالي يثرب (المدينة المنورة) ، ثم حلت الخزرج في الشمال في سافلة يثرب ، والتي هي من المناطق الأقل خصباً[3] .

وعاش العرب مع اليهود في يثرب (المدينة المنورة) ، وكانت الغلبة والأولوية لليهود ، بعد أن غلبت الأوس والخزرج في أيام وحروب بسبب التنافس الذي قام بينهم على الزعامة وعلى الموارد الاقتصادية ، فمنذ نهاية القرن الخامس للميلاد أي سنة (490م) تقريباً دار التطاحن بينهما واستمر من (497م) الى (617م) تقريباً[4] ، ثم عاد السلم والهدوء بينهم وسادهم الوئام ، بعد أن أصبح المال والثروة للاوس والصدارة والجاه للخزرج ، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنوات ، ثم اتصلوا بالنبي ﷺ[5] .

ومارس اليهود تجارة القوافل ونجحوا فيها ، وأشاعوا الربا الذي هو من عاداتهم المتأصلة فيهم[6] ، واحترفوا الزراعة وبعض الحرف البسيطة وصناعة الأسلحة والحُلي وكذلك مارس العرب الزراعة والتجارة[7] ، وحالف الأوس والخزرج اليهود ، فكان لكل قبيلة منهما أحلافاً خاصة بها مع اليهود دون الأخرى في السلم والحرب[8].

---

(1) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص166 .

(2) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص457 .

(3) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج1 ، ص190 .

(4) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص477–479 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص28 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص396 .

(6) المرجع نفسه ، ص368 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص28 .

(8) ولفنسون ، إسرائيل أبو ذئيب ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، (القاهرة – 1927م) ، ص55 .

وسكن عامة الناس في بيوت مبنية بالآجر والطين تتكون من طابق أو طابقين ، أما علية القوم والمسرين فقد سكنوا القصور والحصون (الآطام) التي انتشرت في يثرب وغيرها من المدن التي يسكنها اليهود وكذلك في الطائف[1] .

وكان ليثرب أسواق تجارية منها سوق بني قينقاع ، وسوق زبالة ، وسوق الصفاصف ، باعوا فيها الخيل والإبل والغنم والسمن ، وكانوا يستوردون من الطائف الزبيب ، ومن اليمن المنسوجات القطنية والحريرية ، ومن الشام الحنطة[2] ، وكان ساحل يثرب (ميناؤها) الجار على البحر الأحمر (بحر القلزم) ، ويبعد عنها (180) كم تقريباً ، وتجارتها عبره مع مصر ، وكان هذا قبل اتخاذ ينبع[3] ميناء لها[4] .

وعلى هذا فان يثرب (المدينة المنورة) منذ أن ظهرت وهي تواكب مكة في مسيرتها الى أن ولد الهدى ﷺ في مكة ، وظهر الإسلام فاحتضنته المدينة وأصبحت العاصمة الأولى للدولة الإسلامية .

2 . الطائف :

مدينة صغيرة متحضرة ، وهي ثاني القريتين في قوله تعالى : ﴿الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرِ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ ﴾[5] ، جارة مكة ومصيفها ، وتقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة على ظهر جبل غزوان من جبال السراة ، وهي مرتفعة عن سطح البحر نحو ستة آلاف قدم[6] ، واسمها القديم (وج) سميت بوج بن عبد الحي من العمالقة ، ثم سكنتها ثقيف فبنوا حائطاً

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص29 .

(2) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج2 ، ص748 ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص351 .

(3) ينبع : على تسعة برد من المدينة في طريق مكة ، ومن الجار الى ينبع أربعون ميلاً ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص621 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص92 .

(5) سورة الزخرف الآية : 31 .

(6) صقر ، نادية حسين ، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، (جدة – 1981م) ، ص19 .

مطيفاً بها يحميها من غارات القبائل البدوية فسموه الطائف[1] ، قال أمية بن أبي الصلت[2] :

نَحْنُ بَنَيْنا طائِفاً حَصْيناً ... يُقارِعُ الأبْطالَ عَنْ بَنِينا[3]

وتحف بالطائف البساتين الغناء لخصوبة أرضها وكثرة أوديتها ، وبها الكثير من العيون والآبار الغنية بالمياه العذبة ، وتنتج الخضار والفواكه مثل العنب والموز والتين والبطيخ والزيتون والخوخ والسفرجل والعسل ، ولها شهرة في إنتاج الورود العطرية التي تستخرج منها العطور مثل ماء الورد الذي تمد به مكة ومنطقة الحجاز كلها[4] ، ويزرع في الطائف بعض أنواع الحبوب أهمها القمح والشعير والذرة[5] .

ومناخ الطائف معتدل لطيف صيفاً أشبه بمناخ البحر الأبيض المتوسط[6] ، والطائف مدينة قديمة المنشأ ، إذ كانت لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ومن حولهم ثقيف ، ثم ما لبثت أن غلبت ثقيف على الطائف بزعامة مسعود بن معتب ، ونزل حول ثقيف جماعات من الازد ، وقرشيون من كنانة وبعض بني عذرة وهوازن ومزينة وجهينة ، وجماعات من الأوس والخزرج[7] .

ثم أن لثقيف علاقات اقتصادية واجتماعية مع قريش ، فقد كانت الطائف مصيفاً لأهل مكة ، وامتلك أثرياء مكة المزارع الخاصة بهم في الطائف ، فامتلك عمرو بن العاص مزرعة كرم كبيرة كلفته ألف درهم ثمناً لخشب عرائش العنب[8] ، وبلغ عددها

---

(1) ابن الفقيه الهمداني ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق (ت340هـ/951م) ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، (بيروت– 1996م) ، ص79 ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص407 ؛ الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص216 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص379 .

(2) هو عبد الله بن ربيعة أبو عثمان ، ويقال : أبو الحكم الثقفي ، شاعر جاهلي ، ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج9 ، ص255 .

(3) الحميري ، الروض المعطار ، ص379 .

(4) حتي ، فليب ، تاريخ العرب ، ترجمة : محمد مبروك نافع ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – 1953م) ، ص124.

(5) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص30 .

(6) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص39 .

(7) الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف(ت 344هـ/945م) ، صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1884م) ، ص120 .

(1) عرائش العنب : ما يعمل مرتفعاً يمتد عليه الكرم ، والجمع عرائش وعرشته عملت له عريش ، ينظر : الفيومي ، المصباح المنير ، ج2 ، ص402 .

ألف عريش[1] ، واشتهرت الطائف بالصناعة وخاصة دبغ الجلود ، إذ كانت جلود المواشي تدبغ هناك وتجهز للأغراض المتعددة في البيوت وللملابس[2] .

3 . جدة :

ميناء جدة موقعه على ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم) ، وتبعد عن مكة (55) ميلاً تقريباً ، وتقع في سهل تهامة ، وصفها الإدريسي بقوله : " هي فرضة (ميناء)أهل مكة ، مدينة كبيرة عامرة ، تجاراتها كثيرة ، وأهلها مياسير ذوو أموال واسعة ، وأحوال حسنة ومرابح ظاهرة ، ولها موسم قبل وقت الحجيج مشهود البركة تنفق فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتجة والذخائر النفيسة ، وليس بعد مكة مدينة من مدائن الحجاز أكثر من أهلها مالاً ولا أحسن منهم حالاً "[3] .

وقد استقرت قبيلة قضاعة في جدة ، وقضاعة هو الابن الثاني لمعد الذي هو الجد التاسع للنبي ﷺ[4] ، وكانت حوزتها بيد مالك وملكان ابني كنانة ، وكان لهما صنم يقال له (سعد) بساحل جدة[5] ، ولم يعتمد العرب على البحر كخط رئيسي في مواصلاتهم لتخوفهم من ركوبه وأهواله ، ولكن ذلك لا يعني عدم معرفتهم به وبأحواله ، فقد كانوا يستخرجون اللؤلؤ بالقرب من جدة[6] .

ويعزى تعمير مدينة جدة الى الفرس إبان عهدهم في جنوب شبه جزيرة العرب في القرن السادس الميلادي تقريباً ، وقد كان حولها خندق يرجح أنه من عملهم لشهرتهم

---

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص386 .

(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص120 .

(4) نزهة المشتاق ، ج1 ، ص139 .

(5) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص114 .

(6) ابن الكلبي ، أبو منذر هشام بن محمد السائب بن بشر (ت204هـ/819م) ، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، ط4 ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة –2000م) ، ص36 .

(7) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص122 .

بذلك ، وقد قام الفرس بالتجارة منها[1] ، وكانت محل حَطٍ وإقلاع ، إليها تنتهي المراكب من مصر واليمن وغيرهما ، وعنها تصدر الى مكة[2] .

وكانت مباني جدة القديمة أرضية تتكون من طابق واحد مبنية من خصاص وأكواخ من اللبن ، ثم تطور العمران الى أبنية عالية من أحجار الجبال والصخور[3] ، وتغلب على جدة الرطوبة الشديدة مع الحرارة العالية في فصل الصيف الطويل ، وهي مشتى جميل[4] .

وقد شكلت هذه القرى والمدن مع مكة اهمية اقتصادية كبيرة من خلال ما وفرته من سلع تجارية لأسواق مكة او الاسواق القريبة منها ، وكان لذلك اثره في بناء القوة الاقتصادية لقريش التي اصبحت في مقدمة قبائل العرب ثراءً ومنزلة وبالتالي مكنها ذلك من بناء حكومة مستقلة لها قوتها الاقتصادية ومكانتها بين قبائل شبه الجزيرة العربية .

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص33 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج4 ، ص258 .

(3) ابن جبير ، رحلة ، ص53 .

(4) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص33 .

الفصل الثاني
حكومة مكة
المبحث الأول
حكومة الملأ

نشأة حكومة ألملأ القرشي :

استقرت في مكة جماعات وقبائل أسست أنماطاً مختلفة من الحكم ، وانتهجت سياسات متنوعة ليست لدينا معلومات كافية عنها ، فالصورة قاتمة وضبابية عن تلك المرحلة من تاريخ مكة ، ولكن بعد سيادة قريش وتجمعهم في مكة على يد قصي بن كلاب اتضحت الصورة أكثر من ذي قبل ، فقد اجتمعت بطونها وعشائرها ، ونزل كل حي منهم في جهة من جهات الوادي محيطين بالكعبة المعظمة ، ورغم وجود العديد من البيوت الدينية في شبه الجزيرة العربية إلا أن مكة في عهد قريش أصبحت المركز الديني الأول ، بل وليس الديني فحسب وإنما صارت من أهم المراكز التجارية في شبه الجزيرة العربية ، وقد ظهر وعي سياسي مبكر بين سكان شبه الجزيرة العربية أدى الى الاجتماع والتكتل داخل القبيلة الواحدة او البلدة الواحدة ، ففي مكة اتحدت بطون وعشائر قبيلة قريش لتستقر فيها وتكون نظاماً سياسياً خاصاً ومستقلاً عن غيره ، كما ذكر ابن حبيب : من أن مضر كانت كلها لقاحاً[1][2] ، فهي لم تخضع لأي نفوذ ولم يتعرض أهلها لسبي أو اسر[3] .

ومما تقدم يتضح لنا ان مكة كانت في مقدمة المدن العربية المستقلة وغير الخاضعة لأية حكومة خارجية او قوة أجنبية ، فالحقيقة التي يحسن أخذها في نظر الاعتبار ان مكة عاشت مستقلة لم يطالها نفوذ من خارجها ، بل مارست حكم نفسها وإدارة سياستها بطريقة فريدة متميزة : " فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية ، وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب "[4] ، ولكي لا يحصل لبس واختلاط في المفاهيم للمعنى المراد من

---

(1) لقاح : قوم لقاح وحي لقاح لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصيبهم في الجاهلية سباء ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص579 .

(2) المحبر ، ص253 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص303 .

(4) مهران ، دراسات في تاريخ العرب ، ص416 .

الحكومة فإننا نعني بها طريقة الإدارة المدنية التي اتخذتها قريش في سياستها الداخلية والخارجية ، وهي تختلف عن معنى (الحكومة) التي هي من الوظائف التي اشتهرت في مكة ومعناها الحكم وفض النزاعات ، أي أنها تشبه وظيفة القاضي اليوم ، وهي واحدة من الوظائف التي ظهرت نتيجة سياسة حكومة مكة الداخلية وتولاها بعض رجالات مكة.

ومنذ استقرار جرهم في مكة والبلدة مفتوحة لكل من يدخلها ولكن يتضح أنها كانت مقسمة سياسياً الى حزبين أو جماعتين ، فقد كان مضاض بن عمرو الجرهمي في شمال مكة ، ويتولى تعشير التجارة ، أي أخذ ضريبة العشر من التجار لكل من دخلها من منطقة نفوذه ، وكذلك كان السميدع في الجنوب ويأخذ الضريبة نفسها ، وقد كان بينهما عداء وشقاق الى أن اقتتلوا وتفرقوا ، ثم قامت بامر مكة من بعدهم خزاعة ومارست سياسة تعشير من يدخل مكة ، بل أنهم اشتدوا في ذلك الى أن أصبح الأمر لقريش ، وغدا حكم مكة إليها ولكن كيف كان هذا الحكم وما طبيعته في مكة؟

أقامت قريش في مكة حكماً متميزاً عن غيره بعيداً عن مشيخة القبيلة وزعامتها ، فان عوامل الاستقرار والتحضر والتجارة غيرت المجتمع القريشي من حياة القبيلة وأعرافها البدوية الى الحياة المتحضرة وحياة المدن بكل مقومات حياتها السياسية والاجتماعية ، فكونت قريش حكومة مجلس المدينة الذي هو قريب الشبه بنظام الحكم في معين ، ولكنهم اختلفوا عنه في مميزات أعضاء مجلس الحكم (الملأ القريشي) ، فقد وضعت قريش مواصفات ومقاييس معينة تميز أعضاء مجلس حكومتها ، أهمها العمر فقدمت ذو السن والحكمة والرأي السديد الصائب ، ثم أصحاب المال والجاه والشرف والنفوذ في قومهم وذويهم ، وليس هناك حاكم منفرد أو سلطان أو رئيس أو ملك[1] .

فحكم قريش هو حكم لا مركزي قامت به الطبقة المتميزة المتولية له دستورها العرف وسلطتها العادة[2] ، ويمكن ان تعد مكة دويلة مدينة ، إذ توفرت لها أسس ودعائم الدولة أياً كان حجمها ، ومن تلك الدعائم والعوامل الأساسية أرض معلومة ، وحكومة مستقلة ، وشعب والشعب هو القبيلة لدى العرب قبل الإسلام ، وهذا هو مبدأ الدولة وأصلها ، فالحكم قائم على دعائم وأسس واضحة تمثله النخبة من أعضاء مجلس الملأ الذين هم

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص143 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص49 .

زعماء القوم وسادتهم ، ولهم دور كبير في حياة قبيلتهم أو مدينتهم ، فهم رجال الحكم وهم الساسة ، ولكن شعورهم القبلي لم يتغير فهم يشعرون أنهم من أصل واحد وأرومة واحدة متمثلة في الجد الأعلى ، وعلى ذلك فغالبية سكان مكة يعود نسبهم الى قريش[1] .

وعلى هذا فيمكن أطلاق تسمية (حكومة الملأ) على الوضع القائم في مكة ، أو أن نطلق عليها (حكومة الأعيان) ، كما وصفها احد المستشرقين[2] ، أما الوصف الذي أطلقه عليها أحد الباحثين ناقلاً ذلك عن الأب هنري لامسن بأنها أصبحت (جمهورية)[3] ، فهو أمر مبالغ فيه ، فمع نمو العلاقات التجارية والاقتصادية فيها كان مجتمعها محافظاً على قيمه القبلية ، فأذن هو لا يعدو أن يكون اتحاد عشائري ارتبط بعضه ببعض في حلف لغرض سدانة الكعبة من جهة ، والقيام على تجارة القوافل من جهة أخرى ، ولا سلطان لعشيرة على أخرى بل كل عشيرة تتمتع بالحرية التامة ولا طاعة عليها لأحد ، وكل ما يجمعهم هو اشتراكهم في مصلحة واحدة خفف من حدود هذه الحرية ، ولكنه تخفيف لا يخرج بنظام الجماعة القرشية عن النظام المعروف في قبائل العرب قبل الإسلام ، ووجود ملأ فيها أو مجلس شيوخ لا ينقض هذه الحقيقة ، إذ لم يكن عمله يعدو عمل مجلس القبيلة ، فقد كان في كل قبيلة مجلس يتكون من رؤساء العشائر ينظر في شؤونها حسب التزامات الأعراف والتقاليد الاجتماعية ، ولكنه لم يقض على حرية الأفراد ، فقد كان كل فرد متمتعاً بحريته مع شعوره بحقوق الجماعة أو حقوق القبيلة ، وهذا نفسه هو النظام الذي كان سائداً في مكة قبل الإسلام ، فللفرد حريته وللجماعة عليه حقوق لا تتناقض مع هذه الحرية[4] .

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص178-180 .

(2) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص50 .

(3) القمني ، سيد محمود ، الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية ، ط4 ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1996م) ، ص97 .

(4) ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – 2003م) ، ص52.

وقد حاول أحد رجال مكة وهو عثمان بن الحويرث[1] أن يحول مكة الى مملكة تابعة للإمبراطورية البيزنطية ويكون هو ملكاً عليها ، وقد ذهب عثمان الى ابن جفنة عمرو بن أبي شمر الغساني ملك الغساسنة وعرض عليه ان تدين قريش له بالطاعة إذا ساعده ونصبه ملكاً على قريش ، وبهذا الإغراء نفذ ابن جفنة لعثمان رغبته وذهب عثمان الى مكة واخبر قريشاً بالأمر فثارت ثائرتهم على ابن جفنة وعثمان معاً وأنكروا عمله هذا ، وذهب وفد منهم الى بلاد الشام لمراجعة ابن جفنة بالأمر وأوضحوا له أن عثمان بن الحويرث رجل سفيه وأعربوا له عن استنكارهم لفعله وعن عدم اعتراف قريش بأي حق له بين العرب وحددوا له موقفهم بأنهم أهل مكة وأهل الكعبة ، فقام ابن جفنة بطرد عثمان بن الحويرث إكراماً لقريش[2] .

ورغم فشل محاولة عثمان الأولى إلا أنه لم ييأس ، فقد كان يجد في نفسه انه أحق بملك قريش من غيره من الزعماء المقدمين فيهم ، فعاود الكرة عن طريق قوة اكبر ودعم اشد ، فذهب الى قيصر الروم وقدم له إغراءات كبيرة مقابل أن يساعده وينصبه ملكاً على قريش ، إذ أدرك ابن الحويرث حاجة الروم إليه والى متجرهم في مكة وفي جزيرة العرب عامة[3] ، فكان من هذه الإغراءات أن أعلن رفضه لعبادة الأوثان واعتناقه النصرانية[4] ، وقدم للقيصر طاعة قريش بل تبعية مكة كلها لبلاد الروم باسمه ، كما تبعت صنعاء لملك كسرى[5] ، ويبدو أنه قد استغل حالة الصراع المستمرة بين الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية وأغرى قيصر الروم بضرب المصالح الساسانية بالمنطقة .

وتم لعثمان كل شيء بل كتب له قيصر كتاباً مختوماً بالذهب في أسفله[6] ، فلما وصل الى مكة بعد أن مر في طريقه بابن جفنة الغساني ، دخل على القوم ومهد لهم

---

(1) هو عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الاسدي شاعر من شعراء مكة جاهلي ، ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج38 ، ص332 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص154-156 .

(3) ابن بكار ، الزبير بن عبد الله القرشي الاسدي المكي (ت256هـ/870م) ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة – 1961م) ، ص425 .

(4) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج1 ، ص430 .

(5) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص425 .

(6) المصدر نفسه ، ص429

بذكر قيصر الروم وما لهم في بلاده من أمان وتجارة دائمة ، وابلغ قريشاً ان القيصر قد ملكه عليهم وأوضح لهم مكانته منهم فهم بنو عمومته وهو أحد رجال قريش وليس غريباً عنهم ولكنه احتاط لنفسه فاتخذ رداءً يقيه الفشل السابق فلجأ الى التهديد والوعيد على لسان القصير ليرهب قريش فتذعن له طائعة ، وإلا فان القيصر سيمنع تجارتهم في بلاد الشام[1] .

وكادت قريش أن تسلم لابن الحويرث ويتم تتويجه ملكاً وتقدم له البيعة عشية يومهم ذاك ، فاجتمعوا وطافوا بالبيت ثم تأهبوا للمبايعة لولا وقوف احد رجالات مكة بوجه هذه المكيدة وأعلن : " أن قريشاً لقاحاً لا تَملك وتُملك " ، فأقر القرشيون رأيه ، وكان هذا الرجل هو ابو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد ابن عم عثمان بن الحويرث ، ولعل من أسباب عدم البيعة لعثمان هو خوف قريش على علاقاتها التجارية مع الفرس أيضاً ، إذ أن تبعيتهم للروم تعني خروجهم عن الحياد بين الدولتين وفي ذلك خسارة كبيرة لتجارة قريش[2] .

ولم تنته هذه المشكلة إلا بموت عثمان بن الحويرث في بلاد الشام التي اتهم فيها ابن جفنة على انه سقاه سماً ليتخلص منه[3] ، ويبدو أن محاولة ابن الحويرث هذه عبارة عن حركة سياسية كان القصد منها حصوله على السيادة المقررة رسمياً من القيصر على مكة ، إلا انه حاول تأكيد ولائه لقيصر الروم باعتناق ديانتهم الرسمية وهي الديانة النصرانية ، فهي لم تكن حركة دينية بحتة كما ذكر ابن حبيب[4] .

الأساس القبلي لحكومة مكة :

إن النظام القبلي من أهم سمات المجتمع العربي قبل الإسلام وخصائصه الذي تميز به على مدى القرون التأريخية الطويلة ، فالقبيلة كلما زاد عدد أفرادها صارت قوية وإذا ظهر منها سادة وشيوخ أقوياء لهم مآثرهم ومكانتهم ومقدرتهم نالوا النفوذ وهابتهم القبائل الأخرى ودانت لهم وارتفع شأنها واكتسبت النفوذ والسيادة ، ثم أن القبيلة عند علماء الأنساب تقسم الى ستة أقسام أو طبقات هي : " شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ

---

(1) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج1 ، ص430 .

(2) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص430 .

(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص152 .

(4) المصدر نفسه ، ص152 .

وفصيلة ، وما بينهما من الآباء فإنما يعرفها أهلها ، فمضر شعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، وبنو العباس فصيلة "[1] .

وفصل الماوردي في ذلك قائلاً : " الشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، وسمي شعباً لان القبيلة منه تتشعب ، ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة و مضر ، سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها ، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ، ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ، ثم الفخذ وهو ما انقسمت فيه انساب البطن مثل بني هاشم وبني أمية ، ثم الفصيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الفخذ مثل بني أبي طالب وبني العباس ، فالفخذ يجمع الفصائل ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والعمارة تجمع البطون ، والقبيلة تجمع العمائر ، والشعب تجمع القبائل ، وإذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوباً والعمائر قبائل "[2] .

وتكتسب القبيلة قوتها بتوفر عدة عوامل فالكثرة العددية والموارد المادية والشيوخ الأكفاء وأصالة النسب من أهم تلك العوامل ، وهكذا كانت قريش قبيلة كبيرة أي أنها كانت مجتمعاً قبلياً يتكون من بطون وعشائر وأرهاط لكل بطن منهم سيد وزعيم يقوم منهم مقام الرئيس والسيد المطاع ، ومن ثم فان السيادة منزلة اجتماعية رفيعة قائمة على اعتبارات وامتيازات شخصية أو مادية أو اجتماعية ، فلها أسس تستند عليها تمنح لصاحبها بتضافر تلك الأسس مجتمعة أو الاعتماد على احدها ، وتتلخص تلك الأسس في مقومات وصفات شخصية تثبت مقدرة السيد وكفاءته وقابليته[3] ، وينبثق ذلك من صفاته الخلقية ودماثتها ، وأهم الصفات سداد الرأي والشهامة والمروءة وحسن التعامل ومواقفه البطولية والشجاعة حيناً والأدبية أحياناً أخرى ، والتي يقوم بها تجاه مجتمعه سواءً في نطاق أسرته أو خارجها مما يشكل عطاءً واضحاً فيكسبه الشهرة والتفوق والمكانة الاجتماعية البارزة ، وتقوم السيادة المادية على مركز السيد المالي ونفوذه التجاري وحجم ثروته الذي يقدر بالكم من الأموال والعبيد ، وكان المجتمع المكي تجارياً

---

(1) السمعاني ، الأنساب ، ص18 .

(2) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحديث ، (القاهرة – د.ت) ، ص304 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص48 .

مادياً برمته ، وعليه اشتهر العديد من هؤلاء الأثرياء ، وكان منهم عدد كبير من ذوي الثراء الفاحش ، وقد ذاع صيتهم بفضل مكرماتهم وكثرت جودهم المستمد من ثرواتهم الطائلة التي تحت أيديهم بدافع من الخلق العربي المشهور والمتحقق في الكرم والجود[1].

ومن ثم فان السيادة الاجتماعية تعتمد على مكانة الأسرة في المجتمع ، فالأسرة العريقة المشهور أفرادها مبجلون مقدرون لمكانة الأسرة ، فقد يرفع احد الأفراد شأن أسرته كلها إذا نال مالاً وجاهاً مثلاً ، أو حاز شرفاً وسيادة بين ذويه ، وقد يحدث العكس فيأتي احد أفراد الأسرة بعمل مشين أو يرتكب جريرة تلحق به وبأسرته كلها الخزي والعار ، ولكن النبل وكرم الأخلاق الحميدة والصفات السامية الحسنة والسيرة القويمة والسمعة الطيبة ترقي أصحابها وتمنحهم السيادة[2] ، وتوضح العديد من الألفاظ والكلمات العربية الواردة في كتب التراث الإسلامي تلك السيادة ، ونجد منها (أشراف القوم) أشراف قريش[3] ، وهم السادة وكبار الناس ذوي البيوت والزعامة بين قومهم ، وهناك أيضاً (رحى القوم) الرئيس المطاع الذي يمتثلون بأوامره[4] ، ويقولون : (جاء سيدنا ، وأنت سيدنا ، وهذا سيدنا) ، وقالوا : (وجهاء القوم) ، ووجوه قريش وسراة القوم وعليتهم ، وعرف أبو سفيان سادة قريش ووجهائها (بخضراء قريش) في معرض حديثه مع النبي ﷺ عام الفتح سنة (8هـ)[5] .

وهناك ألقاب فردية مثل رب قريش وهو هشام بن المغيرة[6] ، وسيد قريش وهو فيهم كثير[7] ، وأواسط الناس سموهم اللهازم[8] ، أما عامة قريش وأحلافها فقد عرفوا باسم

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص59 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص164-165 .

(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص165 .

(3) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص471 .

(4) الرازي ، مختار الصحاح ، ص120 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج14 ، ص313 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص560-562 .

(6) هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي من سادات العرب في الجاهلية من أهل مكة ، وكانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بموته إضافة لبناء الكعبة وعام الفيل ، ينظر : الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت1396هـ/1976م) ، الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2002م) ، ج8 ، ص88 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص165 .

(8) اللهازم : أواسط الناس مرتبة ، و(اللهازم) أصول الحنكين ، وهي استعارة لوسط النسب والقبيلة ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج4 ، ص218 .

أوباش[1] قريش وأذناب الناس[2] ، أما شباب الأسر الثرية فقد عرفوا باسم الفتيان (فتيان قريش) ويراد بهم الشباب أو أهل الكرم والسخاء منهم[3] ، وجاء الإسلام والشرف في قريش متمثل في عشرة بطون هم : بنو هاشم ، وبنو أمية ، وبنو نوفل ، وبنو أسد ، وبنو عبد الدار ، وبنو تيم ، وبنو مخزوم ، وبنو عدي ، وبنو سهم ، وبنو جمح[4] ، وأعطى هؤلاء السادة لمجتمعهم مقابل ذلك الكثير من العطاء الثر في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فقد خدموا المجتمع كله وشاركوا في إيجاد الحلول لكل مشكلة من فض خصومات الأسر ومنازعاتهم الى ما عظم وجسم من المشاكل على الصعيدين الداخلي والخارجي ، فغدوا وجوه الشعب وسادة الأسر[5] .

واتصفت قريش عامة بخصائص وصفات ميزتها عن غيرها من عرب شبه الجزيرة ، فقد تحدثوا عن حلم قريش ولين طباعهم ، وكذلك عن مهاراتهم في التجارة ، وعن الذوق الرفيع[6] ، واشتهرت قريش بالكرم والجود ، فهم أكرم العرب قاطبة ، وهم أفصح العرب لساناً ، وقد صفت لهجتهم عن غيرها من اللهجات العربية[7] ، وخير دليل على ذلك نزول القرآن الكريم بلغة قريش أهل مكة ، وكذلك كان الشعراء العرب يعرضون أشعارهم على قريش قبل قولها وإذاعتها في المواسم والاحتفالات[8] ، وقد امتازوا بالعدل وإنصاف المظلومين ، وإكرام الضيف ، ومساعدة الغريب والمحتاج ، وخدموا الحجيج بعد أن كان سابقوهم يؤجرون الظلال ويبيعون المال[9] ، وحتى صفاتهم الجسدية فقد تميز القرشيون

---

(1) أوباش : هم الأخلاط من الناس من أدنى القوم ، وإنما يستعمل في موضع الذم والاحتقار ، ينظر : القاضي عياض ، مشارق الأنوار ، ج2 ، ص278 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص560 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص663 .

(4) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص471 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص48 .

(6) المرجع نفسه ، ج4 ، ص299 .

(7) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج1 ، ص23-29 .

(8) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص20 .

(9) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص163 .

ببعض الصفات ، وقد ضرب المثل (بجمال قريش) واشتهر العديد منهم بالجمال وحسن الوجه وبهاء الطلعة والهيئة[1] .

وعاشت قريش في بلدها مكة متعاونة متكاتفة في جميع أحوالهم الاجتماعية والتجارية ، جابوا أنحاء الجريرة للتجارة فاستفادوا وأفادوا ، وقد اكتسبوا من رحلاتهم التجارية وأسفارهم كثيراً جداً ، وقد اطلعوا على منابع الحضارة والثقافة في البلاد المختلفة ونهلوا منها واختلطوا بغيرهم من الأمم وتعلموا منهم وأعطوهم مما عندهم ، وقد تعلموا الكتابة وأصولها من عرب الحيرة[2] ، ما يدل على معرفة اهل مكة بدور الكتابة واهميتها في الحياة الاقتصادية لمدينتهم في تدوين عقودهم وصفقاتهم التجارية .

ومع كل هذه المميزات والصفات الحميدة ، فقد كان لقريش نقائصها ومن ذلك (عبية الجاهلية) ، فهي مذمتهم حتى قالوا : (عبية قريش) تخصيصاً ، وذلك لشدة كبرهم وفخرهم بأنفسهم وتفاخرهم بآبائهم وأحسابهم وأحوالهم ، ولكن رغم ذلك كانت قريش القبيلة المتميزة في جميع أحوالها حتى عدتهم العرب سادة مضر وقادتها[3] ، ونحن بصدد كلامنا عن حكومة مكة لابد لنا من التعرف على ابرز من تولى هذا المنصب بعد وصول قصي بن كلاب لرئاسة مكة .

قصي بن كلاب :

هو قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[4] ، ويكن أبا المغيرة[5] ، وإنما قيل له قصي لان ربيعة بن حرام من بني عذرة

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص22 .

(2) ابن حزم ، الجمهرة ، ص429 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص292 .

(4) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، تحقيق : محمد فردوس العظم ، ط2 ، دار اليقظة العربية ، (دمشق – د.ت) ، ج1 ، ص13 ؛ الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت236هـ/850م) ، نسب قريش ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ص12–14 ؛ ابن حبان ، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تحقيق : عزيز بك وجماعة من العلماء ، ط3 ، دار الكتب الثقافية ، (بيروت – 1996م) ، ج1 ، ص40 .

(5) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج1 ، ص52 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص555 .

تزوج أمه فاطمة بنت سعد بن سيل ، نقلها الى بلاد بني عذرة في مشارف الشام ، وقد أخذت معها قصي لصغره وتركت أخاه زهرة في قومه لأنه كان في مصاف الرجال ، فشب قصي في حجر ربيعة فسمي قصياً لبعده عن داره وقومه ، وكان قصي طوال مكوثه في بني عذرة ينتمي لربيعة وينتسب له الى أن كبر ، ثم حدثت مشادة بينه وبين رجل من قضاعة فعَيّره القضاعي بالغربة ، عندها رجع قصي الى أمه وسألها عن قول هذا الرجل ، فقالت له : يا بني أنت أكرم منه نفساً وأباً أنت ابن كلاب بن مرة ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، عند ذلك اجمع قصي على الخروج الى ديار قومه واللحوق بأهله وعشيرته ، فنصحته أمه ان لا يتعجل بالخروج حتى يحين موسم الحج فيخرج مع حجيج بني عذرة ، إذ أنها كانت تخشى عليه ، فلما جاء موسم الحج وخرجت قضاعة قاصدة الحرم خرج معهم ، وبعد أن أتم مراسم الحج قصد أخاه الأكبر زهرة وبقي معه في مكة[1] .

ومما يوصف به قصي أنه كان رجلاً جلداً نسيباً[2] ، فضلاً عما يتميز به من صفات القيادة ، وكان أول عمل قام به كي يرسخ أقدامه في مكة انه تزوج من ابنة سيد مكة والقائم بأمر البيت وهي حُبى بنت حليل بن حبشية الخزاعي ، فلما علم حليل نسب قصي زوجه إياها[3] .

وصول قصي لرئاسة مكة:

مما لاشك فيه ان قصي بن كلاب شخصية تأريخية فذة واضحة المعالم فهو الذي وضع أساس قوة قريش ومكانتها ، وهو الذي اقرها في مكة ونقلها من البداوة الى الحضارة والاستقرار ، ووضع لها سياستها الداخلية التي فيها إنصاف لجميع البطون والقبائل الساكنة في مكة ، ومن بين اكبر فضائله نظام الشورى الذي سار عليه وانفرد به من بين رؤساء القبائل العربية قبل الإسلام وبه تميزت قريش عن الكثير من قبائل العرب قبل الإسلام[4] .

---

(1) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج1 ، ص48 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص255 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص556 .

(2) نسيباً : رجل نسيب : ذو حسب ونسب ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج7 ، ص271 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص255 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص556 .

(4) مؤنس ، حسين ، تاريخ قريش ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 2002م) ، ص109 .

وتختلف الروايات التأريخية في بيان الطريقة التي تولى فيها قصي بن كلاب زعامة مكة ، فتذهب إحدى الروايات الى ان حُليل بن حبشية الخزاعي أوصى بان يتولى قصي ولاية البيت والقيام بأمر مكة من بعده ، وذلك حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر ، وقال : " أنت أولى بالكعبة والقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة "[1] .

أما الرواية الثانية فتقول : إن حُليل قد جعل حينما ثقل عليه المرض ولاية البيت الى ابنته حُبى فقالت : " قد علمت أني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فإني أجعل الفتح والإغلاق الى رجل يقوم لك به ، فجعله الى أبي غبشان وهو سليم بن عمرو بن بويّ بن ملكان بن أفصى ، فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خمر[2] وبعود[3] ، فلما رأت خزاعة ذلك كثروا على قصي فاستنصر أخاه فقاتل خزاعة "[4] ، وذكر ابن سعد : أن أبا غبشان هذا هو ابن حليل وكان يلقب بـ(المحترش)[5] ، وقيل : أن الصفقة كانت زق خمر وكبش ، فقال الناس : أخسر من صفقة أبي عبشان فذهبت مثلاً ، وقد قال الشاعر :

أبو غَبْشانَ أظلَمُ مِنْ قُصي ... وأظلمُ مِنْ بَني فَهرٍ خُزاعة
فلا تَلوموُا قصياً فِي شِراهُ ... ولوموا شَيْخَكُم إذ كانَ باعَه[6]

وقال شاعر آخر :

إذا افْتَخَرتْ خُزاعةَ في قَديمٍ ... وَجَدنا فَخْرَها شُربُ الخُمورِ
وباعَتْ قِبلةُ الرَّحمنِ جَهلاً ... بزقٍ بِئْسَ مُفْتَخَرِ الفَخور[7]

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص257 .
(2) الزق : وعاء للشرب من الجلد المجزوز شعره ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص13 .
(3) العود : الجمل المسن الذي فيه بقية قوة ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج3 ، ص80 .
(4) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص256 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص556 .
(5) الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص68 .
(6) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1992م) ، ج2 ، ص220 .
(7) ابن سعيد الأندلسي ، نشوة الطرب ، ص214 ؛ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري (ت1089هـ/1679م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ، (دمشق – 1986م) ، ص171 .

وذكرت المصادر رواية ثالثة مفادها : " أنه لما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حُليل بن حبشية ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن قريش فرعة إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ، وصريح ولده فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة ودعاهم الى إخراج خزاعة من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه كتب الى أخيه من امه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه يدعوه إلى نصرته والقيام معه ، فقام رزاح بن ربيعة في قضاعة فدعاهم الى نصر أخيه والخروج معه إليه فأجابوه الى ما دعاهم من ذلك "[1] .

وقال رزاح حين انجد قصياً :

وانّي في الحَياةِ اخو قُصيٍ ... إذا ما نابَهُ ضَيمٌ أبَيْتُ

فما لَبِثَتْ خُزاعةَ أنْ أقَرَّتْ ... لهُ بالذُلِ لمّا أنْ أتَيْتُ[2]

ويرى أحد الباحثين من خلال مقارنة الروايات الثلاث ، أن الرواية الأولى هي الأقرب للمنطق والصواب ، والتي تؤكد على أن قصياً قد تولى زعامة مكة بناءً على وصية حُليل الخزاعي ، وذلك لأن الرواية الثانية تبدو ضعيفة ، إذ ليس من المعقول ان يعهد حليل لأبنته بولاية البيت وهي عاجزة عن القيام بمتطلبات هذا المنصب مع وجود ولد له قادر على تولي متطلباته ، أما أذا كان أبو غبشان هو ليس ابن حُليل كما تذكر رواية الطبري ، فلماذا يعهد إليه بهذه المهمة نيابة عن ابنته ويتجاوز زوجها قصي بن كلاب؟[3] ، لاسيما وقد ذكر احد المؤرخين في وصفه لأبي غبشان هذا في قوله : " وان المحترش كان مضعوفاً "[4] ، أما الرواية الأخيرة التي تذهب الى أن قصياً قد انتزع زعامة مكة بالقوة ومن غير الاستناد الى مسوغ شرعي فتدفعها رواية أخرى تقول : أنه لما رفضت خزاعة أن يتولى قصي إدارة مكة وقامت بمحاربة قصي ومن نصره من قومه وكثر القتلى

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص256 .

(2) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص50 .

(3) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2008م) ، ص266 .

(4) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص49 .

بين الطرفين تداعوا الى الصلح واتفقوا على أن يُحكموا بينهم حكماً من العرب : " فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة "[1] .

ويبدو لنا مما تقدم أن قصياً قد تولى ادارة مكة بناءً على وصية والد زوجته حُليل الخزاعي ، وأن المعارضة التي ظهرت بين ابناء قبيلة خزاعة ترجع الى رغبة هذه القبيلة في الاحتفاظ لنفسها بزعامة مكة وخوفها من الاثار المترتبة على انتقال هذه الزعامة الى رجل من قبيلة قريش ، الا ان قصياً عرف كيف يتغلب على هذه المعارضة بحكم كفاءته الشخصية وقدرته على الاستعانة بأبناء قبيلته من قريش وكنانة وأبناء قبيلة قضاعة من بني عذرة الذين كان له أخوة من بينهم ، فضلاً عن أنه كان قد نشأ في ديارهم على ما ذكره الازرقي[2] .

وقد ذكر ابن قتيبة رواية أنفرد بها ، فقد ذكر في معرض حديثه عن ملوك الشام : أن قصياً ذهب الى مكة " فحارب خزاعة بمن اتبعه وأعانه (قيصر) عليها وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريش وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجمعاً "[3] ، ولم يوضح ابن قتيبة حقيقة أو شكل الإعانة التي قدمها قيصر لقصي ، وقد ذكر الدكتور الملاح : أن ابن قتيبة قصد من كلامه هذا معاونة حلفاء الروم من بني عذرة وقضاعة الذين كانوا يقيمون على تخوم الشام لقصي ، ولا يبدو أنه كانت تقف وراء مساعدتهم لقصي عوامل سياسية تتصل بالسياسة العامة للروم تجاه مكة ، وإنما تكمن دوافع المساعدة بالعلاقة العائلية التي كانت تربط قصي ببني عذرة وعملاً بالتقاليد القائمة بين العرب ، وان مما يؤكد هذا الاستنتاج أن السياسة العامة لأهل مكة كانت الوقوف على الحياد في الصراع الدائر بين الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية منذ عهد قصي وحتى عصر الرسالة[4] ، وأشار الدكتور صالح العلي : الى أن المقصود بتقديم المساعدة هم الغساسنة[5] .

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص258 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص556 .

(2) أخبار مكة ، ج1 ، ص105-107 .

(3) ابن قتيبة ، المعارف ، ص640-641 .

(4) الملاح ، الوسيط ، ص267 .

(5) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص291 .

ويبدو أن المقصود من قول ابن كثير : " ورجع الحق الى نصابه ورد شارد العدل بعد إيابه ، واستقرت بقريش الدار ، وقضت من خزاعة المراد والاوطار ، وتسلمت بيتهم العتيق القديم "[1] ، أنهم أبناء إسماعيل عليه السلام وذريته ، فهم أحق بمكة والحرم من غيرهم .

(1) البداية والنهاية ، ج3 ، ص237 .

المبحث الثاني
استقرار قريش في مكة

قريش في مكة :

بعد أن استتبت الأمور في مكة لقصي وتولى شؤون إدارتها ، قام بتجميع أبناء قبيلته (قريش) وأسكنهم في مكة من اجل أن يقوي حكمه ومركزه بالاستناد إلى تأييدهم ، وقد كانت قريش قبل ذلك تعيش في جوانب مكة وأطرافها فكان بعضهم يعيش في شعاب ورؤوس جبال مكة .

ثم أن قصي أراد ان يحول قريش الى قبيلة مستقرة وفي مدينة عامرة بعد أن كانت في أطراف مكة متفرقة في بني كنانة وكانوا لا يقيمون ليلهم في الحرم فأخبرهم قصي بأن سكنهم حول البيت سيمنع العرب من قتالهم وأنهم سيصبحون سادة العرب لجوارهم حرم الله وبيته[1] .

وقد قام قصي بتقطيع بطن مكة رباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ، فسمي مجمعاً وفيه يقول مطرود الخزاعي :

أبوكُمُ قُصيٌّ كانَ يُدعى مُجَمِّعَاً ... بِه جَمَعَ اللهُ القَبائلَ مِنْ فَهْرٍ
وانْتُم بَنو زَيْدٍ وزَيْدٌ أبوكُمُ ... به زِيدَت البَطْحاءُ فَخْراً على فَخْرٍ[2]

وكانت قريش قد هابت قطع الشجر الذي حول البيت ، فقام قصي بقطعه بيده ، فقد ذكر البلاذري ما نصه : " أنزل قصي قريشاً وكان بالبلد عضاة[3] ، فقطعها فاستوحشوا من ذلك ، فقال : إنكم لستم تريدون الفساد إنما تريدون التوسعة وتستعينون على منازلكم ، ويقال : أنهم استأذنوه في قطع الشجر فأباه فبنوا والشجر في منازلهم ... ثم اضطروا الى قطعه فقطعوه "[4] .

واستناداً الى النص المتقدم ذهب بعض الباحثين الى الاعتقاد بان مكان البيت الحرام او مكة كانت خالية من المساكن قبل أن يقوم قصي بإسكان قريش في بطن واديها وحول

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص30 .
(2) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص51 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص256 .
(3) العضاة : ما عظم من الشجر الذي له شوك ، ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج6 ، ص2240 .
(4) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص58 .

البيت الحرام ، أو أن بيوته كانت قليلة حصرت بسدنة البيت وبمن كان له علاقة بخدمته ، لذلك نبت فيه الشجر حتى غطى سطح الوادي[1] ، لكن الدكتور هاشم الملاح له رأي آخر في هذا الموضوع فيقول : إن استقراء الروايات ترجح القول بان باطن مكة كانت فيه منازل لأبناء قبيلة خزاعة ، وربما لغيرهم أيضاً ، مستشهدا برواية الازرقي عن التحكيم الذي جرى بخصوص النزاع بين قصي وخزاعة حول ولاية البيت ، فذكر أن الحكم قضى بأن تسلم خزاعة ولاية البيت الى قصي " وان لا تخرج خزاعة من مساكنها في مكة "[2] ، كما أورد نصاً أخر للازرقي يؤيد استمرار إقامة خزاعة في مساكنها في مكة[3] .

ثم انَّ الطبري أورد رواية تؤكد سكن خزاعة في بطن مكة وتشير الى أن قسماً منهم قد غادر مكة بسبب الوباء ، مما أفسح المجال لتملك أبناء قبيلة قريش لمساكنهم ، ويقول الطبري : " فبلغنا والله أعلم أن خزاعة أخذتها العدسة[4] حتى كادت تفنيهم ، فلما رأت ذلك جلت عن مكة فمنهم من وهب مسكنه ومنهم من باع ومنهم من أسكن "[5] .

إن ما تقدم يدل على أن مكة كانت مدينة عامرة بالمساكن قبل ان يتولى قصي إسكان قبيلة قريش فيها ، وأن هذا الوضع ينسجم مع ما ذكرته الأخبار من أن مكة مدينة عريقة تقع على طريق التجارة بين اليمن والشام ، وإنها قد نشأت منذ زمن إسماعيل عليه السلام وأن أقواماً متعددة تعاقبت على السكن فيها ورعاية البيت الحرام الذي كان قائماً فيها ، ويبدو أن ما دفع بعض الأخباريين والمؤرخين الى نسبة شرف إنشاء مدينة مكة الى قصي الذي هو الجد الخامس للنبي محمد ﷺ هو ميلهم الى تعظيم دور قصي وقبيلة

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص52 .

(2) الوسيط في تاريخ العرب ، ص268.

(3) المرجع نفسه ، ص268 .

(4) العدسة : هي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالباً ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج3 ، ص190 .

(5) تاريخ ، ج2 ، ص256 .

قريش والإشادة بفضلها لاسيما وان هؤلاء المؤرخين والاخباريين مسلمون قد نشأوا في ظل حكم خلفاء ينتمون الى قبيلة قريش[1] .

ثم أن قصياً لم يقم بإسكان جميع بطون قريش في مكة وانما قسمهم الى صنفين هما (قريش البطاح) و(قريش الظواهر) كما ذكر ذلك ابن كثير بقوله : " وأنزل قصي قبائل قريش أبطُح مكة ، وأنزل طائفة منهم ظواهرها ، فكان يقال : قريش البطاح وقريش الظواهر ، فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة "[2] ، وعلى هذا فلا بد لنا من التعرف أكثر على هذين الصنفين :

1 . قريش البطاح :

هم نخبة من بطون قريش الذين يسكنون في داخل مكة ويتولى رجالها الإدارة والوظائف الكبرى ومنهم (التجار والأثرياء) الذين كانوا يقومون بالحركة التجارية ، وهو حسب ما يروي ابن حبيب : " بنو عبد مناف ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد العزى ، وبنو عبد قصي بن قصي بن كلاب ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم ، وبنو جمح ابنا عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو حسل بن عامر بن لؤي ، وبنو هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وبنو هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر "[3] .

وقد اتخذوا البيوت سكناً لهم واستقروا فيها وأصبحوا أهل مدر ، فهم كما وصفهم الثعالبي بقوله : " هم لباب قريش وصميمها الذين اختطوا بطحاء مكة وهي سرتها فنزلوها "[4] .

---

(1) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص268-269 .

(2) البداية والنهاية ، ج3 ، ص237 .

(3) المحبر ، ص167-168 .

(4) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1038م) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد بك أبو شادي ، مطبعة الظاهر ، (القاهرة – 1908م) ، ص96 .

2 . قريش الظواهر :

فهم البطون التي لم تنزل مع قصي أبطح مكة بل بقيت في خارج الوادي وضواحيه وهم : " بني معيص بن عامر بن لؤي ، وتيم الادرم بن غالب بن فهر ، ومحارب والحارث ابنا فهر "[1] ، وقريش الظواهر أعراب بقوا على بداوتهم وكانوا يغيرون على القبائل المحيطة بهم ويغزون غيرهم[2] .

ويتسائل الدكتور صالح العلي عن هذا التقسيم بقوله : لم أعثر بين المعلومات التي وصلت إليَّ ولا بين ما نقله الاخباريون عن تقسيم قصي لقريش الى مجموعتين الاباطح والظواهر أية إشارة توضح لنا طبيعة وماهية هذا التقسيم ، ولا الأسس التي اعتمدها ، وهل هي بدعة ابتدعها لغاية ومأرب في نفسه ، أم أنه اقتباس من بلاد أخرى[3] ، ويعلل أحد الباحثين ذلك بقوله : والذي اعتقده أن قصياً ربما تأثر بما لاحظه وشاهده في بلاد الشام أيام حياته الأولى ولمس ما كان عليه أهل المدن من سكن في البيوت واستقرارهم فيها وتقدمهم الحضاري وحياتهم المتميزة عن حياة أهل البادية الذين يفدون الحواضر للامتيار والاتجار معهم ، فأراد أن يكون له ولبنيه من بعده مثل ذلك ، فنزل أبطح مكة وتمسك به وبنى الدور ، وأنزل معه من قومه ما يعزز ويدعم أمر أبنائه من بعده ويشد من أزرهم ويجعل منهم عصبة قوية تحافظ على ما أحرزه لهم من سيادة في مكة ، وأن من أنزلهم معه هم أقرب البطون من قريش إليه[4] .

ومن الممكن ان نحلل إجراء قصي هذا بما وقع في نفسه من المناجزة التي قامت بينه وبين رفيع القضاعي الذي عَيرهُ وغمزه بأصله ونسبه كما ذكر ذلك بعض المؤرخون[5] ، فبقيت هذه الحادثة عالقة في ذهنه ، فلما عاد الى مكة بين قومه عمل للاستيلاء على مكة ، فكلم وجوه قومه فأجابوه ، وبعد انتصاره على خزاعة ، فلربما ان الذين أجابوه وناصروه من قريش على خزاعة أنزلهم معه في ابطح مكة ، أما الذين سكنوا الظواهر فمن المحتمل أنهم لم يكونوا من المتحمسين بشكل واضح لمساندة قصي أو أنهم

---

(1) ابن حبيب ، المحبر ، ص168 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص273 .

(2) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج11 ، ص53 .

(3) تاريخ العرب القديم ، ص141 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص30 .

(5) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص67 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص17 .

لم يكونوا يرغبون السكن في البيوت وترك الغزو ، إذ انَّهم تمسكوا ببداوتهم واعتمدوا الغزو والإغارة على من جاورهم[1] .

ويبدو أن الرأي الأخير القائل : أنهم تمسكوا ببداوتهم وأنهم كانوا يغيرون على جيرانهم هو أقرب الأسباب التي أدت الى هذا التقسيم ، لاسيما وقد علمنا أنهم كانوا يعيرون ويعيبون على قريش البطاح تركهم للغزو والإغارة على القبائل الأخرى كما أخبر بذلك البلاذري في انساب الاشراف[2] .

عبد مناف بن قصي :

وأسمه المغيرة وكان يقال له : القمر من جماله وحسنه ، وجعلته أمه حُبَّى بنت حليل خادماً لمناف وهو أعظم أصنامهم ، تديناً بذلك وتبركاً به فسماه أبوه عبد مناف ، وذكر ان قصي بن كلاب قال : ولد لي أربعة فسميت اثنين بصنميّ وواحداً بداري وواحداً بنفسي وهم : عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي ، وعبد الدار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي ، أمهم جميعاً حُبى بنت حليل[3] .

وذكر أن معنى المغيرة : من الإغارة لأنه كان يغير على الأعداء[4] ، وانه وجد كتاباً في حَجَر : أن المغيرة بن قصي أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم[5] ، وكان عبد مناف يكنى أبو عبد شمس[6] ، وذكر السهيلي : أن الصنم الذي كان عبد مناف في خدمته هو مناة فقال ما نصه : " وكانت أمه حُبى قد أخدمته مناة وكان صنماً عظيماً لهم ، وكان سمي به عبد مناة ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص30 .

(2) ج11 ، ص53 .

(3) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص52-53 ؛ الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص254 .

(4) ابن حديدة ، ابو عبد الله جمال الدين محمد بن علي بن احمد بن حسن الانصاري (ت783هـ/1381م) ، المصباح المضيىء في كتاب النبي الامي ورسله الى ملوك الارض من عربي وعجمي ، تحقيق : محمد عظيم الدين ، عالم الكتب ، (بيروت – د.ت) ، ج1 ، ص13 .

(5) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص52 ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج1 ، ص156 .

(6) ابن الاثير ، الكامل ، ج1 ، ص555 .

مناف "[1] ، وبعد أن توفى قصي بن كلاب أفضت رئاسة قريش الى أبنه عبد مناف فجاد وزاد حتى قال فيه الشاعر :

كانَتْ قُريشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقتْ ... فالمُحُّ خالِصَةً لعَبدِ مَنافٍ

فاستحكمت رئاسته لمكة بعد ابيه لما اتصف به من الجود والكرم ، ثم لما اتبعه من سياسة أفضت عليه مزيداً من الفخر ، ثم تبعه ابناءه من بعده وعلى رأسهم هاشم بن عبد مناف سيد مكة[2] ، وولد لعبد مناف سوى هاشم : عبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ، ونوفل بن عبد مناف وأبا عمرو وأسمه عبيد وأمهما واقدة بنت أبي عدي من بني مازن بن صعصعة ، وكان يقال لهاشم : والمطلب (البدران) وكان لعبد مناف من البنات : تماضر وحيّة وقلابة وهالة وبرة وريطة[3] .

هاشم بن عبد مناف :

وأسم هاشم عمرو ، وكنيته أبو نضلة[4] ، وإنما قيل له : هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وذلك ان أهل مكة أصابهم جدب شديد ومجاعة ، فهشم لهم الخبز واطعم الثريد ، وقد كان من صفاته انه كان جواداً سرياً سخياً لا يفتر من الاضياف[5] .

وذكر شارح السيرة في معنى الثريد ولمَ سمي هاشماً بهذا الاسم فقال : " المعروف في اللغة أن يقال : ثردت الخبز ، فهو ثريد ومثرود ، فَلَم يسم ثارداً وسمي هاشماً ... ولكن سبب هذه التسمية يحتاج الى زيادة بيان ، فقد ذكر أصحاب الأخبار : أن هاشماً كان يستعين على إطعام الحاج بقريش فيرفدونه بأموالهم ويعينونه ، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشاً أمر الرفادة ، فأحتمل الى الشام بجميع ماله واشترى به أجمع كعكاً ودقيقاً ، ثم أتى الموسوم فهشم ذلك الكعك كله هشماً ودقه دقاً ، ثم صنع للحجيج طعاماً

---

(1) الروض الأنف ، ج1 ، ص27 .

(2) الماوردي ، أعلام النبوة ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت – 1988م) ، ص192 .

(3) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص62-63 .

(4) ابن الاثير ، الكامل ، ج1 ، ص553 .

(5) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص58 ؛ الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص251 .

شبه الثريد ، فبذلك سمي هاشماً ، لان الكعك اليابس لا يثرد ، إنما يهشم هشماً ، فبذلك مُدِحَ "[1] ، حتى قال شاعرهم فيه وهو عبد الله بن الزبعري :

عَمْرو العُلى هَشَمَ الثَّريـدَ لِقَومِـهِ ... ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ[2] عِجافُ[3]

كانَتْ إليهِ الرِحْلَتانِ كِلاهُـــما ... سَفرُ الشِّتاءِ ورِحلةُ الأصْيافِ

يا أيُّها الرَجُلُ المُحَول رَحْلَـــهُ ... هَلّا نَزَلْـــتَ بِآلِ عَبدِ مَنافِ

هَبَلَتْكَ أُمُكَ[4] لَو نَزَلْتَ عَلَيهِـمُ ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُـوعٍ واِقْـــرافِ[5][6]

وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف[7] ، وهو أول من اخذ الإيلاف لقريش[8] (والتي سنتحدث عنها في علاقات قريش التجارية) ، وقال وهب بن عبد قصي بن كلاب مفتخراً ، يعني في إطعام هاشم قومه الثريد :

تَحَمَّلَ هاشِمٌ ما ضاقَ عَنْهُ ... وَأعْيا أنْ يَقومَ بِه أبنُ بيضٍ[9]

أتاهُم بالغَرائِرِ[10] مُتأقْاتٍ[11] ... مِنْ أرضِ الشّامِ بالبُرَّ النَّفيضِ

---

(1) السهيلي ، الروض الأنف ، ج2 ، ص56 .

(2) مسنتون : (سَنَتَ) واسنت القوم أي اصابتهم سنة شديدة من القحط ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج7 ، ص238 .

(3) عجاف : التعجيف : سوء الغذاء والهذال ، والعَجَفَ : ذهاب السَّمَن : ينظر ، الهروي ، تهذيب اللغة ، ج1 ، ص245 .

(4) هبلتك أمك : هبلته أمه : ثكلته فهو مُهَّبل ، وتأتي للمدح والذم والتعجب ، ينظر : ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) ، ج4 ، ص322.

(5) اقراف : القرف ، ملابسة الداء ومداناة المرض والتلف والهلك ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص56 .

(6) ابن حبيب ، المنمق ، ص28 .

(7) ابو عروبة ، الأوائل ، ص62 .

(8) أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ص26 .

(9) ابن بيض : هو رجل من قوم عاد نزل به قوم فنحر لهم جزوراً سدت طريقاً في الوادي ، فقيل : سد ابن بيض السبيل فذهب مثلاً ، ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص59 ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، ص1068 .

(10) الغرائر : جمع غرارة بكسر الغين وهي وعاء من صوف او شعر لنقل التبن وما أشبهه ، ينظر : النسفي ، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن احمد بن إسماعيل (ت537هـ/1142م) ، طلبة الطلبة ، مكتبة المثنى ، (بغداد – 1893م) ، ص110 .

(11) متأقات : ممتلئات ، يقال : أتأقت الإناء إذا ملأته ، ينظر الخطابي ، غريب الحديث ، ج2 ، ص248 .

فأوْسَعَ أهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشيمٍ ... وشابَ الخُبزُ بِاللّحمِ الغَريضِ[1]
فَظَلَ القَومُ بَينَ مُكَلَّلاتٍ[2] ... مِنَ الشَّيزاءِ[3] حائِرُها يَفيضِ[4]

" فحسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، وكان ذا مالٍ فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش وأحفظوه ، قال : فأني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي ، فنفَّر هاشم عليه فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين "[5] .

وكان هاشم أول من توفي من أبناء عبد مناف ، وقد توفي في غزة[6] ، ثم توفي بعده عبد شمس بمكة ودفن قرب أجياد ، ثم نوفل وقد مات بسلمان من طريق العراق ، والمطلب مات بردمان من أرض اليمن ، فقال مطرود الخزاعي يرثيهم وكان يتبعهم ويكون في كنفهم ورعايتهم :

أنَّ المَغِيراتِ وَأبْناءَهُم ... لَخَيرِ أحْياءٍ وَأمواتِ
أرْبَعَةٌ كُلُّهُم سَيِّدٌ ... أبْناءُ ساداتٍ لِساداتِ
أخْلَصُهُم عَبدُ مَنافٍ فَهُمْ ... مِنْ لَومِ مَنْ لامَ بِمَنجاتِ
قَبْرٌ بِرَدْمانَ وقَبْرٌ بِسَـ ... ـلْمانَ وقَبْرٌ عِنْدَ غَزّاتِ
ومَيِّتٌ ماتَ قَريباً لَدى ... الحُجُونِ عَنْ شَرقِ البَنيّاتِ[7]

---

(1) الغريض : اللحم الغريض الطري ، ينظر : الازدي ، جمهرة اللغة ، ج2 ، ص749 .
(2) مكللات : الجفان المملوءة ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج30 ، ص352 .
(3) الشيزي : الخشب الاسود الذي تعمل منه الجفان والقصاع ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج7 ، ص274 .
(4) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص58 ؛ الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص253 .
(5) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص57 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص253 .
(6) غزة : بفتح اوله وتشديد ثانيه بعده هاء التأنيث ، موضع بديار جذام (فلسطين) من مشارف الشام ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص997 .
(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص45 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص63 ؛ الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص254.

عبد المطلب بن هاشم :

هو شيبة بن هاشم ، ويسمى شيبة الحمد ، ويكنى أبا الحارث لأنه الأكبر من ولده ، وكان قد حاز ما وصل إليه أبوه من قبل وأعمامه من شرف وسيادة في قومهم ومن العرب فلم يكن يعدل به منهم احد[1] .

ثم أنه سمي عبد المطلب لان أباه هاشماً كان قد ذهب في تجارة له الى الشام فسلك طريق المدينة إليها ، فلما وصل المدينة نزل ضيفاً عند عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى وأعجبته فخطبها من أبيها له واشترط عليه إلا تلد ولداً إلا في أهلها ، ثم ذهب هاشم في تجارته وتركها عند أهلها ، ولما رجع أخذها معه الى مكة وعندما حان موعد ولادتها رجع بها الى أهلها تنفيذا للشرط الذي تعاهد عليه مع أبيها ومضى هو الى الشام وتوفي في غزة[2] .

وكانت سلمى بنت عمرو زوج هاشم قد ولدت له شيبة وسمي كذلك لشيبة في رأسه ، ثم مكثت في المدينة سبعاً او ثماني سنين ، ثم صادف أن مر رجل من قريش في المدينة فوجد غلماناً يتنضلون[3] ، فكان شيبة بن هاشم إذا أصاب هدفه قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيد البطحاء ، فقال له الرجل : من أنت؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف ، فلما رجع القرشي الى مكة قال للمطلب : وقد كان جالساً في حجر الكعبة وأخبره ما رأى وسمع في يثرب (المدينة المنورة) ، ، فذهب المطلب من ساعته فلما وصل للمدينة عرف ابن اخيه ، وطلب منه الذهاب معه الى مكة ديار أهله ، فما تأخر في ذلك ، بل ركب مع عمه ، وقيل بل انه ارجع أمره الى والدته فأذنت له[4] .

فلما وصلا الى مكة ، وكان الوقت ضحوة والناس في أنديتهم ، فكلما سأله احد من الذي يركب خلفك يقول : عبد لي اشتريته ، ثم ادخله بيته والبسه ثياباً جديدة ، ثم خرج به الى نوادي قومه فغلب اسم عبد المطلب عليه[5] ، وقيل : انهم عندما قالوا : هذا عبد

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص28 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص251 .

(2) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص60 ؛ الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص247 .

(3) يتنضلون : يتسابقون برمي السهام ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج5 ، ص72 .

(4) الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص248 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص550 .

(5) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص65 .

المطلب رد عليهم المطلب بقوله : ويحكم إنما هو ابن أخي شيبة بن هاشم ، فلما رأوه على حلته الجديدة قالوا : ابنه لعمري[1] ، لما رأوا من شبه بينه وبين أبيه هاشم .

وبعد أن توفي المطلب بن عبد مناف صارت رئاسة مكة الى عبد المطلب ، وفي عهده حفر بئر زمزم بئر إسماعيل عليه السلام واستخرج ما كان فيها مدفوناً ، وكان فيها غزالان من ذهب كانت جرهم قد دفنتها حين أخرجت من مكة وأسياف وادراع ، فجعل الأسياف باباً للكعبة وضرب الغزالين صفائح من ذهب وعلقهما على باب الكعبة ، فكان ذلك أول ذهب حليت به الكعبة[2] .

ومن جملة مآثره كما اخبر بذلك أهل التأريخ ما ذكره أبو هلال العسكري والبيهقي فقالا : " لقي عبد المطلب من قريش أذى كثيراً حين أقام سقاية زمزم ، وحسدوه حسداً شديداً لانصراف الناس إليها عن غيرها لمكانها من المسجد الحرام ، ولأنها بئر إسماعيل عليه السلام ، فنذر لئن ولد له عشرة نفر بلغوا مع حتى يمنعوه ليذبحن احدهم لله عند الكعبة ، فلما توافى بنوه عشرة : الحارث والزبير وحَجل وضرار والمقوَّم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله جمعهم ، ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله به فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ، قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ... فخرجت القداح على عبد الله ، وكان أحب ولده إليه ، وكان هو وأبو طالب لفاطمة بنت عمر بن عابد المخزومي فأخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ... فقامت إليه قريش فقالوا : لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ولو كان فداه أموالنا أفديناه وانطلق الى الحجاز فان فيه عرافة فأستخرها ... "[3] .

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص66 .

(2) الطبري ، التاريخ ، ج2 ، ص251 .

(3) الأوائل ، ص29 ؛ البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت458هـ/1066م) ، دلائل النبوة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1984م) ، ج1 ، ص98 .

فهو ابو عبد الله الذبيح وجد النبي ﷺ ، ومما قيل فيه من مدح قول مطرود الخزاعي:

يا شَيبَةَ الحَمدِ الذي تُثْنى لهُ ... أيّامَهُ مِنْ خَيرِ ذُخْرِ الذّاخِـرِ
المَجدُ ما حَجَتْ قُريشٌ بَيتَهُ ... ودَعا هَديلٌ فَوقَ غِصنٍ ناضِرِ
واللهِ ما أنْساكُمُ وفِعالِكُـــم ... حتى أغيبَ في سَفاةِ القابِـــرِ
فلأحْبُوَنَّكَ ما حَبَوتُ أبـاكُمُ ... مِنْ مَدحَـةِ فُلْجٍ وقَـــولٍ سائرِ
البَدْرُ شَيبَةَ أو هِلالٌ طالــعُ ... وَقَفَ الحَجيجُ لـهُ بِـــوادٍ غائرِ [1]

وقال في وصفه معاوية بن أبي سفيان : " كان عبد المطلب بن هاشم جواد العرب وفارس الكرب المطعم بالسغب – يعني الجوع – "[2] .

---

(1) ابن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت656هـ/1258م) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة – د.ت) ، ج15 ، ص200 .

(2) الضبي ، العباس بن الوليد بن بكار (ت222هـ/837م) ، أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق : سكينة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1983م) ، ص20 .

المبحث الثالث

سياسة قريش الداخلية والخارجية

1 . السياسة الداخلية :

أدرك قصي بن كلاب بعد توليه أمور مكة إن قريش لا يمكن أن تستمر في سيادتها لمكة دون أن تتجاوز الظروف الداخلية ، لذلك شرع بتنظيم أمور مكة وشؤونها ، وتمكن بمهارة فائقة من تطوير بعض الأنظمة القبلية لجعلها ملائمة وموافقة لأوضاع مكة والتي أوجدت نوعاً من التنظيم الإداري والسياسي والاجتماعي والعسكري والمالي .

وأول عمل قام به هو تحقيق وحدة القبيلة بجمع بطونها وقد نجح في ذلك ، إذ أجابه قومه لذلك ، وبذلك فهو أول من حقق وحدة القبيلة التي استمرت محافظة عليها أكثر من قرنين ونصف القرن ، أي منذ عهد قصي وحتى ظهور الإسلام ، وكان سر قوتها في تلاحمها وقدرتها على حل مشاكلها وخلافاتها التي تواجهها ذاتياً منعاً لحدوث أي انقسام فيها من خلال إقامة العديد من التحالفات الداخلية التي حافظت على التوازن الداخلي للقبيلة وموقفها الموحد ، وقد أدى استقرار قريش الى نمو مواردها الاقتصادية وعلو مكانتها السياسية بسبب اهتمامها بالحج ومناسكه ودورها في التجارة الداخلية وتطوير أسواق مكة ، وقد أدى الثراء الذي أصاب القرشيون الى ظهور مراكز للقوى وتفاوت قوة ومكانة هذه القوى بحسب قدراتها المالية وعدد رجال بطونها وقدرتها على تنظيم صلات أفضل مع القبائل وجلب المنفعة لقريش ، مما أدى الى ظهور خلافات ومشاكل داخل قريش ، ولأجل كبح جماح هذه القوى المتنامية ظهرت التحالفات الداخلية[1] .

ونظراً لأهمية الأحلاف في تاريخ العرب نجد أنهم وضعوا لها أعرافاً وقواعد تنظمها ورافق عقد الأحلاف طقوس وممارسات تؤكد على أهميتها ، فمثلاً كان أفضل الأوقات لعقد الأحلاف هي الأشهر الحرم أو في الأسواق العامة ، وفي مكة كانت مراسيم الحلف تقام حول الكعبة أو في دار الندوة أو في بيوت رؤوساء القبائل ، ومن المراسيم والطقوس

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص59 .

المرافقة لعقد الأحلاف إقامة ولائم الطعام أو غمس الأيدي في مواد معينة كالماء والملح والرماد والطيب والدم وغير ذلك[1] .

والحلف لغةً : القسم ، ورجل حلاف بمعنى كثير الحلف ، وحالف فلان فلاناً فهو حليفه وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالإيمان أن يفي كلٌّ لكلٍ ، فلما لزم ذلك عنهم في الأحلاف التي في العشائر والقبائل صار كل شيء لزم شيئاً ولم يفارق حليفه ، والحلف : المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق[2] ، وتحالف القوم محالفة إذا تحالفوا على النصرة والجمع حلفاء[3] ، ويعقد الحلف باتفاق الطرفين شفاهاً ، ويعلن للناس فيكون ساري المفعول ، وكذلك حالة إلغاءه فيتم بالإعلان عن ذلك أيضاً ، وقد ذكر ابن إسحاق : أن أبي بكر الصديق ﷺ خرج مهاجراً فتلقاه ابن الدغنة وهو سيد الاحابيش فقال : " أين يا أبا بكر؟ فقال : آذاني قومي وأخرجوني من بلادي ... فلما دخل مكة قام فصرخ بمكة : يا معشر قريش أني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يؤذيه أحد "[4] ، ولما أراد أبو بكر ﷺ أن يخرج من الحلف قال لابن الدغنة : " أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ، فقال : نعم ، فقال أبو بكر ﷺ : لقد رددت عليك جوارك ، فقال ابن الدغنة : يا معشر قريش أن أبا بكر قد رد عليَّ جواري فشأنكم بصاحبكم "[5] .

أما أهم الأحلاف الداخلية فهي :

1 . حلف المطيبين وحلف الأحلاف (لعقة الدم) :

يعد هذان الحلفان من الأحلاف المهمة في تاريخ شبه الجزيرة العربية السياسي لاسيما في مكة المكرمة ، لأن هذين الحلفين عقدا للدفاع عن الحقوق والمصالح المشتركة للأطراف المتنازعة ، وتكمن أهمية هذين الحلفين في التوزيع العادل للوظائف السياسية والدينية والتجارية بين بطون قريش في مكة ، والذي نشأ عنه الاستقرار

---

(1) جبران ، نعمان محمد وروضة سحيم آل ثاني ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، دار اليازوري ، (عمان – 2011م) ، ص260 .

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج6 ، ص75 .

(3) الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص554 .

(4) ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت151هـ/768م) ، السير والمغازي ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت – 1978م) ، ص235 .

(5) المصدر نفسه ، ص235 .

والتضامن بعد الصلح الذي تم بينهم ، وكان دافعهم الرئيس هو ضمان ازدهارهم التجاري المشترك في حال تثبيت هذا الاستقرار .

والأحلاف من قريش خمس قبائل سموا بذلك لما أراد بنو عبد مناف اخذ ما في أيدي بني عبد الدار من الوظائف الإدارية ورفضت ذلك بنو عبد الدار ، عند ذلك عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً فسموا المطيبين ، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفاً أخر مؤكداً على ألا يتخاذلوا فسموا الأحلاف[1] ، وسمي الأحلاف (لعقة الدم) لأنهم نحروا جزوراً فلعقوا من دمها أو لأنهم غمسوا أيديهم فيه[2] .

وقد اشتركت عدد من القبائل في هذه الحلفين : فكانت قبائل المطيبين : " بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف "[3] ، وقبائل الأحلاف : " بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار "[4] .

وكان سبب اختلاف قريش وعقد الحلفين ان قصي بن كلاب كان سيد أهل مكة وشريفها لا ينازعه احد في ذلك ، فلما كبر ورق عظمه جعل بعض الوظائف الى ابنه عبد الدار وكان مضعوفاً مسناً فخصه بذلك ليلحقه بأخوته ، فلما هلك قصي أقام عبد مناف على مكة وأمر قريش بعد موت أبيه ، وبعد أن هلك عبد مناف أراد بنوه أخذ ما

---

(1) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج5 ، ص67 .

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج26 ، ص359 .

(3) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص138 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص63 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص166 .

(4) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص139 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص166 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص64 .

بأيدي بني عبد الدار من الوظائف وقالوا : نحن أحق به ، فأبت عليهم بنو عبد الدار فتفرقت قريش وتباينت عند ذلك[1] .

ويرجع البعض سبب عقد هذين الحلفين الى خلاف وقع بين القرشيين حول موضع الركن عند بناء الكعبة ، وقد قاد الخلاف حول أحقية كل فريق في ذلك الى تحالف بنو عبد الدار مع بني عدي بن كعب ، وهناك رأي يرى أن حلف الأحلاف جاء كرد فعل على حلف المطيبين الذي عقد بين بني عبد مناف ومن حالفهم[2] .

ولما ظهر الإسلام كان هذا النزاع العائلي على رئاسة مكة قائماً وقد تمثل في تنافس الأسر على الرئاسة اشتهر بعضها بالثراء والغنى ، واشتهر بعضها بالوجاهة الدينية او بالمكانة الاجتماعية ، ويلاحظ ان هذا النزاع لم يكن نزاعاً عائلياً تماماً قائم على النسب من الأب والجد ، بل كان نزاعاُ على الرئاسة والسيادة في الغالب ، فنجد جماعة من عائلة تضم الى العائلة الأخرى المنافسة وتترك عشيرتها لان مصلحتها الخاصة وتخاصمها مع أحد أقربائها دفعها الى اتخاذ هذا الموقف[3] .

وروى ابن هشام أن إحدى نساء بني عبد مناف قد أخرجت جفنة مملوءة طيباً فغمسوا أيديهم فيه فقال : " فاخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسموا المطيبين "[4] .

وفي المقابل من الأحلاف : " فعمدت بنو سهم بن عمرو فنحروا جزوراً وقالوا : من كان منا فليغل يده في هذه الجزور فأدخلت أيديها عبد الدار وسهم وجمح ومخزوم وعدي ، فسميت الأحلاف ، وقام الأسود بن حارثة فأدخل يده في الدم ثم لعقها ، فلعقت بنو عدي كلها بأيديها فسموا لعقة الدم "[5] .

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص32 .

(2) جبران ، دراسات ، ص262 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص59 .

(4) السيرة ، ج1 ، ص139 .

(5) الزبيري ، نسب قريش ، ص383 .

ثم يذكر ابن هشام وغيره من المؤرخين : " فبينما الناس على ذلك قد اجمعوا للحرب ، إذ تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام "[1] .

لذلك قال قيس الرقيات :

أنَّها بَينَ عامِرُ بن لؤيٍ ... حينَ تُدْعى وبَينَ عَبدُ مَنافِ
وَلها في المُطَيّبينَ جُدودٌ ... ثمَ نالتْ ذَوائِبَ الأحْلافِ[2]

ومما سبق يتضح لنا إن حلف المطيبين وحلف الأحلاف اختصما في شأن اقتسام السلطة في مكة وحرمها ، وان هذا الخصام جعل قريش حزبين ثابتين لا يتبدل تشكيل أحلافها ، وهو ما حدث في حلف الفضول ، وان سبب نقمة المطيبين هو أنهم أولى بتلك الوظائف من بني عبد الدار لشرفهم وفضله ، وذلك إنما يوحي أن السلطة السياسية والاقتصادية كانت حكراً على قوم استطاع بنو عمومتهم ان يسبقوهم بالفضل اجتماعياً وربما اقتصادياً دون أن تتاح لهم حصتهم من السلطة السياسية ، فتمردوا واخذوا منها حصة ، وذلك كان له الأثر الايجابي في استقرار الوضع السياسي في مكة ومنع اندلاع الحرب فيها ، وقسم الحقوق السياسية بين جميع الأطراف المتنازعة ورسخ قواعد السلم بين المجتمع العربي في مكة[3] .

---

(1) السيرة ، ج1 ، ص140 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص33-34 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص34 .

(3) الفياض ، عبد العزيز خليل محمد ، السلم عند العرب قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2008م ، ص109 .

2 . حلف الاحابيش :

التحبيش في اللغة التجميع[1] "وحبشت الشيء احبشه حبشاً إذا جمعته ، والمجموع : الحباشة ... والاحابيش حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يسمى حبشياً فسموا الاحابيش "[2] ، و"أن المجلس ليجمع حباشات وهباشات ، أي : ناساً ليسوا من قبيلة واحدة "[3].

ويعد حلف الاحابيش من الأحلاف التي وحدت وألفت بين جماعات وقبائل مختلفة ، وقد جعل هذا الحلف منهم وحدة متماسكة في وجه القبائل الأخرى ، الأمر الذي مهد لخلق سلم وامن اجتماعي على حدود مكة المكرمة ، وقبائل هذا الحلف هم : بنو عبد مناف من قريش ، وبنو الحارث وبنو المصطلق وبنو الهون ولحق بهم بنو القارة وبنو قارظ[4] ، وقد حافظ هذا الحلف على وحدة المجتمع من التفكك والانهيار وحقن الدم ومنع القتال بين هذه القبائل ، وكان سبب هذا الحلف أنه لما غلب قصي على مكة وغلبت قريش وكثرت ، تفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد عندها قلت قريش وخافت ، فبعث عبد مناف إلى الهون بن خزيمة والحارث بن مناة فأجابوه ، وبعث بنو الحارث الى المصطلق والحيا فأجابوهم ، فأقبلت الهون يقودها شرار بن مالك ، وأقبلت الحارث يقودها شيظن بن عمرو اخو بني الأحمر ، وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم[5] ، ويرى اليعقوبي أن السبب في عقد هذا الحلف هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهشة بن سليم وقال : " وهي التي جرت حلف الاحابيش "[6] ، وهي زوج عبد مناف ، وذلك أن رجلاً من الاحابيش دخل مكة فباع سلعة له ، ثم قصد أحد دور قريش يستقي الماء ، فخرجت له عاتكة فأحس من كلامها أن قريش قد ضعفت ، فذهب الى قومه وأخبرهم فأستنصروا لقريش[7] ، فاجتمعوا كلهم فخرجوا حتى أصبحوا بذنب

---

(1) الفراهيدي ، العين ، ج3 ، ص98 .
(2) الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص278 .
(3) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج1 ، ص115 .
(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص229-230 .
(5) المصدر نفسه ، ص30 .
(6) تاريخ ، ص94 .
(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص229 .

حبشي فتحالفوا بالله قائلين : " إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي ، فقالت الاحابيش : لما كثرت وعزت أن من أردنا أن ندخل منه من قريش فدخلت القارة وبنو الديش ... "[1] .

ومما تقدم يتضح لنا أن حلف الاحابيش له مكانة قد تبوأها في إطار القوة العسكرية المكية التي من واجبها حماية الحرم المكي وحفظ الأمن والاستقرار فيه ، وهذا ما رأيناه في موقف الحليس بن علقمة سيد الاحابيش في صلح الحديبية سنة (6هـ) ، عندما اعترض على موقف قريش وهو ما ذكرناه سابقاً .

3 . حلف الفضول :

أدرك بعض العقلاء إن ما يقع من المظالم في الحرم لو لم يقف الحق في سبيلها وترد الحقوق الى أصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب واعتدي على سكان البلد الحرام فتكلموا في ذلك ، ثم تحالفوا على نصرة المظلوم على الظالم وسموه حلف الفضول ، فكان في الحقيقة حلفاً سياسياً واجتماعياً عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ، ودفعهم لعقده أيضاً الدين مخافة أن يعاقبهم الله على البغي في الحرم ، وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر ، وكان سببها أما الطيش والحماقة ، وأما الاعتماد على القوة .

والفضل والفضيلة : ضد النقص والنقيصة والجمع الفضول ، وأفضل الرجل على فلان بمعنى أناله من فضله وأحسن إليه ، والأفضال : الإحسان ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء[2] ، وإنما سمي حلف الفضول بذلك : " لأنه خرج من حلف المطيبين والأحلاف فكان فضلاً بينهما عليهما ، وقد حكي انه سمي حلف الفضول لان قريشاً لما سمعت بما تحالفوا عليه قالوا : هذه والله الفضول "[3] ، وقال البلاذري : " سمي الحلف حلف الفضول لبذلهم أموالهم ، وقال قوم : سمي حلف الفضول لتكلفهم فضولاً لا تجب عليهم ، وقال بعضهم : إنما سمي حلف الفضول لأنه كان في جَهمٍ رجال

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص230 .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص524 .

(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص54 .

يردون المظالم يقال لهم : فضيل وفضالة ومفضل وفضل ، فتحالفوا على ذلك ، فقيل : هذا الحلف مثل حلف هؤلاء النفر "[1] ، وكان مبدأ هذا الحلف أن رجلاً من بني زبيد جاء بتجارة له إلى مكة فاشتراها العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم فماطله بحقه ، وأكثر الزبيدي الاختلاف إليه فلم يعطه شيئاً من حقه ، فأنتظر الزبيدي حتى إذا جلست قريش في مجالسها ونواديها ، فقام على جبل أبي قبيس ونادى بأعلى صوته :

يا آلَ فَهْرٍ لِمَظلـــومٍ بضاعَتهُ ... بِبَطنِ مَكَّةَ نائِيَ الدارُ والنَّفـــرُ
ومُحْرِمٌ شَعْثٌ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتُهُ ... يا آلَ فَهْرٍ وبَيْنَ الحِجْرِ والحَـجَرِ
هَلْ مُخْفِرٌ مِنْ بَني سَهْمٍ بِخَفْرَتِهِ ... أمْ ذاهِبٌ في ظِلالِ مالِ مَعْتَمرِ
إنَّ الحَرامَ لِمَنْ تَمَـــتْ حَرامَتُـهُ ... ولا حَـــرامَ لِثَـوبِ الفاجِرِ الغَدِرِ[2]

ثم نزل وأعظمت قريش ما قال وما فعل ، وخشوا العقوبة وتكلمت في ذلك في مجالسهم ، فقال المطيبون : والله لئن قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف ، وقال الأحلاف : والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون ، وقال ناس من قريش : تعالوا فليكن حلفاً فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف[3] .

وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب فقال :

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلفَاً عَليهِمُ ... وانْ كُنّا جَميعَاً أهْـلَ دارِ
نُسَمّيهِ الفُضولَ إذا عَقَدْنا ... يُعَزُ بِه الغَريبُ لدى الجِوارِ
إذا رامَ العَدُوُ لَـــهُ حِرابَاً ... أقَمْنا بالسُّيُوفِ ذَوي الأزْوِرارِ
ويَعْلَمُ مَنْ حَوالِيَّ البَيتِ أنّا ... أُباةُ الضَيمِ نَهْجُرُ كَلَ عارِ[4]

ثم قال الزبير : ما لهذا مترك يا قوم إني أخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة ومشى الى عبد الله بن جدعان التيمي ، وهو يومئذ شيخ قريش ، وأخبره بظلم بني سهم ، وقد كان أصاب بني سهم أمران لبغيهم ، أحدهما : احتراق ثلاثة رجال منهم هم : قيس ومقيس وعبد قيس ويسمون المقاييس ، احترقوا بصاعقة ، وثانيهما : إن ركبان منهم اقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له : القطيعة ، فصبوا

---

(1) أنساب الاشراف ، ج2 ، ص24 .
(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص52-52 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج1 ، ص338 .
(3) الأصفهاني ، الأغاني ، ج19 ، ص663 .
(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص187 .

فضلة خمر لهم في إناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية ، فشربت منها أفعى سوداء ثم تقيئت في الإناء ، فلما استيقظوا شربوا منه فماتوا جميعهم ، فذكرهم الزبير بهذا ، واجتمعت كلمة بني هاشم ومن معهم في دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا في شهر حرام قياماً يتماسحون بأكتافهم وتعاهدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدة على أن لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ، ويكونوا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا إليه مظلمته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذراً ، وعلى أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة[1] وما رسي حراء وثبير مكانهما ، وعلى التأسي في المعاش والتساهم بالمال ، ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ، ثم أتوا به فشربوه ، ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه ، فمكثوا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا اخذوا له حقه[2] .

ثم تداعت قبائل من قريش الى الحلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده وهم : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً دخلها من سائر الناس ، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، فسميت قريش ذلك الحلف حلف الفضول[3] ، وكان عقد هذا الحلف بعد انتهاء حرف الفجار وعقد في ذي القعدة من الأشهر الحرم[4] ، وكان وقت انعقاده في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي[5] .

---

(1) ما بل بحر صوفة : يقال : لا أفعل كذا ما بل البحر صوفة ، وما أن في الفرات قطرة ، أي أبداً ، ينظر : الميداني ، أبو الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت518هـ/1124م) ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، (بيروت – د.ت) ، ج2 ، ص230 .

(2) الجارم ، محمد نعمان ، أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، (القاهرة – 1923م) ، ص22–23 .

(3) ابن هشام السيرة ، ج1 ، ص141 .

(4) المباركفوري ، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، (قطر – 2007م) ، ص59 .

(5) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص147 .

وقد شهد الرسول ﷺ حلف الفضول ، وقد روى ذلك الفاكهي في تاريخه ، والبيهقي في سننه : أن رسول الله ﷺ قال : " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت ، وما أحب أن لي به حمر النعم "[1] ، وكان حلف الفضول لدى العرب بمنزلة السياج الواقي للمجتمع في مكة من الزلل والظلم ، وقد أوردت المصادر عدد من الأمثلة التي تدلل على التزام أهل مكة بحلف الفضول والعمل به لما له من اثر في رد المظالم لأهلها ، ومن هذه الأمثلة : " أن تاجراً من خثعم جاء مكة ومعه ابنة له يقال لها القتول ، فعلقها نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، فلم يبرح حتى نقلها إليه وغلب عليها أباها ، فقيل لأبيها : عليك بحلف الفضول ، فأتاهم فشكا ذلك لهم ، فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا : أخرج ابنة هذا الرجل ، وهو يومئذ منتبذ بناحية مكة وهي معه ، فقال : يا قومي متعوني بها الليلة ، فقالوا: لا والله ولا ساعة ، فأخرجها وأعطوها أباها وركب الخثعمي معهم[2] .

ومما ورد عن أعمال حلف الفضول أن رجلاً من ثمالة اسمه لميس بن سعد البارقي " باع سلعة له من أُبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، فظلمه وفجر به وكان سيء المخالطة ظلوماً ، فأتى أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا له : اذهب إليه فاخبره انك قد أتيتنا ، فان أعطاك حقك ، وإلا فارجع إلينا ، فاتاه فقال له : إني قد أتيت حلف الفضول فأمروني أن ارجع إليك فأخبرك أني قد أتيتهم ، وقد رجعت إليك فما تقول؟ فاخرج له أُبي حقه فأعطاه إياه[3] ، فقال في ذلك الثمالي :

أيَفْجُرُ بي بِبَطْنِ مَكَّةَ ظالِماً ... أُبَيٌّ ولا قَوْمي لَدَيَّ ولا صَحْبي
ونادَيْتُ قَوْمِي بارِقَاً لِتُجيبَني ... وَكَمْ دونَ قَوْمِي مِنْ فَيافٍ ومِنْ سُهُبِ
ويأبى لَكُم حِلفُ الفُضُولُ ظُلامَتي ... بَني جُمَحٍ والحَقُّ يُؤخَذُ بالغَصْبِ "[4]

---

(1) أخبار مكة ، ج5 ، ص170 ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2003م) ، ج6 ، ص596 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص55 .

(3) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص170 .

(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص55 .

وقد ظهرت آثار هذا الحلف التجاري حتى في العصور الإسلامية ، فقد ذكر ابن هشام وغيره : أن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كان والياً على المدينة ، ولاه عليها عمه معاوية بن أبي سفيان ، وكان بين الوليد والحسين بن علي ﷺ منازعة في مال كان بينهما ، وكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه يومئذ ، فقال الحسين ﷺ : " احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذنَّ سيفي ، ثم لأقومنَّ في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لادعونَّ بحلف الفضول ... "[1] ، وكان عبد الله بن الزبير حاضراً مجلسهما هذا فغضب للحسين ، وقال يتهدد الوليد : " وأنا احلف بالله لئن دعا به لأخذنَّ سيفي ثم لاقومنَّ معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً ، فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ، فقال : مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال : مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين ﷺ من حقه حتى رضي "[2] .

ونرى كيف كان القوم سراعاً الى تنفيذ هذا الحلف ، وكيف تهيؤوا لنصرته وللاستجابة لمن دعا به ، وهو اثر غير قليل وأي معاهدة تمضي فتبقى لها مثل هذه القوة بعد أكثر من سبعين سنة من عقدها ، بل لقد تحمس لها الصحابة اشد التحمس ، وكان اندفاعهم لصيانتها اقوي مما تقدم ، لقد تحفزوا للقيام بوجه خليفة ذي سلطان ، وكادت تكون فتنة لو لا تنازل الخليفة معاوية[3] ، وقد نقل ذلك شارح نهج البلاغة[4] .

وبهذا الحلف قد حلت قريش مشكلتين من مشاكل المجتمع القرشي ، فأولاً أمام مشكلة الأمن الداخلي لسلامة أهل مكة وسلامة غيرهم ، سواءً كانوا من الجاليات الأجنبية او من العرب الذين يفدون الى مكة وأسواقها لإغراض دينية او تجارية ، وجدت قريش انه لابد من وجود قانون أو حلف لتحقيق هذا الغرض ، ولابد من حصانة أخلاقية تسوق المجتمع لحماية الأفراد من العدوان أياً كان لون هذا العدوان وبالتالي لابد أن يستشعر القرشيون بوصفهم مواطنين لا حكاماً أن عليهم أن يردوا المظالم بأن يأخذوا بيد الضعيف

---

(1) السيرة ، ج1 ، ص126 ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج63 ، ص210 .

(2) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج63 ، ص210 .

(3) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص188 .

(4) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج3 ، ص464 .

والمظلوم ، وأن ينتصفوا له من ظالمه أياً كانت شكيمة هذا الظالم ، وهذا اللون من الالتزام والشعور بالمسؤولية ما ساد مجتمعاً إلا رفرف عليه روح السلام وأصبح أفراده في الذروة من الرقي والحياة الحرة الكريمة ، وهذا هو الذي كفله هذا الحلف الذي تعاقدت فيه قريش على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له حقه ويردوا إليه مظلمته من أنفسهم قبل غيرهم ، وبهذا حققت قريش بانتصافها للخصم والمظلوم من نفسها قبل غيرها لوناً من التكافل الاجتماعي الى جانب لون العدالة السياسية[1] .

ونحن أمام هذا المشهد الذي تستعيده المخيلة نجد أن العصر القرشي قد رقت فيه العدالة السياسية والتكافل الاجتماعي ، وقد قيل :

أنَّ الفُضولَ تَحالَفوا وتَعاقَدوا ... ألّا يُقيمَ بِبَطنِ مَكَّةَ ظالـمٌ

أمْرٌ عَليهِ تَعاهَدوا و تَواثَقوا ... فَالجارُ والمُعْتَرُ فيهم سالمُ[2]

لذلك عندما فشلت قريش في السيطرة من خلال التحالفات الداخلية على عملية الموازنة النسبية للتعبير عن مصالحها وللحد من الإساءة الى علاقاتها الداخلية والخارجية وتشويه سمعتها وسمعة مكة وقداستها ، لجأت الى عقد حلف الفضول لأغراض اجتماعية وتجارية معاً للحفاظ على حقوق الآخرين وضمان العمليات الاقتصادية داخل مكة ، ولم يحظ أي حلف من الأحلاف السابقة بما حظي به حلف الفضول من رعاية مقدسة ونظرة تبجيل وشرف لدى قريش بشكل خاص وبقية القبائل العربية بشكل عام ، فأنه يتمتع بقوة وتأثير كبيرين استمرت فاعليتهما حتى بعد ظهور الإسلام كما ذكرنا ، فانه قد قام " مقام المحاكم التجارية والقوة التنفيذية معاً فكان سلطانها مهيباً في النفوس ، وكانت خير رادع لمن تحدثه نفسه بظلم "[3] ، وان كان ذا سلطان أو يتمتع بمنزلة أو شرف[4] .

---

(1) السقاف ، أبكار ، الدين في شبه الجزيرة العربية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت – 2004م) ، ص65.

(2) الجارم ، اديان العرب ، ص23 .

(3) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص190 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص72 .

ويذكر أحد المستشرقين : أن حلف الفضول ما هو إلا تطوير لحلف المطيبين وليس حلفاً ضد الظلم[1] ، لكن الناظر في أسباب ودوافع حلف المطيبين التي مرت بنا سابقاً يجدها غير الدوافع والأسباب التي قام على أساسها حلف الفضول والفرق بينهما كبير ، فالأول قام على أثر محاولة بني عبد مناف للاستحواذ على سيادة مكة وأمرها وانتزاع ما بأيدي بني عبد الدار من وظائف ، بينما نجد أن حلف الفضول هو حلف اجتماعي تجاري قام لإقرار الأمن وحفظ الحقوق ورد المظالم التي تقع في مكة للحفاظ على تجارتها وسمعتها لدى القبائل العربية ، ولو كان هذا الحلف هو صورة أخرى لحلف المطيبين لوجدنا حلفاً مضاداً من قبل الأحلاف ، وهو ما لم يحصل لأنه قام على أهل مكة كلها وعلى من يقصدها للحج أو التجارة .

ثم أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة كما مر بنا ، وقلما نجد قبيلة من القبائل العربية تمكنت أن تحقق ما حققته قريش من أن تحافظ على وحدتها الداخلية لمدة طويلة دون أن تقع في مجابهة داخلية فيما بين بطونها ، وبذلك حظيت قريش بمنزلة رفيعة ومكانة متميزة لدى القبائل العربية ، وكذلك أمام الدول المحيطة بشبه الجزيرة العربية مما جعلها محط احترام حكومات تلك الدول وتحظى بمعاملة خاصة ومتميزة عن بقية القبائل[2] .

ويمكن القول ان حلف الفضول بالإضافة الى كونه يحافظ على المظلوم ويرد له حقوقه فانه كان اشبه بضمان اقتصادي لكل قادم الى مكة فانه أي القادم يدرك ودون شك انه سيقوم بعمليات البيع والشراء بحرية كاملة دون خوف على امواله وهذا مما ساهم في تطوير النشاط الاقتصادي لمكة وبدوره منح ادارة مكة قوة ساهمت بدورها في تطوير نظامها الاداري وشكل حكومتها .

ومن ثم فأن هناك بعض التحالفات الآنية التي حدثت بين بطون قريش ، وكانت تعقد من أجل مشكلة محددة تنتهي بزوالها ، فقد ذكر أن عبد شمس بن عبد مناف عندما فقد بختية[3] كانت له وكان الذي أخذها عامر بن عبد الله بن عويج بن عدي ، وقد ذبحها ،

---

(1) وات ، ويليام منتجمري ، محمد ﷺ في مكة ، ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – 1994م) ، ص55 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص72 .

(3) البَختية : الأنثى من الجمال البخت والذكر بختي ، وهي جمال طوال الأعناق وتجمع على بخت وبخاتي واللفظة معربة ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج1 ، ص101 .

فوصل الخبر له فغضب لذلك وتأثر ووصل الأمر به أن هدد بإخراج بني عدي من مكة ، إلا أن بني سهم قد تدخلوا في الامر ومنعوهم من الخروج وتحالفوا معهم لدعم موقفهم امام قوة بني عبد شمس ، وكانت النتيجة ان تراجع بنو عبد شمس حفاظاً على مصلحة القبيلة ووحدتها ، كما أن بني سهم قد دعموا موقف بني عدي مرة أخرى للغرض نفسه عندما حاول بنو جمح الاعتداء على بني عدي بسبب إيوائهم رجلاً قتل واحداً من بني جمح ، فرأت بنو سهم إن ميزان القوى غير متكافئ ، إذ أن بني جمح أكثر نفراً من بني عدي فقالوا لبني جمح : " أن عدياً اقل منكم عدداً فان شئتم اخرجوا إليهم أعدادهم ونخلي بينكم وبينهم وان شئتم وفيناهم منا حتى يكونوا مثلكم "[1] ، لذلك فان موقف بني جمح قد تغير عندما شعرت بأن ميزان القوى سوف يتعادل أن لم يرجح عليها إذا ما تدخلت بنو سهم ، فيظهر لنا أن التحالف كان من أجل السيطرة على توازن القوى والتلاحم القبلي .

وتتضح الصورة أكثر عندما قام بنو عبد شمس بإخراج بني زهرة على اثر خصومة بين أمية بن عبد شمس ووهب بن عبد مناف الزهري ، وكان بنو عبد شمس أكثر عدة ونفراً من بني زهرة ، فاجتمعت بنو جمح بجانب بني زهرة وسبق أن ذكرنا أن بني سهم وقفت بوجه بني جمح قبل هذا ، ولكن مصلحة القبيلة ووحدتها فوق كل اعتبار ، فتطلب الموقف هنا أن يتحالف بنو سهم وبنو جمح لحل الخلاف الذي كان سيؤدي إلى انقسام القبيلة ، لذلك فأن بني عبد شمس قد تركوا الأمر ، وقالوا : لا يدخل بيننا وبين إخوتنا بني زهرة أحد[2] ، وقد كان هذا الحلف بعد وفاة هاشم بن عبد مناف[3] .

2 . **السياسة الخارجية** :

بعد أن وطد سادة مكة الأوضاع الداخلية بين بطون قريش وسكانها عن طريق الأحلاف التي استطاعوا من خلالها أن يصبحوا محط أنظار العرب في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وقد نظر سادة مكة الى ما حولهم من القبائل[4] الممتدة منازلها على

---

(1) الزبير ، نسب قريش ، ص370 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص40-41 .

(3) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص59-60 .

(4) ينظر : الشكل رقم (2) الملحق ،ص234 .

طول الطريق المؤدية إليها ، فوجدوا أن من مصلحتهم الاقتصادية تأمين هذه المناطق لغرض سلامة تجارتهم من جهة وتأمين مواسم الحج من جهة أخرى .

وقد خرجت قريش بتجارتها خارج حدود شبه الجزيرة العربية على يد هاشم بن عبد مناف صاحب الإيلاف[1] (والذي سنتكلم عنه لاحقاً في العلاقات التجارية) ، ومن ثم فان تكوين العلاقات مع القبائل عملية ترويض كبيرة بحاجة الى جهود طويلة وخبرة لتحقيقها ، وقريش التي خبرت طبائع الناس لاسيما طبائع القبائل البدوية من خلال الاحتكاك الدائم في المواسم الدينية والاقتصادية ، هي وحدها القادرة على ابتكار الأسلوب الأمثل والأفضل للتعامل معها ، وقد نجحت في تحقيق ما تريد من خلال تنويع صلاتها وعلاقاتها بهذه القبائل بطرق ووسائل مختلفة منها التحالفات[2] ، ومنها المصاهرات ، فضلاً عن المشاركة في القوافل التجارية بالأموال او كأدلاء وحراس للقوافل ، أو بإعطاء رؤساء القبائل أرباح محددة أو منحهم مزايا ومناصب خاصة ، فكانت قريش ذات سياسة حكيمة صبورة اشتهرت بها وضمنت ولاء القبائل لها ، بل ضمنت تفوقها على القبائل واعتراف تلك القبائل بسيادتها ، إن قريشاً قبل أن تنطلق بتكوين علاقاتها خارج المحيط المكي ، بدأت أولاً – كما ذكرنا – بتوحيد بطونها وجمعها في وادي مكة رافقه تنظيم علاقاتها مع القبائل التي تشاركها المنازل والديار لتوطد نفوذها وتعزز مكانتها[3] .

1 . العلاقة مع كنانة :

وقد بدأت بكنانة فتحالفت معها عسكرياً على أيام قصي بن كلاب ضد خزاعة[4] ، وكانت كنانة حول مكة ومن جهة البحر الأحمر ، وكانت بطون كنانة على صلات مع قريش ، لأن كنانة هي الكيان الأكبر الذي تفرعت منه قريش ، وإن كانت هذه الصلات متفاوتة وقد تميزت العلاقة ما بين قريش وبني الحارث بن كنانة ، إذ كانوا حلفاء لقريش منذ القدم ، كما تحالف بنو الهادي بن أسامة بن بكر الكناني مع بني هاشم[5] .

---

(1) ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ، ص75 .

(2) ينظر : الشكل رقم (3) الملحق ، ص235.

(3) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص73 .

(4) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص114 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص74 .

وكان لهذا التحالف مواقف ملموسة ومشهودة ، فقد وقف بنو الحارث مع قصي في حربه ضد خزاعة واستمرت العلاقات بين قريش وبين الحارث بن عبد مناة على أحسن ما يرام ، بل نجد بني الحارث عقدوا حلفاً مع بعض البطون من القبائل المجاورة لها في المنازل والذي اشتهر (بحلف الاحابيش) ، الذي تمكنت قريش من أن توظفه لصالحها[1] ، وحتى إننا لنجد أن قريشاً كانت تعبد (هبل) كما أن كنانة تعبده[2] ، تأكيداً على الارتباط الديني والسياسي بينهما .

2 . العلاقة مع خزاعة :

أما على مستوى العلاقة مع قبيلة خزاعة فكانت أول الأمر سلبية ، إذ قاتلهم قصي بن كلاب واستولى على مكة ، وقد روي أن قصي نفى هذه القبيلة من مكة[3] ، وقيل : انه أبقاها للصهر بينهم[4] ، وهو الأرجح والأصح ، إذ أن منازل خزاعة كانت حول مكة عند البعثة النبوية ، ولعل قصي أراد أن يسترضيها بهذا الإجراء مواساة لها لما فقدت من حكم مكة ، وبذلك فقد تغيرت العلاقات بين الطرفين وعقدت تحالفات فردية ، وكذلك وطدت خزاعة علاقتها بشكل كبير مع بني هاشم على أيام عبد المطلب ، فعقدت حلفاً بدأت به خزاعة فعرضت ذلك على عبد المطلب بن هاشم فأعجب به وأجابهم لذلك[5] .

مما يميز هذا الحلف انه كتب ودوّن بين الطرفين في دار الندوة وبحضور مندوبين عن الجانبين ، إذ حضره عبد المطلب ومعه الارقم بن نضلة بن هاشم والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم ، ومن جانب خزاعة حضره بديل بن ورقاء وسفيان بن عمرو وغيرهم وكتبوا كتاباً وعلقوه في الكعبة ، وكان الذي كتبه لهم ابو قيس بن عبد مناف الزهري[6] .

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص75 .

(2) ابن حزم ، جمهرة ، ص492 .

(3) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص99 .

(4) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص50 .

(5) ابن حبيب ، المنمق ، ص89 .

(6) المصدر نفسه ، ص90 .

وهذا نص الحلف : " هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات بني عمرو بن ربيعة من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة ، تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بل بحر صوفة ، حلفاً جامعاً غير مفرق ، الأشياخ على الأشياخ ، والاصاغر على الاصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عهد لا ينقض ولا ينكث ما شرقت شمس على ثبير وما حن بفلاة بعير وما قام الاخشبان وما عمر بمكة إنسان ، حلف ابد لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شداً وظلام الليل مداً ، وان عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون ، فعلى عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وتر في بر أو بحر أو سهل أو وعر وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معه على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهب وجعلوا الله كفيلاً وكفى به جميلاً "[1] .

وكان السبب في عقد هذا الحلف هو الخلاف الذي نشب بين عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف على ساحات تسمى الاركاح[2] ، فقال رجال من خزاعة : " والله ما رأينا في هذا الورى أحداً أحسن وجهاً ولا أتم خلقاً ولا أعظم حلماً من عبد المطلب ، وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله وقد ولدناه كما ولده بنو النجار ، فلو إنا بذلنا له وحالفناه فاجمع رأيهم على ذلك "[3] .

ويبدو أن حلف خزاعة مع بني هاشم كان محاولة لإضعاف بقية بطون قريش ، ويمكن ملاحظة ذلك بعد ظهور الإسلام ، إذ أنها كانت ترسل الأخبار الى النبي ﷺ عن تحركات قريش ضده [4] ، ومن ثم انضمت الى حلف النبي ﷺ وعقده بعد صلح الحديبية وعلى اثر ذلك قامت بني بكر حلفاء قريش بالاعتداء على خزاعة ، عندها استنجدت خزاعة بالنبي ﷺ وقال شاعرهم وهو عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي :

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص88 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ، ص71 – 72 .

(2) الاركاح : ساحات تكون بفناء الدار ، ينظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص220 .

(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص86 .

(4) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص202 .

يا ربُ إنّي ناشِدٌ مُحَمَّـــــدا ... حِلفُ أبينا وَأبيهِ ألأتْـــلَدا
قَدْ كُنْتُمُ وَلَداً وَكُنّا والِـــــدا ... ثَمَّتَ أسْلَمنا فَلَمْ نَنْزِع يَـــدا
فأنْصُر هَداكَ اللهُ نَصْرَاً أعْتَـــدا ... وأدْعُوا عِبادَ اللهِ يَأتُوا مَدَدا
فيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَـــرَدا ... إنْ سِيمَ خَسْفَاً وَجهُهُ تَرَبَّـــدا
في فَيْلَقٍ كَالبَحْرِ يَجْري مُزْبِـدا ... إنَّ قُرَيشَاً أخْلَفُوكَ المَوعِـــدا
ونَقَّضوُا مِيثاقَكَ المُؤَكَّـــــدا... وَجَعَلوا لي في (كِداءٍ) رُصَّـــدا
وزَعَموا أنْ لَسْتُ أدْعوا أحَـــــدا ... وَهُمْ أذلُ وأقَلُ عَـــــدَدا
هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِيرِ هُجَّـــــدا ... وَقَتَّلونا رُكَعَاً وَسُجَـــــدا[1]

فنصرهم النبي ﷺ وكان ذلك سبباً لفتح مكة سنة (8هـ) .

3. العلاقات مع قضاعة :

قبيلة قضاعة من القبائل الكبيرة التي تفرعت عنها بطون عديدة[2] ، توزعت منازلها على المنطقة الشمالية بين مكة وبلاد الشام ، وارتبطت مع قريش بعلاقات عسكرية ، فقد استعان بها قصي عندما قاتل خزاعة[3] ، وقد استقرت بطونها على طريق التجارة فكانت منازل (بلي) احد بطونها ما بين تيماء[4] ويثرب ، أما (جهينة) فكانت منازلها شرق منازل بلي في نجد على ماء يقال له مشجر[5] ، وإما (نهد) فكانت في وادي القرى[6] ومعهم بنو (أسلم) ، وأما (كلب) فقد انتشرت في جنوب الشام عند دومة الجندل التي

---

(1) ابن هشام ، السيرة ، ج4 ، ص44 .

(2) هي : نهد ، جهينة ، عذرة ، سليح ، كلب ، القين ، تنوخ ، بلي ، حيدان ، جرم ، اسلم ، ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ج1 ، ص202-203 ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص440-442.

(3) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص109 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص69 .

(4) تيماء : من اعراض المدينة وبها حصن الابلق وهي بين الشام والحجاز ، ينظر : المهلبي ، الحسن بن احمد العزيزي(ت380هـ/990م) ، المسالك والممالك (الكتاب العزيزي) ، تحقيق : تيسير خلف ، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، (القاهرة – 2006م) ، ص22 .

(5) مشجر : ماء بناحية فرش ملل من مكة على سبع ليالٍ او نحوها ومن المدينة على ليلة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص36 .

(6) وادي القرى : وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1417 .

تتفرع منها طرق التجارة وتقام فيها السوق وكانت حليفة لتميم ، وبهذا الحلف فقد ارتبطت (كلب) مع قريش بعلاقات ودية .

وتكشف منازل قضاعة ومواقع سكنها عن نمط حياتها الذي كان اقرب للاستقرار منه الى التنقل من مكان لآخر ، وهذا يعني أن مصادر عيشهم ارتبطت بأنظمة مستقرة من الناحية الاقتصادية سواء في محطات ثابتة على الطريق التجاري أم مع مناطق زراعية كاليهود في يثرب ، وعليه فأن البطون القضاعية لاسيما التي كانت قريبة من يثرب (المدينة المنورة) أصبحت لها مصالح بشكل أو بآخر مع قريش ، وقد ازدادت العلاقة بعد الإيلاف بشكل متميز ، فعذرة حليفة قريش تحالفت مع جهينة ما جعلها تحترم المصالح المكية وتسهل مرور القوافل التجارية في المنطقة ويمكن أن ينسحب ذلك على بقية بطون قضاعة[1] .

4 . العلاقة مع تميم :

ولغرض تأمين سير القوافل القرشية المتجهة الى الشمال الشرقي ، فقد تحالفت قريش مع قبيلة تميم كبرى القبائل العربية ، وقد لعبت هذه القبيلة دوراً ذا أهمية في تاريخ مكة قبل الإسلام ، إذ كانت تساهم بشكل كبير في دعم نفوذ القرشيين بين القبائل العربية ، وتمتد منازل تميم شرقاً من وادي الرمة وحتى وادي الباطن عند الطرف الشمالي الغربي للخليج العربي ، وهي تتحكم بطرق التجارة بين مكة والحيرة[2] واليمامة[3] ، ولأهمية تميم في العلاقات القبيلة قامت قريش بإشراكها في إدارة مكة ، فمنحتها بعض الوظائف ، وقامت قوة من تميم بعملية الدفاع عن أسواق مكة مع من يسميهم اليعقوبي بـ(الذادة المحرمين)[4] ، ومما زاد في أهمية تميم أن الردافة (منصب ينوب فيه الرديف عن ملك

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص88 .

(2) الحيرة : موضع قرب الكوفة كانت الملوك تنزلها قبل ان بنيت الكوفة لطيب هوائها وفضلها على سائر المواضع ، وإنما سميت الحيرة لان تبعاً لما سار الى موضع الحيرة أخطأ الطريق وتحير هو وأصحابه فسميت الحيرة ، واول من نزلها من العرب جذيمة ، ينظر : ابن الفقيه الهمداني ، البلدان ، ص216 .

(3) اليمامة : من بلاد نجد قاعدتها حِجر ، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام ، وكان فتحها في أيام أبي بكر الصديق ﷺ سنة (12هـ) فتحها خالد بن الوليد عنوة ، ثم صولحوا ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص442 .

(4) تاريخ ، ص105 .

الحيرة) كانت لأحد بطون تميم[1] ، لذلك كان لها تأثير على القبائل التي أصبحت تطلب ودها وعقد التحالفات معها التي استفادت منها قريش[2] .

وقد حاولت قريش اصطناع تميم عن طريق عقد اواصر الرحم والمصاهرة بينهما ، فتزوج القرشيون من نساء تميم ، كما تزوج بعض التميميين من نساء قريش ونتيجة لعلاقة المصاهرة هذه فقد دخل بعض تميم في علاقات صداقة مع بعض الاسر القرشية التي تتمتع بنفوذ كبير في مكة ، ثم حظيت بعض بطون تميم بحق المواطنة المكية وتبوؤا مكانة محترمة فيها حتى أن بيوتهم كانت بجوار الكعبة[3] .

ولتوثيق علاقة قريش بتميم بصورة أقوى من المصاهرة ، فقد عقدت قريش حلفاً مع قبيلتي تميم وكلب ، وعلى الصعيد الآخر عقدت قريش حلفها مع قبيلتي أسد وطيّئ، وكانت طيّئ وكلب اشد قبائل الجزيرة خطراً على تجارة مكة ، بل على مكة نفسها ، وبعقد هذين الحلفين أمنت قريش نفسها معهما ومع أحلافهما في كل مكان[4] ، ولتوضيح سبب انضواء كلب في هذا الحلف هو أن لتميم حلفاً مع كلب وعلى ذلك احترمت كلب هذا الحلف الذي قام بين قريش وتميم فدخلت فيه[5] ، وبذلك يمكن أن نصف علاقة قريش بتميم بأنها علاقة إستراتيجية لتأمين الطرق التجارية ، أي أنها ذات بعد اقتصادي بحت .

5 . العلاقة مع بنو عامر بن صعصعة :

ولغرض ضمان قريش لسير قوافلها التجارية الى الحيرة واليمامة ، فقد توجهت الى توثيق علاقاتها مع بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهي من القبائل المضرية ، وكانت ديارهم بين ديار هوازن وسليم وثقيف ، وإنهم جميعاً يرتبطون

---

(1) الجوهري ، الصحاح ، ج4 ، ص1363 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص89 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص182 .

(4) كستر ، م . ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : يحيى الجبوري ، (بغداد – 1976م) ، ص16 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص207 .

بعلاقات وتحالفات وكانوا على صلة حميمة مع مكة[1] ، فضلاً عن أن بني عامر بن صعصعة كانوا على ارتباط بحكام الحيرة وأن تغير العلاقة بينهما يكون في مصلحة قريش ، وهذا يتضح لنا من الخلاف الذي وقع بين النعمان الثالث بن المنذر ملك الحيرة وبين بني عامر بن صعصعة عندما اعترضوا لطيمته[2] ، فجهز لهم جيشاً سيره مع القافلة الى عكاظ ، وأمرهم أن يقصدوا بني عامر بعد فراغهم من عكاظ ، وكانت قريش قد علمت بأمر الجيش فأرسلت الى بني عامر بن صعصعة تحذرهم فأصبحوا على بينة من الأمر فاستعدوا لجيش النعمان وهزموه بفضل موقف قريش منهم[3] ، وإن من دوافع قريش لهذا الموقف هو سبب ارتباط بني عامر بن صعصعة بما ابتدعته قريش من نظام الحمس[4] (التشدد في الدين) ، والذي سنتحدث عنه في الفصل الرابع من الدراسة ، ويذكر أحد الباحثين : أن بني كعب وكلاب من بني عامر بن صعصعة يدعيان(كعب قريش) و(كلاب قريش)[5] .

ولم يحدث بين الجانبين ما يعكر صفو العلاقات سوى حادثة طارئة اثناء انعقاد سوق عكاظ حسب ما ذكر ابن عبد ربه : وكانت هذه الحادثة في يوم الفجار الثاني وسببه تحرش فتية من قريش بامرأة من بني عامر بن صعصعة فكانت هذه الحادثة السبب في النزاع ، إلا أنها لم تؤثر على علاقتهما ، إذ تمكن حرب بن أمية من تلافي الموقف بتحمل الديات وأصلح بين الطرفين[6] .

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص92 .

(2) اللطيمة : المسك يكون في العِير ، واللطيمة : الإبل تحمل بُزاً أو متاعاً ومسكاً ، فإذ لم يكن فيه مسك لم يسم لطيمة ، وقيل : اللطيمة : قطعة من المسك يكون لها أرج أي رائحة طيبة ، ينظر : ابن سلام ، الغريب المصنف ، تحقيق : صفوان عدنان داوّدي ، الجامعة الإسلامية ، (المدينة المنورة – 1996م) ، ج2 ، ص422 .

(3) كستر ، الحيرة ومكة ، ص23 .

(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص175 .

(5) كستر ، الحيرة ومكة ، ص69 .

(6) العقد الفريد ، ج3 ، ص91-92 .

6 . العلاقة مع بني سليم :

ارتبطت قريش بعلاقات مع بني سليم التي كانت منازلها تقع على الطريق بين مكة والمدينة المنورة (يثرب) ، وتمتد الى شمال المدينة في وادي القرى وتيماء[1] ، ويذكر ابن حبيب : إن أول حلف دخل مكة ما تحالف به حارثة بن الاوقص السلمي عندما قدم مكة مع أمية بن عبد شمس وكان من الرجال المتعبدين[2] ، كما كانت لهم تحالفات مع بني هاشم ، واستخدمت قريش عدداً من رجال بني سليم كأدلاء للقوافل التجارية ، وانتظمت العلاقات التجارية بين الجانبين عن طريق اتفاقيات اقتصادية للعمل سوية بين أغنياء قريش ورجال سليم لاستغلال مناجم المعادن الواقعة في ديار بني سليم[3] ، وكانت هذه المعادن تباع لليهود في المدينة المنورة (يثرب) لاستعمالها في صناعاتهم ، وكانت صلاتهم حسنة ببني سليم لهذا الغرض ، وكذلك كانوا مع قريش ، كما استعان نوفل بن عبد مناف بأصهاره من بني سليم لمجابهة خلاف وقع له فنصروه ، ولأجل المحافظة على مصالحها التجارية وضمان إقامة الأسواق لتصريف منتجاتها ساهمت في قوة الدفاع عن أسواق مكة في الأشهر الحرم (الذادة المحرمين) ، وساهمت مع قريش ضد المسلمين في معركة الخندق سنة (5هـ)[4] .

7 . العلاقة مع قبيلة ثقيف :

وهي من القبائل الكبيرة في شبه الجزيرة ، وعلى مستوى العلاقات التجارية ، فقد برزت هذه القبيلة في مقدمة قبائل شبه الجزيرة العربية في علاقاتها مع قريش من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، وبعد أن سادت قريش في مكة وأصبحت لها مكانة متميزة وكثر أفرادها قامت قريش بالاتصال بزعماء ثقيف وطلبت منهم أن يشاركوهم في (وج)(الطائف) مقابل أن تشرك قريش بني ثقيف في حرم مكة ، ونتج عن ذلك أن عقدت قريش حلفاً مع عبد ياليل بن معتب ومسعود بن عمرو الثقفيان[5] ، إذ أن مكة بحاجة

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص90 .

(2) المنمق ، ص286 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص257 ؛ الجميلي ، قبيلة قريش ، ص90 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص91 .

(5) ابن حبيب ، المنمق ، ص233 .

الى المحاصيل الزراعية لاسيما العنب الذي يستخدم في صنع الخمر ، كما عقدت قريش حالفاً مماثلاً مع بني دوس وكانت منازلهم مع ثقيف في الطائف[1] .

وكان في ثقيف من هو سياسي من زعماء مكة فعروة بن مسعود الثقفي هو رسول ومبعوث قريش المفاوض مع النبي ﷺ في صلح الحديبية سنة (6هـ)[2] ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ الأَحْزَابُ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ ﴾[3] ، وقد ذكر أهل التفسير إن المقصود بالرجل العظيم الوليد بن المغيرة المخزومي من قريش وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، والقريتان مكة والطائف[4] ، وهذا مما يوضح الصلة بين المدينتين قبل الإسلام ، مرت العلاقات القرشية الثقيفية بحالة استثنائية في حروب الفجار التي قامت بين كنانة وهوازن ، فقد أنضمت قريش الى كنانة للحلف الذي بينهما ، في حين دخلت ثقيف مع هوازن لسببين الأول : الحلف القائم بينهم ، والثاني : صلة القربى بينهما ، إلا إن الأمر انتهى بالصلح بين الطرفين[5] ، وفيما خلا هذه الحالة لم نجد ما يشير الى سوء العلاقات بينهما ، بل أن ثقيفاً وقفت مع قريش في حروبها ضد المسلمين ، ففي معركة أُحد سنة (3هـ) دفعت ثقيف بمائة من مقاتليها الى جانب قريش[6] ، وكذلك خرجت مع قريش عند تصديها للنبي ﷺ في غزوة الحديبية[7] ، كما أن قريشاً وثقيف تربطهما مصالح تجارية كبيرة من خلال سوق عكاظ الذي يقع ما بين مكة والطائف ، إذ أنه أكبر سوق لتصريف واستقبال البضائع من القبائل الوافدة للسوق ، وإن ثقيفاً لها مكانة لدى قريش على اعتبار أن الطائف مصيف لأهل مكة ، وأن أكثر أغنيائهم لهم بساتين فيها[8] ، كما ذكرنا في الفصل السابق .

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص233 .

(2) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص96 .

(3) سورة الزخرف الآية : 31 .

(4) الطبري ، تفسير ، ج21 ، ص592 ؛ الماوردي ، النكت والعيون ، ج4 ، ص263 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص94 .

(6) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص203 .

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص579 .

(8) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص95 .

8 . العلاقة مع هذيل :

كانت منازلها قريبة من مكة ، وكانت تتاجر معها بالعسل الذي يكثر في منازلها ، وكانت هذيل في أول أمرها ممن يحسدون قريشاً لما أحرزته من مكانة وسيادة في مكة ، إلا أن قريشاً تمكنت أن تغير موقفها من خلال سياستها اللينة والمرنة مع هذيل التي تقع منازلها على طريق ميناء الشعيبة[1] ، فكونت معهم تحالفات ومصاهرات[2] ، حتى أن رجالاً من هذيل شاركوا في القوة التي دافعت عن مدينة مكة في يوم الفتح سنة(8هـ)[3] .

9 . العلاقة مع هوازن :

اتجهت قريش الى إقامة علاقات تجارية مع قبيلة لها مكانتها هي قبيلة هوازن ، وهي من قبائل قيس عيلان ، وتنسب الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[4] ، وهي من القبائل ذات الشهرة والقوة والكثرة ، وكان مركزها الرئيس ومنازلها في نواحي الطائف ، وان موقعها قد جعلها تقع في منطقة ذات نفوذ واستقطاب من قبل قريش وكنانة وثقيف ، وقد حاولت هوازن أن تجعل لها نفوذاً تنافس به كلاً من قريش وكنانة للحصول عل مكتسبات وامتيازات في المناطق التجارية ، مما أدى الى قيام حروب بين الجانبين كان أبرزها الفجار الآخر[5] الذي انتهى بالتصالح واعتراف هوازن بسيادة قريش[6] ، وارتبطت مصالحها بشبكة المصالح القرشية الثقفية المشتركة ، إذ برز التحالف الثلاثي ما بين قريش وثقيف وهوازن في مجابهة الدعوة الإسلامية ، وكان آخر من وقف ضد الإسلام هما ثقيف وهوازن ، وكان لهوازن سلطة في سوق عكاظ لأن

---

(1) الشعيبة : وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وكان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة ، وقيل : الشعيبة : قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص351 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص95 .

(3) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص203 .

(4) اللاذري ، انساب الاشراف ، ج13 ، ص285 .

(5) الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ج1 ، ص259 .

(6) ابن بكار ، الجمهرة ، ص374 .

السوق تقام على أراضيها حتى أنها منعت قريشاً من حضور عكاظ في أحد مواسمها بسبب خلاف ما بين كلاب بن ربيعة من هوازن وعبد الله بن جدعان[1] .

ومن خلال قبيلة ثقيف التي كانت على صلات وتحالفات مع قريش نستنتج ان هناك علاقات قائمة على أسس اقتصادية بين قريش وهوازن ، لان هوازن كانت حليفة لثقيف كما ذكرنا ، وقد رسخ تلك العلاقة سوق عكاظ الذي يعود على هوازن وقريش بمنافع تجارية مشتركة .

10 . العلاقة مع بني حنيفة :

وبنو حنيفة من القبائل العربية القاطنة في شبه الجزيرة العربية ، وسموا بنو حنيفة نسبة الى حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وبطونها : بنو الدول بن حنيفة ، وبنو عدي بن حنيفة ، وبنو عامر بن حنيفة[2] ، ومنازلها في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ومركزها اليمامة التي توثق عرى الاتصال فيما بينها وبين مكة ، وكانت العلاقة بين قريش وبني حنيفة مبنية على أساس التبادل التجاري ، فاليمامة تقوم فيها سوق حجر[3] وهي لبني حنيفة[4] ، والتي يجري فيها قريب مما يجري في عكاظ من المفاخرة[5] ، وقام بين قريش والفرافصة بن عمير بن شيبان بن سبع بن مسلمة من بني حنيفة حلف ، والفرافصة هذا هو من أبناء عمومة ثمامة بن اثال[6] الذي كان له علاقات وصلات تجارية مع قريش ، إذ كانت اليمامة ريف مكة وميرة قريش ومنافعهم منها ، وان

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص97 .

(2) ابن حزم ، الجمهرة ، ص469 .

(3) الحجر : هي مركز مدينة اليمامة وأم قراها وبها ينزل الوالي وهي شِركة ، إلا أن الأصل لحنيفة ، وهي بمنزلة البصرة والكوفة ، لكل قوم منها خطة ، إلا أن العدد فيه لبني عبيد بن حنيفة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص221 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص98 .

(5) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص359 .

(6) هو ثمامة بن اثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة الحنفي ، صحابي اسلم على عهد النبي ﷺ ، ارتد أهل اليمامة عن الإسلام زمن الصديق ﷺ سوى ثمامة بن اثال ، ومن تبعه من قومه ، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن إتباع مسيلمة وتصديقه ، استشهد بعد مقتل مسيلمة الكذاب سنة (12هـ) ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج6 ، ص75 .

ثمامة هذا كان يزودهم بالميرة ، وقد قام بقطعها عندما اسلم ، فكتبت قريش للرسول ﷺ تسأله صلة الرحم بأن يكتب لثمامة أن لا يقطع عنهم ميرتهم[1] ، وروى أبو نعيم أن قريش أرسلت أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال : " فأتى أبو سفيان النبي ﷺ فقال : أنت تزعم انك بعثت بالرحمة وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع "[2] ، فكتب إليه النبي ﷺ : " أن خلِّ بين قومي وبين ميرتهم "[3] ، ومما تقدم يتضح لنا أن هذا الحلف عقد قبيل ظهور الإسلام ، وانه كان حلفاً تجارياً واقتصادياً بحتاً .

11 . العلاقة مع سكان يثرب (المدينة المنورة) :

وكانت قريش لها علاقات وطيدة وحسنة مع أهل يثرب (المدينة المنورة) وربما تعود الى أيام هاشم بن عبد مناف ، عندما تزوج منهم سلمى بنت عمرو الخزرجية ، وبسبب هذه الزيجة توثقت العلاقة ما بين الخزرج وبني هاشم من قريش ، فالخزرج هم أخوال عبد المطلب بن هاشم الذي نشأ بينهم ثم جلبه الى مكة عمه المطلب الذي كانت تربطه صداقة مع ثابت بن المنذر بن حرام من أهل يثرب ، إذ كان خليلاً للمطلب[4] .

وعقدت الأوس مع قريش حلفاً ، إلا أن الوليد بن المغيرة المخزومي قطع هذا الحلف بين الطرفين ونقضه ، الا ما كان بين عتبة بن أبي وقاص الزهري وبين عتبة بن المنذر فان حلفهما بقي قائماً[5] ، ويبدو أن الأوس أرادت أن تقوي نفسها على الخزرج بالحلف مع قريش وان الوليد بن المغيرة رأى أن مصلحة قريش أن تبعد نفسها عن عملية التورط بالنزاع والمنافسة القائمة بين الأوس والخزرج ، وبذلك تضمن حسن علاقتها مع كافة الأطراف وبالتالي ضمان مصالحها التجارية .

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص98 .

(2) معرفة الصحابة ، ج1 ، ص507 .

(3) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج1 ، ص215 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص99 .

(5) ابن حبيب ، المنمق ، ص268 .

وكانت هناك علاقات شخصية وتجارية بين رجال مكة وبعض رجالات يثرب ، فكان أمية بن خلف الجمحي صديقاً لسعد بن معاذ[1] زعيم الأوس ، وكان العاص بن وائل السهمي وعتبة بن ربيعة وغيرهم على صلات حميمة ووثيقة مع أهل يثرب (المدينة المنورة)، يضاف الى ذلك بأن علاقات قريش كانت على ما يرام مع يهود يثرب وتيماء وخيبر ووادي القرى والصلات بينهم مستمرة ، وطلبت قريش من اليهود أن تعينها لإخراج النبي ﷺ عندما بعثوا إليه عدداً من رجالهم ليسألوهم عن أمر محمد ﷺ باعتبارهم أهل كتاب ، وكانت رسل قريش هم : النضر بن الحارث ومعه عقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود كما اخبر بذلك ابن هشام[2] ، وبالمقابل فان اليهود كانوا يقدرون قريش ويجلونهم باعتبارهم سادة العرب[3] ، وكانت لأبي سفيان علاقات مع يهود خيبر لاسيما مع حيي بن أخطب وسلام بن مشكم سيد بني النضير[4] ، فقد اجتمع أربعون رجلاً من قريش يقودهم ابو سفيان مع أربعين رجلاً من اليهود يقودهم كعب الأشراف في الكعبة وتحالفوا وتواثقوا فيما بينهم ضد محمد ﷺ [5] ، وأخذت هذه العلاقة مع اليهود بالازدياد في حين انفجر الموقف بين قريش والأوس والخزرج بعدما هاجر النبي ﷺ إليهم فأحست قريش بالخطر الداهم عليها من جراء ذلك حتى قالوا : " إن محمداً قد عور علينا تجارتنا "[6] ، وقد تجلى التعاون بين قريش واليهود ووصل ذروته في معركة الأحزاب (الخندق) في السنة الخامسة للهجرة ، بينما استمر النزاع مع الأوس والخزرج حتى كان فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة .

---

(1) هو أبو عمر سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل الأوسي الأنصاري ، السيد الكبير البدري الذي اهتز العرش لموته ، اسلم على يعد مصعب بن عمير ، وشهد بدراً ورمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات شهيداً ، ينظر : الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف : شعيب الارناؤوط ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1985م) ، ج1 ، ص279 .

(2) السيرة ، ج1 ، ص265 .

(3) الشريف ، مكة والمدينة ، ص148 .

(4) ابو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج6 ، ص336 .

(5) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج1 ، ص460 .

(6) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص492 .

12 . العلاقة مع بني شيبان :

وقد كانت لقريش علاقات طيبة مع بني شيبان وهم بطن من بكر بن وائل[1] ، وكانت منازلهم في القسم الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة العربية ما بين اليمامة والعراق[2] ، ولم يعكر هذه العلاقة إلا ما كان من قيام بني شيبان ومعهم بنو عمهم من (عجل) من قتال مع الحارث بن عبد المطلب الذي كان يقود قافلة تجارية متجهة الى الشام ، فقاتلهم في موقع يقال له (ذو ضال)[3] وهو ماء لبني تميم ، إذ قام بنو شيبان بالإغارة على بني سعد تميم فاستنجدوا بالحارث فانجدهم ، وقد حاول حل الخلاف سلماً إلا أن بني شيبان أبوا إلا القتال فقاتلهم وانهزموا وأصابت قريش منهم[4] .

13 . علاقة قريش مع القبائل الساكنة على طرق التجارة الشمالية :

أدركت قريش أهمية القبائل الضاربة على جنبات الطرق التجارية في شمال وشمال شرق مكة مثل أسد وغطفان وأشجع ومزينة ، فتحالفت قريش مع أشجع وهي بطن من غطفان ، وبذلك ضمنتها الى جانبها بتأمين مرور تجارتها الى الشام والعراق ، كما أن قريش لها صلات وعلاقات مع اسد التي كان عدد غير قليل من رجالها نازلين في مكة ، كما أن قبيلة جذام التي تمتد منازلها على طوال الطريق التجاري بين الحجاز والشام لم تذكر لنا المصادر عن سوء العلاقة بينهما ، أو أن جذاماً ناصبت قريشاً العداء وتعززت العلاقات مع هذه القبائل عن طريق المصاهرات او التحالفات الفردية[5] .

---

(1) ابن حزم ، جمهرة ، ص470 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص103 .

(3) ذو وضال : موضع كثير الشجر من الضال في ديار بني عذرة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص854 .

(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص354 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص91 .

14 . العلاقة مع قبائل الجنوب :

ثم أن قريشاً لم تغفل علاقاتها وصلاتها التجارية القديمة مع الجنوب ، كونها المصدر الكبير لتقديم البضائع المنتجة محلياً أو التي تصل اليمن من بلدان أخرى ، وقد أشارت الروايات التأريخية الى أن التبع (اسعد أبا كرب الحميري) هو أول من كسا الكعبة وعظمها وأوصى بتقديسها وكسوتها[1] ، " ويظن أن عصره كان في القرن العاشر قبل الهجرة "[2] ، وقد روى الازرقي وابن أبي أسامة ، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ : " نهى عن سب اسعد الحميري ، وهو تبع ، وكان هو أول من كسا الكعبة "[3] ، فضلاً عن أن القبائل الجنوبية سكنت مكة أولاً ومنها خزاعة التي سبقت قريش في تولي أمر البيت .

وتحدثنا الروايات التأريخية أن أول اتصال لقريش مع اليمن كان على يد المطلب بن عبد مناف الذي حصل على الإيلاف من اقيال[4] اليمن ، وبذلك قامت قريش بالاتجار مع اليمن بعد أن كان آهل اليمن هم الذين ينقلون البضائع التجارية ، وقد رافق العلاقات التجارية علاقات سياسية واجتماعية ، فقد كان المطلب صديقاً لذي نفر حاكم اليمن ، كما أن وفداً من قريش تمثل بعبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد ابن عبد العزى توجه الى اليمن لتقديم التهنئة الى سيف بن ذي يزن للتعبير عن ارتياحهم وابتهاجهم بانتصاره[5] على الاحباش الذين كانوا محتلين اليمن ، وحاولوا احتلال الحجاز ففشلوا ، وقد عبر سيف بن ذي يزن للوفد عن ارتياحه وعمق العلاقة مع قريش[6] ، وقد عبرت القبائل الجنوبية الضاربة على الخط التجاري بين اليمن ومكة عن صميم علاقاتها وارتباطها بالبيت الحرام وحسن صلاتها مع قريش عندما قامت بمحاربة أبرهة الحبشي

---

(1) ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ص31 .

(2) الجاحظ ، الحيوان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2003م) ، ج7 ، ص444 .

(3) أخبار مكة ، ج1 ، ص249 ؛ ابن أبي أسامة ، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي (ت282هـ/896م) ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق : حسين احمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، (المدينة المنورة – 1992م) ، ج1 ، ص464 .

(4) القيل : الملك من ملوك حمير ، وجمعه اقيال واقوال ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج8 ، ص230 .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج1 ، ص107 .

(6) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص102 .

ومقاتلته للدفاع عن مكة عندما حاول هدمها[1] ، كما أن عدداً من رجال القبائل الجنوبية قد عقدوا تحالفات مع بطون قريش وسكنوا مكة ، وكان للاشعريين وبني خثعم الذين كانوا في جيش ابرهة موقف واضح لصالح قريش ومكة ، فقد قاموا بالتمرد على أبرهة فكسروا رماحهم وسيوفهم وتبرؤوا الى الله أن يعينوا على هدم البيت أو إيذاء أهله وسكان حرمه[2] .

ومن ثم فان مكة كانت واقعة في دائرة اهتمام قوتين عظيمتين هما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية ، وقوة ثالثة اقل أهمية هي مملكة الحبشة وكانت الأسباب الأساسية التي تجذب هذه القوى الى شبه الجزيرة العربية ومكة تحديداً هي أسباب اقتصادية بالأساس ، فضلاً عن العامل السياسي[3] ، وقد حافظت مكة على سياسة الحياد وعدم الدخول في صراع مع احد هذه القوى على حساب الأخرى ، نجد هذا من خلال تعامل سادة مكة مع قضية عثمان بن الحويرث التي ذكرناها سابقاً .

مما تقدم يتضح لنا أن قريشاً تميزت عن جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية بأنها تمكنت أن تقيم علاقات واسعة وعديدة شملت معظم القبائل المتمركزة في مناطق الأسواق أو النازلة على الطرق التجارية وعقدت معها الأحلاف لإغراض سياسية او اقتصادية أو دينية ، وإنها أمعنت في تعزيز هذه الروابط بثلاثة مبادئ ، أولهما : عقد تحالفات مع القبائل المجاورة لمكة ، وتحالفات مع المناطق الواقعة على طرق تجارتها شمالاً وجنوباً وشرقاً ، وثانيهما : عقد تحالفات فردية مع الكثير من رجال القبائل الذين استقروا في مكة واستخدمتهم قريش لتأمين مصالحها الاقتصادية ، وثالثهما : إقامة مصاهرات متبادلة مع الكثير من القبائل ، وقد تم توظيف هذه الزيجات لتحقيق مطامحها وتقوية مركزها السياسي والاقتصادي ، وكان لذلك اثره في نشوء حكومتها المستقلة والمسيطرة اقتصاديا ودينيا على بقية مدن شبه الجزيرة العربية وقبائلها .

---

(1) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص40-41 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص103 .

(3) وات ، محمد في مكة ، ص69-70 .

الفصل الثالث
قريش التجار
المبحث الأول
المكانة الاقتصادية لقريش

دور قريش الاقتصادي

لقد أعطى الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية أهمية بارزة لوقوعها على طريق تجارة العالم القديم براً وبحراً ، والتي تصل الشرق الأقصى والهند بالشرق الأدنى عبر شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم الى بلاد وادي الرافدين أو الى بلاد الشام ومنها الى البحر الأبيض المتوسط ، وهي معبر تجاري مهم ، إذ يمر الطريق القادم من الهند باتجاه الشام ومصر عبرها ، لذلك قامت حياة الدول الواقعة في أطراف شبه الجزيرة على التجارة كدول اليمن القديمة مثل الدولة المعينية والسبئية والحميرية في الجنوب ، ثم ظهر اللحيانيون والأنباط والتدمريون في الشمال .

بل أن تجارة شبه الجزيرة العربية ترجع الى ابعد من زمن الدول السابقة الذكر ، إذ أنها بدأت منذ عهد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ، وسارت قوافل أهل مكة (الاسماعيليين) من الحجاز الى مصر عبر أراضي فلسطين ، واشتهر عرب الجنوب منذ القدم بحضارتهم وتجارتهم وكانت قوافلهم البرية منذ بدأ تجارتهم تمر بمكة والبتراء ، ثم في الشمال تفترق مشرقة الى العراق او مغربة الى مصر[1] ، ثم أخذت حضارة الجنوب في الأفول منذ أن بدأت الانقسامات الدينية في اليمن ، إذ انتشرت اليهودية وتلتها النصرانية ، وبدأ التطاحن بين أتباع الديانتين الجديدتين ، وأخيراً تصدع سد مأرب ما أدى الى انهياره والتشتت عبر البلاد[2] .

ثم سقطت اليمن تحت سيطرة الأحباش (525-575م) وما أن تخلصت منهم حتى وقعت تحت سيطرة الفرس (575-628م) ، مما أدى الى تدهور وانحطاط الدور الذي قامت به قروناً طويلة في مجال التجارة ، وقد ادى النزاع بين الفرس والروم الى تدهور التجارة في اليمن وبعد ذلك التطاحن انسحب الروم من البحر الأحمر (القلزم) أيضاً ،

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص211 .

(2) حتي ، تاريخ العرب ، ص77-78 .

وعجزت الحبشة عن الاضطلاع بهذا الدور ، وقد ساعدت كل هذه العوامل متضافرة على زيادة تجارة مكة ، بل لقد أهلتها لان تقوم بدور الوسيط التجاري المحايد بين تلك الدول المتطاحنة[1] ، فمنذ القرن السادس الميلادي قبضت قريش على زمام تجارة شبه الجزيرة العربية واحتكرتها[2] .

وهكذا أصبحت مكة محطة مهمة على طريق القوافل في منتصف الطريق بين مأرب في الجنوب والبتراء في الشمال مما هيأ لها أسباب التقدم التجاري ، فضلاً عن المكانة الدينية البارزة المتمثلة بوجود الكعبة الشريفة ، وقد نزلت بها بعض القبائل اليمنية التي حكمتها زمناً ، ومن تلك القبائل اليمنية قبيلة خزاعة التي حكمت محطة القوافل القديمة (مكة) ، وقد جلب هؤلاء المهاجرون خبرتهم التجارية معهم مما شجع على نمو التجارة في مكة ، وحاولت خزاعة تنمية الموارد الاقتصادية في مكة إذ جلبت الأصنام لتشجيع العرب على ارتياد مكة وزيارتها وعملت على توفير الماء والغذاء وكانت تستفيد من القرابين والهدايا التي تقدم للالهة ، فضلاً عن الضرائب التي فرضتها على القوافل عند مرورها بمكة ، ولا شك أن البيع والشراء صاحب هذا التطور ولكن بصورة محدودة[3] .

لا تتوفر أية معلومات عن العمليات التجارية ولا عن الأسواق التي كانت تقام في مكة في المدة الطويلة التي مرت بها مكة على عهد الجراهمة ومن بعهدهم خزاعة ، ولكن المعلومات تبدأ بالوضوح قليلاً على أيام قصي بن كلاب[4] ، أي في منتصف القرن الخامس الميلادي[5] فمع عهده بدأت مكة مرحلة جديدة في حياتها ، إذ تحول وادي مكة من مجرد مركز ديني يضم الكعبة الى مدينة عامرة بالبيوت والسكان عندما انزل بطون قريش ابطح مكة وحول الحرم ، وكان لهذا التغيير في وضع مكة انعكاسات واضحة على مجمل جوانب الحياة الأخرى وتطلب القيام بإجراءات لتنظيم حياة أهل مكة[6] ، ومن هذه الإجراءات توفير المؤن والميرة للحجاج ، فضلاً عن الحرص والالتزام بالآداب العامة ، وتولى تلك المهمات التجارية والدينية رجال أكفاء عشقوا السلام وآمنوا

---

(1) الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، (القاهرة – 1968م) ، ص36 .
(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص212 .
(3) الشريف ، مكة والمدينة ، ص201 .
(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص107 .
(5) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص212 .
(6) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص107 .

بـه وعملـوا علـى نشـره ، وهكـذا ازدهـرت تجـارة مكـة حتـى أطلقـوا عليهـا اسـم الجمهوريـة التجاريـة[1] ، وقصـي بـن كـلاب هـو أول مـن أصـاب ملكـاً مـن بنـي كعـب[2] ، وأول بـانٍ لمجد قريش و موطد لنفوذها[3] ، واستمر بأخذ الضريبة فانه " عشر كل من دخل مكة من غير قريش "[4] ، وقام بإجراءات جعلت من مكة محور حركة تجارية زادت من عمليات التبادل التجاري المحلية التي اعتمدتها قريش أول أمرها فإنها " لا تتاجر إلا مع من ورد عليها في المواسم ... لا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها "[5] ، وقد وظف قصي دور مكة الديني في خدمة دور قريش التجاري ، إذ كان كل من الدورين متلازماً ومكملاً للأخر[6].

وأول إجراءات قصي انه اوجد في مكة وظائف جمعها بيده كلها ، ومن جانب آخر فانه عمل على توفير الأمن والحماية والاستقرار في مكة التي كانت بيتاً آمناً للناس وحرماً مقدساً ، وكان للبيت حدود محرم فيها القتل وسفك الدماء ، وان إبراهيم عليه السلام أول من وضع الأحجار ونصب الأعلام ووقف على حدود الحرم ، وان هذه الحدود بقيت الى أيام قصي الذي حركها وجددها[7] ، بل انه وسع منطقة الحرم وزاد فيها وجعلها تشمل منطقة مكة كلها[8] ، ولعل قصي أراد بهذا الإجراء أن يؤمن حماية قريش وحلفائها الذين سكنوا معها في بطن الوادي أو في ضواحي مكة ، ويبدو أن الأسواق التي تقام في مكة دخلت ضمن هذه المنطقة لتشملها الحماية والأمن وتقام فيها العمليات التجارية[9] .

ومن الأعمال التي قام بها قصي هي إعادة الهيبة والحرمة للأشهر الحرم التي كانت معروفة وهي أربعة أشهر (رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم) ، وهي قديمة قبل قريش يقال: أنها منذ القدم وان الله كتبها وقضاها في اللوح المحفوظ ، إلا أن حرمتها قد

---

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص213 .
(2) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص258 .
(3) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص97 .
(4) المسعودي ، مروج الذهب ، ج1 ، ص58 .
(5) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص242 .
(6) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص108 .
(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص128-129 .
(8) الشريف ، مكة والمدينة ، ص172 .
(9) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص108 .

ضعفت لاسيما أيام خزاعة لعدم التزام بعض القبائل العربية بها وعدم احترامها لهذه الأشهر[1] ، وقد ذكرنا ما رواه أهل الأخبار عن استغلال الحرمات والبغي الذي وقع في مكة مما أدى الى ضعف الحج إليها نتيجة للتنافس بين القبائل النازلة بمكة وضواحيها حتى مجيء قصي بن كلاب الذي قاتل خزاعة أيام الحج وفي الحرم[2] .

ومن ثم فان تعظيم الأشهر الحرم استمر بعد قصي بن كلاب ومن تبعه على رئاسة مكة ، وكانت " قريش ومن هو على دينها يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون فيها "[3] ، وهذا ما فرضته على القبائل ، إذ صارت لقريش بعض الامتيازات الدينية والتشريعية والناس يسيرون على ما يسنونه لهم ويعتبرونه سنناً دينية واجبة التنفيذ ، وبذلك يزداد الإقبال على الحج ومن خلاله تعود لأهل مكة المنافع من عمليات إقامة الأسواق العامة في مكة[4] .

وقد أدت هذه الإجراءات الى ازدياد القوافل التجارية الوافدة الى مكة بعد ان وجدت فيها أمناً وراحة وجعلت قريش تنتبه لنفسها وتنظر بعين فاحصة بعيدة المدى ، فأرضهم جدباء ومياههم شحيحة ، فلابد والحالة هذه من تأمين وتنشيط التجارة لاسيما وأنهم ينظرون الى تجار اليمن وتجار بلاد الشام وغيرهم الذين يتعاملون معهم وعرفوا المنافع التي يحصلون عليها من تجارتهم وأسفارهم ، وبعد أن تهيأت الظروف المواتية بعد قصي وعلى ايام حفيده هاشم الذي تحولت قريش في عهده من وسيط تجاري الى تجار رئيسيون يسيرون القوافل التجارية لمختلف الاتجاهات ، وفتح بوجه قريش الخير من خلال حصوله على الإيلاف من قيصر الروم كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته[5] ، وتبعه

---

(1) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص116 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص238 .

(3) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص180 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص109 .

(5) ج1 ، ص75 .

أخوته على مثل ذلك ، وانتقل تجار مكة من تجار محليين الى تجار عالميين ، وهنا وظفت قريش تحالفاتها القبلية في حماية خطوط التجارة[1] .

وخرجت قريش برحلات تجارية الى نواحي عديدة ، قد وصلوا الى بلاد عاد[2] في حضرموت[3] وبلاد ثمود[4] في مدائن صالح شمالاً ، وقد ورد في القرآن الكريم رحلتان لقريش ، فقال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾[5] ، لكن قريش لم تقتصر على رحلتين في السنة ، فالروايات التاريخية تشير الى اعتراض المسلمين لست قوافل تجارية لقريش قبل موقعة بدر سنة (2هـ) قاد الرسول ﷺ ثلاثاً منها وهي : غزوة الابواء[6] ، وغزوة بواط[7] ، وغزوة ذات العشيرة[8] ، ثم سرية

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص111 .

(2) عاد : قبيلة من العرب العاربة والبائدة ، وهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، ويقال لها : عاد الأولى ، وكانت منازلهم بالاحقاف بين اليمن وعمان من البحرين الى حضرموت والشحر ، بعث الله تعالى منهم هوداً عليه السلام نبياً لكنهم لم يؤمنوا فأهلكوا بالريح العاتية كما ورد في القرآن الكريم ، ينظر : القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص329 .

(3) حضرموت : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم ، سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ ، وقيل غير ذلك ، وإنما سميت حضرموت لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، وهي ناحية واسعة في شرق عدن قرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف ، وبها قبر هود عليه السلام ، وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخاً ، وبينها وبين عدن مسيرة شهر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص270 .

(4) ثمود : قبيلة من العرب البائدة ، اشتهرت باسم ابيهم وهم بنو ثمود بن جائر ، وقيل : كاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، كانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال ، وقد بعث الله تعالى لهم أخاهم صالحاً رسولاً فلم يؤمنوا فأهلكهم الله تعالى بصيحة من السماء كما جاء في القرآن الكريم ، ينظر : القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص200 .

(5) سورة قريش الآيات : 1-2 .

(6) غزوة الابواء : أول غزوة قادها النبي ﷺ وتسمى (غزوة ودان) وقعت في شهر صفر سنة (2هـ) ، وكان الغرض منها التعرض لقافلة تجارية لقريش ، إلا أن الهدف لم يتحقق ، ووادع النبي ﷺ بني ضمرة ، ثم عاد الى المدينة ، ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص170 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص8 .

(7) غزوة بواط : خرج النبي ﷺ الى بواط من ناحية رضوى في آخر ربيع الأول للتعرض لقافلة قريش ولم يلقي كيداً ، وكان في مائتي من أصحابه ، وكانت عِير قريش بقيادة أمية بن خلف ، ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص176 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص8-9 .

(8) غزوة ذات العشيرة : خرج الرسول ﷺ في أواخر جمادى الأولى في مائة وخمسين رجلاً من أصحابه واتجهوا الى العشيرة وهي ناحية بين مكة والمدينة من أجل التعرض لقافلة قريش التي كانت قد خرجت من مكة متجهة الى الشام ، إلا انه لم يلحق بها لأنها خرجت قبل أيام ، وهي نفسها القافلة التي خرج إليها المسلمون لمصادرتها عند عودتها وكانت سبباً في معركة بدر ، ينظر : الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص12 .

عبيدة بن الحارث[1] ، وسرية الحمزة[2] ، وسرية عبد الله بن جحش[3] كلها لاعتراض تجارة قريش مما يدل على أن القوافل التجارية مستمرة طيلة أيام السنة .

لقد نجم عن خروج قريش بتجارتها لمناطق عديدة من البلدان والمواضع الى حصولهم على أموال طائلة نتيجة ما يحققونه من أرباح عالية ، فقد كانوا " يربحون بالتجارة للدينار ديناراً "[4] ، وبذلك ظهرت فئة من كبار التجار لها علاقات وثيقة مع أصحاب الأموال خارج مكة لاسيما مع الطائف ويثرب واليمن وبلاد الشام والعراق ، إذ أنهم كانوا يتصافقون في التجارة فيما بينهم ويتشاركون في الأعمال حتى صار القرشيون من أشهر التجار وأكثرهم مالاً في القرن السادس للميلاد[5] ، ومن البديهي أن نجد الى جانب هؤلاء التجار الكبار الذين لهم السيطرة الكاملة على مجتمع مكة تجاراً صغاراً وسطاء لتصريف البضائع في أسواق مكة الداخلية ، وأن هذا يؤدي الى وجود نظام لتخزين البضائع وأسلوب لتصريفهما يعتمد شكلاً من العلاقة بين الطرفين لتصريف بضائعهم التجارية[6] .

وقد رافق هذا التنظيم التجاري تنظيم مالي أفرزته الضرورة الناجمة عن تراكم رؤوس الأموال الذي أدى الى ظهور عملية القروض المصحوبة بالربا التي حرمها الإسلام

---

(1) سرية عبيدة بن الحارث : خرجت في أوائل شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة بعد عودة النبي ﷺ من ودان ، وكانت بقيادة عبيدة بن الحارث فلقي جمعاً عظيماً من قريش فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان اول سهم رمي في الإسلام وكان عدد المشركين مائتين بقيادة أبي سفيان ، ينظر : الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص10 ؛ ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص171 .

(2) سيرة حمزة بن عبد المطلب : بعث الرسول ﷺ هذه السرية بقيادة عمه حمزة في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة الى سيف البحر من ناحية المدينة في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، وقيل : خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار ، وقد اعترضت هذه السرية قافلة لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب ، فحجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين جميعاً ، ينظر : الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص9 ؛ ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص174 .

(3) سرية عبد الله بن جحش : (سرية نخلة) في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة مؤلفة من ثمانية أشخاص الى موضع يدعى نخلة بين مكة والطائف ، وحين وصلوا الى نخلة مرت بهم قافلة تجارية لقريش كانت قادمة من الطائف تحمل معها زبيباً وآدماً ، وكان برفقتها أربعة رجال بقيادة عمرو بن الحضرمي الذي قتل وأسر اثنان ومن رفاقه وأفلت الرابع ، ينظر : ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص179 .

(4) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص128 .

(5) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص123 .

(6) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص112 .

وألغاها الرسول ﷺ عند فتح مكة فقال : " وربا الجاهلية موضوع كله وأول رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب "[1] ، وكان العباس ممن يتعاملون بالربا قبل الإسلام ، وكذلك كان أبو لهب من الذين يقرضون الأموال ، وقد رافق نمو التجارة في مكة ظهور الاشتراك في الأعمال التجارية ، فقد كان رباح بن المغترف[2] من بني الحارث بن فهر قد اشترك مع عبد الرحمن بن عوف في تجارته[3] ، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن السائب بن صيفي[4] قال : " أتعرفني يا رسول الله؟ قال : كيف لا اعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني "[5] ، لأنه كان شريكاً له ، وقال ﷺ : " نعم الشريك كان أبو السائب "[6] ، لكننا لا نعلم تفاصيل هذه الشركات ، فضلاً عن أن القوافل التجارية كان يشترك فيها غالبية قريش ، فالقافلة التي قادها أبو سفيان وحاول المسلمون الاستيلاء عليها ووقعت بسببها معركة بدر كانت لعامة قريش ، إذ يقول في وصفها المؤرخون : " وكانت العِير ألف بعير فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعثت به في العِير "[7] ، وقد أدى التعامل المالي مع النقود المتداولة الى ظهور مهنة

---

(1) ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت241هـ/855م) ، مسند الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الارناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 2001م) ، ج24 ، ص300 ؛ الخازن ، ابو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت741هـ/1341م) ، لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، (بيروت – 1979م) ، ج1 ، ص301 .

(2) هو رباح بن المغترف بن جحوان بن عمرو بن شيبان من محارب بن فهر يكنى أبا حسان من اصحاب النبي ﷺ اسلم عام الفتح ، وشهد فتح مصر ، وله حديث رواه عنه ابنه ، ينظر : ابن يونس ، ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يوسف الصدفي المصري (ت347هـ/958م) ، تاريخ ابن يونس ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) ، ج1 ، ص169 .

(3) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص113 .

(4) هو السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن اسلامه ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج2 ، ص573 .

(5) الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت – 2002م) ، ج1 ، ص256 .

(6) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج2 ، ص572 .

(7) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص27 ؛ المقريزي ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت854هـ/1441م) ، إمتاع الإسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1999م) ، ج1 ، ص85 ؛ الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي (ت842هـ/1535م) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1993م) ، ج4 ، ص18 .

الصراف الذي لابد له من أن يكون عارفاً بالمعادن يميز جيدها من رديئها ، كما كان عليه أن يعرف وزنها لان التعامل معها وزناً لا عداً[1] ، وعليه ان يعرف أيضاً سعرها في الأسواق لكي يتمكن من تقدير سعر التبادل التجاري والنقد المتداول في مكة هو الدينار الذهبي والدرهم الفضي والأول : هو عملة الإمبراطورية البيزنطية ويأتي عن طريق التعامل مع بلاد الشام ، والثاني : عملة الدولة أو الإمبراطورية الساسانية ويصل الى مكة عن طريق العراق[2].

وبفضل هذا النشاط أصبحت مكة في بداية القرن السادس للميلاد مركزاً تجارياً ومالياً خطيراً يلعب دوراً أساسياً في العلاقات التجارية في المنطقة ، وإنها ممسكة زمام التجارة في بلاد العرب وتنعقد فيها وحولها أعظم أسواق العرب التجارية والأدبية في موسم الحج ، وان قوافلها تجوب أطراف شبه الجزيرة العربية وخارجها ، ونتيجة لما أوجدوه من تنظيمات وترتيبات حققوا نجاحاً كبيراً في الميدان التجاري وجنوا من وراء ذلك ثروة كبيرة جعلتهم يحتلون مركز الزعامة في شبه الجزيرة العربية كلها في بداية القرن السابع للميلاد ، إذ كان تجار مكة أذكياء نافذين وصاروا أدرى العرب بأمور التجارة مما مكنهم من تحويل وادي مكة القاحل الى (بندقية) الصحراء[3] .

---

(1) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله وعمر انيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، (بيروت – 1987م) ، ص448 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص113-114 .

(3) المرجع نفسه ، ص113-114 .

إيلاف قريش

الإيلاف لغة :

الألف : مصدر ألفت الشيء فأنا آلفهُ من الألفة ، والألفة مصدر مثل الائتلاف[1] ، وألفت الشيء وآلفته بمعنى واحد ، أي لزمته فهو مؤلف ومألوف ، وألفت فلاناً إذا أنست به ، وألفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألفت الشيء وصلت بعضه ببعض ، ألفت فلاناً الشيء إذا ألزمته إياه[2] ، والإيلاف في التنزيل : العهد ، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، وتأويله : أنهم كانوا سكان الحرم آمنين في امتيارهم وتنقلاتهم شتاءً وصيفاً ، والناس يتخطفون من حولهم قال تعالى : ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ سُوۡرَةُ ﴾[3] ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم أحد ، أو أن (اللام) للتعجب ، أي أعجبوا لإيلاف قريش[4] .

وذكر بعض أهل اللغة : " ان معناها متصل بما بعدها فيكون المعنى : فليعبدوا (هؤلاء) رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتيار ، وذكر بعضهم : هي موصولة بما قبلها فيكون معناها : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، أي أهلكت أصحاب الفيل لأولف قريشاً مكة ولتؤلف قريش رحلتيها ، أي تجمع بينهما "[5] ، وعلى هذا فان الإيلاف هو العهود التي يأخذونها إذا خرجوا في التجارات فيأمنون بها.

الإيلاف اصطلاحاً :

قال تعالى : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قال تعالى : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[6] ، أختلف القراء في قراءة الكلمة

---

(1) الفراهيدي ، العين ، ج8 ، ص336 .

(2) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج15 ، ص272 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج9 ، ص10 .

(3) سورة العنكبوت الآية : 67 .

(4) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص793 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج23 ، ص31 .

(5) الزبيدي ، تاج العروس ، ج23 ، ص32 .

(6) سورة قريش الآيات : 1-4 .

فمنهم من قرأها (لآلاف) بغير ياء بعد الهمزة[1] ، ومنهم من قرأها وهم الأغلبية بإثبات الياء بعد الهمزة ، وقرأ بعض أهل المدينة (إلافِهم) مقصورة في الحرفين جميعاً ، وقرأ بعض القراء (إلفِهم) وكل صواب[2] ، وذكر في تفسيرها : " أن قريشاً كانوا تجاراً يختلفون الى الأرض ، وكانوا يمتارون في الشتاء من الأردن وفلسطين لأن ساحل البحر أدفأ ، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشتاء والبحر من اجل الحر وأخذوا الى اليمن للمسير فشق عليهم الاختلاف فأنزل الله تعالى : (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ) فقذف الله عز وجل في قلوب الحبشة ان يحملوا الطعام في السفن الى مكة للبيع ، فحملوا إليهم فجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحمير فيشترون الطعام على مسيرة يومين من مكة ، وتتابع ذلك عليهم سنين فكفاهم الله مؤونة الشتاء والصيف ، ثم قال : (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ) لأن رب هذا البيت كفاهم مؤونة الخوف والجوع فليألفوا العبادة له ، كما ألفوا الحبشة ولم يكونوا يرجونهم ، (صدق الله العظيم بِسۡمِ) حين قذف في قلوب الحبشة ان يحملوا إليهم الطعام في السفن ، (ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ) يعني القتل والسبي ، وذلك ان العرب في الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض ، فكان الله عز وجل يدفع عن أهل الحرم ولا يسلط عليهم عدواً ، فذلك قوله (ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ)[3].

وقد أطلق احد الباحثين على الإيلاف اسم المعاهدات التجارية[4] ، وربما يعود التفاوت والاختلاف في معاني الإيلاف الى التباين في الفهم العام للمعنى ، وللوقوف على صورة أدق لمعنى (الإيلاف) سنتناول بعض الآراء التي فسرت هذا المعنى بشيء من الإيجاز : فقد ذكر الثعالبي ما نصه : " كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها

---

(1) الخازن ، تفسير ، ج7 ، ص246 .

(2) الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت207هـ/822م) ، معاني القرآن ، تحقيق : احمد يوسف النجاتي وآخرون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة – د.ت) ، ج3 ، ص293 .

(3) مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن بن بشير الازدي البلخي (ت250هـ/767م) ، تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، (بيروت – 2002م) ، ج4 ، ص862 .

(4) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص147.

مكة في المواسم وبذي المجاز[1] ، وسوق عكاظ ، وفي الأشهر الحرم لا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها للتحمس في دينهم والحب لحرمهم ، والألف لبيتهم ولقيامهم بجميع من دخل مكة بما يصلحهم ، وكانوا بواد غير ذي زرع كما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام حين قال : ﴿ ﴾[2] ، فكان أول من خرج الى الشام ووفد الى الملوك وابعد في السفر ومر بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله هاشم بن عبد مناف ، وكانت له رحلتان رحلة في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليمن ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة ، ورحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم ، وكان هاشم يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين إحداهما أن ذؤبان[3] العرب وصعاليك[4] الأعراب ، وأصحاب الغارات ، وطلاب الطوائل[5] كانوا لا يؤمنون أهل الحرم ولا غيرهم ، والخصلة الأخرى أن أناسا من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً كبني طيء وخثعم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له ، فقد عقد الإيلاف ، ومعنى الإيلاف : إنما هي حصة كان يجعلها هاشم لرؤساء القبائل من الربح ويحمل لهم متاعاً مع متاعه ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ليكفيهم مئونة الأسفار ويكفي قريشاً مئونة الأعداء فكان ذلك صلاحاً للفريقين ، إذ كان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش واتاها خير الشام واليمن والحبشة وحسن حالها وطاب عيشها "[6] .

وقد ذكر في سبب أخذها الإيلاف ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : ( ) انه قال : " إلفهم رحلة الشتاء والصيف ، وذلك أن

---

(1) ذي المجاز : سوق لهذيل على يمين الموقف بعرفة قريب من كبكب ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1185 .

(2) سورة إبراهيم الآية : 37 .

(3) ذؤبان : من المجاز ، وقد ذؤب فلان ذآبة : خبث كالذئب ، ينظر : الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج1 ، ص307 .

(4) الصعلوك : الفقير ، وصعاليك العرب ذؤبانها وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه ، والتصعلك : الفقر ، ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج4 ، ص1596.

(5) الطوائل : (الطائلة) العداوة والجمع طوائل : وهي الذُحول والاوتار وفلان يطلب بني فلان بطائلة أي : بوتر كان له فيهم ثأراً يطلبه بدم قتيله ، ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج29 ، ص399 .

(6) الثعالبي , ثمار القلوب ، ص115-116 .

قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة (مجاعة) جرى هو وعياله الى موضع معروف فضربوا على أنفسهم خباءً فماتوا ، حتى كان عمرو (هاشم) بن عبد مناف وكان سيد في زمانه وله ابن يقال له أسد وكان له ترب[1] من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فقال له : نحن غداً نعتفد[2] ، فدخل أسد على أمه يبكي ، وذكر ما قاله تربه ، قال : فأرسلت أم أسد الى أولئك بشحم ودقيق فعاشوا به أياماً ، ثم أن تربة أتاه أيضاً فقال : نحن غداً نعتفد ، فدخل أسد على أبيه يبكي وخبره خبر تربه ، فاشتد ذلك على هاشم بن عبد مناف فقام خطيباً في قريش وكانوا يطيعون أمره فقال : إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتكثر العرب ، وتذلون وتعز العرب ، وانتم أهل حرم الله عز وجل واشرف ولد آدم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفاد يأتي عليكم فقالوا : نحن لك تبع ، قال : ابتدئوا بهذا الرجل (يعني أبا ترب أسد) ، فأغنوه عن الاعتفاد ففعلوا ... ثم جمع كل بني أب على رحلتين : في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش وهو قول شاعرهم :

والخالِطُونَ فَقيرُهم بِغَنِيّهم ... حَتى يَصيرَ فَقيرُهُم كَالكافي[3]

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر وهو يرد على بني أسد ما يدعونه من قرابة قريش :

زَعَمْتُم أنَّ إخْوَتُكُم قُرَيشٌ ... لَهم إلفٌ ولَيْسَ لَكُم إلافُ

أولئكَ أوْمَنوا خَوْفَاً وَجوعَاً ... وقَدْ جاعَتْ بَنو أسْدٍ وخافوا[4]

وكان أول من أخذ الإيلاف والعصم من قريش هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب كما ذكرنا ، فقد روى ابن الجوزي وغيره ، عن ابن عباس ﷺ قال : "والله لقد

---

(1) الترب : اللدة الذي ينشأ معك والجمع اتراب ، ينظر : الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص253 .

(2) نعتفد : (الاعتفاد) ان يغلق الرجل الباب على نفسه فلا يسأل احد حتى يموت جوعاً ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج2 ، ص133 .

(3) الرازي : فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي (ت606هـ/1210م) ، مفاتيح الغيب ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1999م) ، ج32 ، ص297 ؛ القرطبي ، تفسير ، ج20 ، ص204 ؛ الاستانبولي ، روح البيان ، ج10 ، ص519 .

(4) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص117 .

علمت قريش أن أول من اخذ لها الإيلاف وأجاز لها العِيرات هاشم ، والله ما نبذت قريش خيلاً ولا أناخت بعيراً بحضر إلا لهاشم "[1] .

وقد ذكر ابن ابي الحديد في شرحه كلاماً عن أُناس لم يذكرهم : " أن هاشماً جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها اليه ليحمي بها أهل مكة "[2] من ذؤبان العرب وصعاليكها ، ولكن هذا غير ما ذكرنا سابقاً من أن هاشماً قد جعل لرؤساء القبائل حصصاً في القوافل التجارية المارة عليهم ، وكذلك فأن مكة منذ أن نشأت كانت حرماً آمناً لا يعتدى عليه والعرب تعرف لها ذلك ، فيبدو أن رأي ابن أبي الحديد ضعيف بالمقارنة مع ما ذكرنا .

ويحدثنا أبو علي القالي وغيره حديث الإيلاف والمعاهدات التي عقدها هاشم وإخوانه فيقول : " كانت قريش تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدوا مكة ، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ، ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة ثريد[3] ويجمع من حوله فيأكلون ، وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم ، فذكر ذلك لقيصر فقيل له : ههنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ، وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحائف ثم تأتدم بالخبز ، فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلمه أعجب به فكان يبعث إليه في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه ، فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك أن قومي تجار العرب فأن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أُدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم ، فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مرَ بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً ، والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف أنما هو أمان الطريق ، وعلى أن قريشاً تحمل إليهم بضائع فيكفونهم حملانها ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم ، فأصلح هاشم بذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا

---

(1) المنتظم ، ج2 ، ص214 ؛ الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج1 ، ص270 .

(2) شرح نهج البلاغة ، ج15 ، ص203 .

(3) جفنة : اناء للطعام ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج6 ، ص146 .

بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجوزهم ويوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب حتى أوردهم الشام وأحلهم قراها ومات بذلك السفر بغزة ، وخرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر إليهم من قريش وأخذ الإيلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن ، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة فأخذ إيلافاً كفعل هاشم والمطلب وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجون ، وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش وإيلافاً ممن مر به من العرب ، ثم قدم مكة ورجع الى العراق فمات بسلمان ، واتسعت قريش بالتجارة في الجاهلية وكثرت أموالهم ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منَّةً في الجاهلية والإسلام "[1] .

ثم أن قريشاً خطت خطوة أخرى على جانب من الأهمية تدعم بها إيلافها التجاري عندما ربطت بين الأعمال التجارية والوظائف الدينية خدمة لمصالحها ، فقد جعلت بعض هذه الوظائف بيد القبائل القوية ، إذ قلدت قريش قبيلة تميم وظيفتين كبيرتي الأهمية في حياتهم الدينية والاقتصادية[2] وهما القضاء في عكاظ والإجازة[3] في الحج[4] ، وبذلك قدمت تميم خدمات جليلة لقريش في الحفاظ على مصالحها التجارية بشكل مباشر أو عن طريق حلفاء تميم من بقية القبائل[5] .

وأن الناظر والمتتبع لإيلاف قريش من خلال ما ذكرته المصادر يجد في طياته عملين مترابطين ، الأول : انه أعطى قريشاً مكانة متميزة لدى الحكام الذين تعاقدوا معهم فمنحوهم معاملة خاصة وحماية في أراضيهم ، كما كانت لهم بعض التسهيلات

---

(1) القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي (ت356هـ/967م) ، الامالي في لغة العرب، تحقيق : محمد عبد الجواد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1978م) ، ج3 ، 204 ؛ أبو هلال العسكري ، الأوائل ، ص26 ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج15 ، ص211 .

(2) كستر ، الحيرة ومكة ، ص86 .

(3) الإجازة ، الإفاضة بالحجيج من منى الى المزدلفة ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج12 ، ص173 .

(4) ابن حبيب ، المحبر ، ص182 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص119 .

في الضرائب والتنقل يضاف الى ذلك تفضيل تجار قريش على بقية التجار الذين يفدون إليهم[1] ، وتزداد هذه الامتيازات قوة وفاعلية بتكاملها مع العمل الثاني للإيلاف : وهو ما عقد مع سادات ورؤساء القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم ، إذ لولا هذه العقود والعهود والحبال أو العصم التي تمت معهم لبقيت تجارة قريش معرضة للنهب ، أو لربما لم تصل الى الأماكن التي اتفقوا مع حكامها[2] .

وللتأكيد على سلامة القوافل التجارية استعانت قريش بأدلاء لهذه القوافل من القبائل الضاربة على الطرق التجارية ومنهم : فرات بن حيان العجلي[3]، وعتبة بن غزوان االتميمي[4] ، وكانت أجرة الواحد منهم تصل الى عشرين مثقالاً من الذهب[5] ، وكذلك فانَّها عززت الإيلاف بإقامة مصاهرات عديدة مع القبائل لتمتين الروابط بين الجانبين وضمان استمرار سير القوافل التجارية والتعامل مع مكة[6] .

ومن خلال ذلك نجد ان اهل مكة قد تمرسوا في ادارة شؤون المدينة من خلال ما شرعوه من نظم ادارية ودينية واقتصادية اسهمت في تكوين حكومة داخلية لها مركزها ومكانتها بين الدول الاقليمية وهذا ما نتلمسه من وقوفها على الحياد في الصراع الدائر بين الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية حفاظا على مصالحها الاقتصادية .

ومما تقدم يتضح لنا أن ما قام به هاشم بن عبد مناف وأخوته يعد مشروعاً جريئاً ومهماً ، إذ حول تجارة مكة من عملية فردية الى عمل جماعي يساهم في رأس ماله جميع أهل مكة ، وبالتالي فأن ما تحققه القافلة من أرباح تعود لجميع أهل مكة ، وعليه أصبح لزاماً على قريش بأغنيائها وفقرائها القيام بمهمة الدفاع عن مكة ومصالحها التجارية باعتبارهم جميعاً من المساهمين برأس مال القافلة ، ولذلك يقول ابن حبيب : " أصحاب الإيلاف من قريش الذين رفع الله بهم قريشاً ونعش فقراءها "[7] .

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص302 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص117 .

(3) فرات بن حيان : هو فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حية بن ربيعة بن سعد بن عجل حليف بني سهم ، كان دليلاً هادياً للطرق ، أَسرتهُ السرية التي بعث بها النبي ﷺ بقيادة زيد بن حارثة ﷺ ليعترضوا عِيراً لقريش فأصابوها وأسروا فراتاً فأتي به رسول الله ﷺفقال : أسلمت لرب العالمين فأطلقه ، ولم يزل يغزو مع الرسول ﷺ الى أن قُبض ، فنزل فرات الكوفة وابتنى بها داراً في بني عجل وعقبه بها ، ينظر : أبو نعيم الأصفهاني ، معرفة الصحابة ، ج4 ، ص2293 .

(4) عتبة بن غزوان : هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب من بني مازن بن منصور السلمي حليف بني نوفل ، وهو ابن أخت لقريش يكنى أبا عبد الله وأبا غزوان ، وكان رجلاً طويلاً جميلاً ، وهو قديم الاسلام هاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية هاجر الى المدينة ، وهو ابن أربعين سنة ، وهو الذي مصر البصرة واختطها على عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، توفي في البصرة سنة (17هـ) ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج3 ، ص72.

(5) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص28 .

(6) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص118 .

(7) المحبر ، ص162 .

المبحث الثاني

طرق المواصلات وأهميتها في تجارة مكة

تعتمد التجارة في شبه الجزيرة العربية عموماً وبشكل أساسي على شبكة من الطرق[1] التي تمتد بين أجزائها مشكلة الشريان الحيوي الذي يربط بينها ، وهناك عوامل عديدة حتمت وجود طرق مواصلات تربط بين أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وبين البلاد المجاورة ، ومن بين هذه العوامل قيام الأسواق التي تولت مهمة تبادل البضائع بين المناطق المنتجة والمستهلكة .

وقد اهتم العرب منذ القدم بتحسين الطرق ووضع العلامات عليها وفي الغالب فان هذه الطرق تمتد في شبه الجزيرة العربية من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، أو من الجنوب الى الشمال متجنبة المناطق الصحراوية[2] سالكة السبل التي تتوفر فيها المياه وتقل فيها العقبات والصعوبات[3] ، وتمر كل هذه الطرق بالعديد من المحطات ، إذ تتوقف فيها القوافل التجارية لغرض الاستراحة والتزود بالماء والقوت ، وغالباً ما تكون هذه المحطات عبارة عن مواضع تتوفر فيها المياه بشكل آبار أو برك وربما استقرت حول هذه المياه بعض القبائل فتنشا نتيجة لذلك قرى كبيرة[4] ، وفي كثير من الأحيان تصبح هذه المحطات أسواقاً توفر للقوافل بعض ما تحتاجه من بضائع فتنتج عن ذلك بعض المعاملات التجارية من بيع وشراء وإقراض[5] .

أما أهم الطرق التي تربط شمال شبه الجزيرة العربية بجنوبها فهما طريقان يبدآن من ظفار[6] ، ويمران بمحاذاة الصحراء والى الشرق والغرب منها لتفادي عبورها وهما :

---

(1) ينظر : الشكل رقم (4) الملحق ، ص236.

(2) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد – 1968م) ، ص37 .

(3) إبراهيم ، حقي إسماعيل ، أسواق العرب التجارية في شبة الجزيرة العربية ، دار الفكر ، (عمان – 2002م) ، ص30.

(4) ابن رسته ، الاعلاق ، ص178 .

(5) العلي ، محاضرات ، ص42 .

(6) ظفار : مدينة قرب صنعاء كان بها مسكن حمير، وفيها قيل : من دخل ظفار حمّر أي تكلم بالحميرية ، وبها اللبان الذي لا يوجد الا في جبالها ، وانه غلة سلطانها ، ينظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص55 .

أ . الطريق الغربي :

يسير هذا الطريق الذي يبدأ من ظفار بمحاذاة وادي حضرموت الرئيس ، ثم شبوة[1] في أقصى الغرب من حضرموت فيلتقي بالطريق الفرعي المؤدي الى عدن[2] ، ثم منها الى مأرب ، ثم الى صنعاء[3] ، ويرتبط مرة أخرى بفرع أخر يؤدي الى عدن ، ومن صنعاء يسير الطريق شمالاً عبر الحجاز ماراً بسلسلتين جبليتين عبر وادي القرى[4] ، ثم الى العلا[5] وهي المحطة الحدودية لدولة الأنباط ، والتي يتم فيها تبادل البضائع أحياناً بين اليمانيين والأنباط الذين ينقلونها بدورهم الى تيماء ، ومن تيماء تتوزع البضائع عبر طرق عديدة ، فمنها ما يذهب الى بصرى[6] أو دمشق ليصل الى بقية بلاد الشام ، ومنها ما يتجه الى ايلة[7] والعريش[8] ، والجزء الشمالي من شبه جزيرة سيناء ليصير الى

---

(1) شبوة : بالفتح ثم السكون وفتح الواو ، بلد باليمن على الجادة من حضرموت الى مكة ، وهي لحمير ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص782 .

(2) عدن : بالتحريك وأخره نون ، وهو من قولهم عدن المكان إذا أقام به وبذلك سميت عدن ، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، رديئة لا ما ء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم ومع ذلك رديء ، إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة وتضاف الى أبين ، وهو مخلاف عدن ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص89 .

(3) صنعاء : مدينة عظيمة باليمن كان أسمها القديم (أزل) ، فلما وافتها الحبشة ونظروا الى مدينتها فرأوها مبنية بالحجارة قالوا : هذه صنعة ، وتفسيرها بلسانهم : حصينة ، فسميت صنعاء ، وهي مدينة كثيرة الخيرات متصلة العمارات ليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً ولا اكثر ناساً ، وهي في صدر الاقليم الاول معتدلة الهواء طيبة الثرى ، وكانت ملوك اليمن قاطبة تنزل بها ، وفيها قصر غمدان ، وهي قاعدة اليمن ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص360 .

(4) وادي القرى : وادٍ بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة سمي بها ، غزاه النبي ﷺ بعد فتح خيبر سنة سبع ثم نزله ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص339.

(5)العلا : موضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله الرسول ﷺ في طريقه الى تبوك ، ينظر : الحازمي ، الاماكن ، ص688 .

(6) بصرى : من أرض الشام ومن أعمال دمشق ، وهي مدينة حوران ، وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق ، وفي الخبر أن السيدة آمنة لما حملت بالنبي ﷺ رأت كأنه خرج منها نوراً أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص109 .

(7) ايلة : مدينة على شاطئ البحر في منتصف الطريق ما بين مصر ومكة ، وسميت ايلة ببنت مدين بن ابراهيم عليه السلام ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص216 .

(8) العريش : مدينة جليلة كانت حرس مصر أيام فرعون ، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ، ويتقلدها والي الجفار ، وفيها جامعان ومنبران ، وهواؤها صحيح طيب وماؤها حلو عذب ، وفيها صنوف من التمور ومن الرمان يحمل الى كل بلد بحسبه ، وأهلها من جذام ، ينظر : المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص35 .

مصر ، والبعض الآخر يمر عبر حائل[1] في منحى واسع لتفادي صحراء النفوذ ليصل الى بابل من ارض العراق[2] .

ب . الطريق الشرقي :

ويبدأ أيضاً من ظفار ويسير بمحاذاة ساحل عمان متجنباً الصحراء ومتجهاً الى القطيف[3] التي كانت مرفأ تفرغ فيه البضائع القادمة من الهند ، ومن القطيف الى ظفار ، ثم الى صنعاء ومنها الى الحجاز ، ومن الجدير بالذكر أن تجارة الهند مع الخليج العربي كانت تنقل عبر هذا الطريق[4] .

والى جانب هذين الطريقين ثمة شبكة معقدة من الطرق البرية تسير حول الصحراء الجنوبية ، إذ يوجد طريق يمر من القطيف ، ظفار ، شبوة ، مأرب ، صنعاء ، مكة ، الرياض ، ثم الى القطيف ثانية ، وأخر شمالي يمر بمكة ، الرياض ، القطيف ، إلا أن الطريق الذي ينطلق من القطيف ويمر عبر الرياض ، عنيزة[5] ، حائل ، ثم الى تيماء هو الطريق الأقدم ، لأن تيماء كانت في وقت ازدهارها اكبر مركز توزيعي للبضائع في كل شبه الجزيرة العربية[6] .

ويظهر أنه بمرور الزمن تحسنت هذه الطرق وكثرت منازلها نظراً لنشاط الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية لاسيما التجارة ، وزاد هذا الاهتمام حين جاء الإسلام فازدادت الحاجة الى هذه الطرق ليس لأغراض تجارية فحسب وإنما لحاجة المسلمين لها في عمليات التحرير ، ومن أهم الطرق التي تربط بين أجزاء شبه الجزيرة العربية :

---

(1) حائل : موضع باليمامة لبني نمير ، وهو وادٍ أصله من الدهناء ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص210 .

(2) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص31 .

(3) القطيف : بفتح أوله وكسر ثانيه ، مدينة بالبحرين وهي قصبتها وأعظم مدنها ، وهي لجذيمة من عبد القيس ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص378 .

(4) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص31 .

(5) عنيزة : بضم أوله وبالزاي المعجمة على لفض التصغير ، قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم ، وذلك الوادي يسمى الشجي ، وسمي بذلك لأنه شجى بعنيزة صارت في وسطه ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص976 .

(6) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص32 .

1 . الطريق من المدينة المنورة الى مكة :

يمر الطريق من المدينة المنورة (يثرب) الى مكة شأنه شأن بقية الطرق بالعديد من المراحل والمحطات[1] التي ذكرها معظم الجغرافيين العرب المسلمين على خلاف بسيط بينهم في أسماء بعض المواضع ، ويبدأ هذا الطريق بموضع يسمى ذا الحليفة[2] ، وهو عند البكري[3] ، أما ابن خرداذبه فيذكر محطة يقال لها (الشجرة) بينها وبين المدينة ستة أميال ومنها يقع الإحرام[4] ، ويبدو أن أسم الشجرة قد أخذ من الشجرة التي كان ينزل عندها النبي ﷺ بذي الحليفة لغرض البدء بمراسيم الإحرام ، إذا ما علمنا ان المسافات التي ذكرها الجغرافيين بين المدينة وبين ذا الحليفة أو الشجرة تكاد تكون متطابقة .

ثم يستمر هذا الطريق حتى يصل الى الحفير[5] بمسافة (6) أميال ، ثم الى ملل[6] (6) أميال أيضاً ، ثم يستمر بالمرور على عدد من المنازل والمواضع حتى يصل الى ضواحي مكة ، ويمر ببطن مر التي تبعد عن مكة (13) ميلاً ، ثم الى سرف[7] ، ثم مكة فتكون مجموع المسافة بين المدينة ومكة مائتي ميل تقريباً[8] ، ويخرج من هذا الطريق فرع يصل الى بدر يبدأ من الرويثة[9] الى الصفراء[10] بمسافة (12) ميلاً ، ثم

---

(1) ينظر : الشكل رقم (5) الملحق ، ص237 .

(2) ذو الحليفة : تصغير حلفة ، وهو ماء بين جشم بن بكر بن هوازن ، وبين بني خفاجة العقيليين بينه وبين المدينة (6) أميال ، وقيل (5) أميال أو (7) أميال ، وهو منزل رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة ، وهو ميقات أهل المدينة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص464 .

(3) معجم ما استعجم ، ج2 ، ص368 .

(4) المسالك والممالك ، ص187 .

(5) الحفير : بلفظ التصغير منزل بين ذي الحليفة وملل يسلكه الحاج ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص277 .

(6) ملل : وهو على بعد (22) ميلاً من المدينة ، سمي ملل لتملل الناس بها وكانوا لا يبلغونها حتى يملوا ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص1256 .

(7) سَرِف : بالفتح ثم الكسر ، موضع على ستة أميال من مكة به تزوج الرسول ﷺ من السيدة ميمونة وبنى بها ، وهناك توفيت ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص708 .

(8) البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص470 .

(9) الرويثة : قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخاً ، وتكون آهلة أيام الحج وفيها برك للماء يقال لها الاحساء ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص277 .

(10) الصفراء : بفتح الصاد وسكون الفاء ، وادي الصفراء من ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، ينظر : الحازمي ، الاماكن ، ص603 .

الى بدر (20) ميلاً ، وأخر من الروحاء[1] الى خيف نوح[2] (12) ميلاً ، ثم الى الخيام[3] أربعة أميال ، ثم الى الاثيل[4] ثلاثة عشر ميلاً ، والاثيل من الصفراء ، ثم الى بدر ، وينقسم الطريق من بدر الى الجحفة مسيرة يومين في ارض صحراوية مقفرة فيها بعض الآبار العذبة[5] .

2 . الطريق من مكة الى الطائف :

ترتبط مكة بالطائف بطريقين ، الأول : يبدأ من بئر ابن المرتفع ، ثم الى قرن المنازل[6] ، ثم الى الطائف[7] ، ويبلغ طول هذا الطريق ثلاثة مراحل[8] ويستغرق المسير فيه ثلاثة أيام[9] ، والثاني : طريق العقبة أو العقيق وهو الطريق الذي يأتي على عرفات ثم بطن نعمان[10] ، ثم يصعد على عقبة حراء ، ثم يشرف على الطائف ، ثم يهبط ويصعد عقبة خفيفة ثم يدخل الطائف[11] ، وهذا الطريق اقصر من الأول بمرحلة واحدة ، إذ يمكن قطعه بيومين[12] .

---

(1) الروحاء : هو الموضع الذي نزل به تُبع حين رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة فأقام بها وأراح فسماها الروحاء ، وهي على نحو أربعين ميلاً من المدينة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص637 .

(2) خيف نوح : (خيف) ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمي مسجد الخيف ، والخيف اسم يقع مضافاً الى مواضع كثيرة ، وخيف نوح : على طريق بدر من المدينة ، ينظر : شراب ، المعالم الأثيرة ، ص110 .

(3) الخيام : موضع فيما بين الرمة من وسطها فوق أبانين بينها وبين الشمال أكمة يقال لها الخيمة بها ماء يقال لها الغبارة لبني عبس ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص414 .

(4) الاثيل : وادٍ في حيز بدر طوله ثلاثة أميال بينه وبين بدر ميلان ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص11 .

(5) البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص954 .

(6) قرن المنازل : جبيل قرب مكة يحرم منه حاج نجد ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص1314.

(7) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص134 .

(8) المقدسي أحسن التقاسيم ، ص112 .

(9) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص34 .

(10) بطن نعمان : وهو وادٍ ينبت فيه شجر الأراك ، ويصب في ودان وهو بين مكة والطائف وهو لهذيل على ليلتين من عرفات ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص293 .

(11) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص134 .

(12) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص34 .

3 . الطريق من اليمن الى مكة :

تتصل اليمن بمكة عن طريقين ، الأول : عن طريق نجد ، والثاني عن طريق تهامة ، وتستغرق القافلة في قطع المسافة بين اليمن ومكة عشرين يوماً[1] .

❖ طريق نجد :

حدده الهمداني بـ(22) مرحلة ومن البُرُدِ (35) بريداً فتكون المسافة (420) ميلاً ، يبدأ من صنعاء الى ريدة[2] بمسافة عشرين ميلاً ، ثم الى اثافت[3] (16) ميلاً ، ثم الى خيوان[4] (15) ميلاً ، ويسير في العديد من المحطات حتى يدخل حدود الحجاز في منطقة كتنة[5] ، ثم يسير في الحجاز على عدد من المنازل حتى يصل الى مكة[6] .

❖ طريق تهامة :

يبدأ هذا الطريق من " صنعاء ثم البون[7] فالموبد ثم أسفل العرقة[8] ثم الصرحة ثم رأس الشقيقة ثم حصن[9] ثم الخصوف[10] ثم الهجر[11] ثم العثر ثم بيض[12]

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص34 .

(2) ريدة : مدينة صغيرة باليمن كالحصن تحف بها كروم كثيرة وزروع متصلة وعيون دافقة ، ولأهلها مواش وجمال ، وفيها البئر المعطلة والقصر المشيد التي ذكرت في القرآن الكريم ، ومنها الى صنعاء مرحلة ، ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص147 .

(3) اثافت : اسم قرية باليمن ذات كروم كثيرة وتسمى أثافه بالهاء والتاء أكثر ، وكانت تسمى في الجاهلية درنا بينها وبين صنعاء يومان ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص24 .

(4) خَيوَان : مخلاف باليمن ومدينة بها منسوبة الى قبيلة باليمن وبها الصنم (يعوق) ، وهي من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص415 .

(5) كتنة : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، وهي مخلاف من مخاليف مكة ، ينظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص115.

(6) الهمداني صفة جزيرة العرب ، ص186-187 .

(7) البَون : بفتح الباء ، مدينة باليمن ، وقيل أنها بونان : البون الأعلى والبون الأسفل ، ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص511 .

(8) العرقة : من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد ﷺ ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص110 .

(9) حَصَن : بفتحتين بلد في أوائل اليمن من جهة مكة نزله حصن بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص243 .

(10) الخصوف : اسم وادي بتهائم اليمن لبني سعد العشيرة ، ويسمى وادي جلب ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص471 .

(11) الهجر : (الهجران) مدن من المصدف بحضرموت وهما مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين ، والهجر بلغة أهل اليمن : القرية ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص392 .

(12) بيض : موضع في أول أرض اليمن ، وقيل : بيض من منازل بني كنانة بالحجاز ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص243 .

ثم زنيف[1] ثم ضنكان[2] ثم المعقد ثم حلي[3] ثم الجوثم (وتسمى القناة) ثم دوقة[4] وهي للعبدين من بقايا جرهم ثم الى السرّين[5] ثم الى المعجر ثم الخيال[6] ثم يلملم[7] ثم ملكان[8] ثم مكة ، وهذه طريق الساحل ، والمحجة القديمة ترتفع الى حلي العليا وتسمى حلية ... ثم عشم[9] ثم على الليث[10] ومركوب[11] الى يلملم "[12] .

4 . الطريق من عدن الى مكة :

ولها طريقين الى مكة ، الاول : محاذٍ لساحل البحر الاحمر ، والثاني : يسير عبر بوادٍ وأودية المنطقة ، ومن عدن الى مكة نحو شهر[13] .

---

(1) زنيف : وادٍ باليمن وهو لخولان وكنانة ، ينظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص120 .

(2) ضنكان : من مخاليف اليمن ، بلد على ساحل بحر القلزم ، أهله مقيمون لا يتجرون والناس واردون عليهم وصادرون عنهم ، وبضائع أهلها قليلة وأموالهم يسيرة وصنائعهم نزيرة وجملتها غير حسنة ، لكن الله تعالى حبب الوطن لأهله ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص369 .

(3) حلي : هو حد الحجاز من جانب اليمن ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص38 .

(4) دوقة : بأرض اليمن ، وهو وادٍ على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة ، بينه وبين يلملم ثلاثة أيام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص485 .

(5) السرّين : مدينة على ساحل البحر بينها وبين مكة أربعة أيام ، ينظر : المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص24.

(6) الخيال : أرض لبني تغلب ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص123 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص409 .

(7) يَلَملم : بفتح أوله وثانية جبل على ليلتين من مكة من جبال تهامة ، وأهله كنانة ، وهو في طريق اليمن الى مكة ، وهو ميقات من حج من هناك ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1398 .

(8) ملكان : وادٍ بمكة ولد به ملكان بن عدي بن مناة بن أد وسمي به ، وقيل : هو وادٍ باليمامة أكثر أهله بنو جشم ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص856 .

(9) عشم : موضع بين مكة والمدينة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص126 .

(10) الليث : وادٍ بالحجاز معروف ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص292 .

(11) مركوب : بفتح أوله ، ثنية بالحجاز من ديار هذيل ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1216.

(12) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص188 .

(13) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص28 .

والطريق الساحلي أطول من الطريق الثاني ، والسائر فيها يأخذ على صنعاء وصعدة[1] وجرش[2] وبيشة[3] وتبالة[4] حتى يصل مكة ، والأخر يسمى الصدور والذي يبلغ طوله نحو عشرين مرحلة ، وهو اقرب من الأول غير انه يمر على أحياء اليمن ومخاليفها ويسلكه الخواص منه[5] ، والطريق الساحلي أكثر سلوكاً منه رغم انه ابعد ربما لكونه آمن ، إذ يبتعد عن الولوج الى داخل بلاد اليمن الذي يعج بالمشاكل ، أما أهم المراحل التي يمر بها الطريق الثاني (الصدور) إذ يبدأ بعدن الى المخنق والمسيل[6] ثم عبرة[7] ثم كهالة[8] ومن ثم يسير على عدد من المراحل حتى يصل مكة[9] .

---

(1) صعدة : مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً والنسبة إليها صاعدي على غير قياس ، والذي يتجهز به من صعدة الأديم ، لان بها صناعة الأديم العديم المثال ، وبها تجتمع التجار ، وأهلها أهل أموال وافرة وبضائع وتجارات كثيرة ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص361 .

(2) جُرش : بضم أوله وفتح ثانيه ، موضع باليمن وسمي جرش لان تبع اليماني في حملته الأولى مر بأرض طود فرأى موضعاً كثير الخير قليل الأهل ، فخلف فيه نفر من قومه فقالوا : بمَ نعيش؟ قال : اجترشوا من هذه الأرض وأثروها واعمروها فسميت جرش ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص376 .

(3) بيشة : اسم قرية في وادٍ كثر الأهل من بلاد اليمن ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص242 .

(4) تَبالة : بفتح التاء ، موضع على طريق اليمن من مكة كثير الخصب له ذكر كثير في الأخبار والأمثال والأشعار ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص153 .

(5) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص41 .

(6) المسيل : وادٍ فيه ماء وحلفاء ، كان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان وبين ربيعة ومضر ، وهو ما بين الحجاز واليمن ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص126 .

(7) عبرة : (العبرة) بلد باليمن بين زبيد وعدن قريب من الساحل الذي يجلب إليه الحبش ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص77 .

(8) كُهالة : بضم أوله ، بئر معروفة باليمن على طريق عدن من زبيد ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص137 .

(9) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص41 .

5 . الطريق من عُمان الى مكة :

تتصل عُمان بمكة بطريقين أحدهما ساحلي يسير مجاوراً للبحر الأحمر (بحر القلزم) ، ويبدأ من عُمان[1] الى فرق ، ثم يسير الى عوكلان[2] ، ثم الى ساحل هباة (تسمى مَنِيّ[3]) ، ثم الى الشحر[4] ، ثم يمر على عدد من المخاليف والمحطات وأهمها عدن أبين[5] ومخلاف زبيد[6] ، ثم يستمر حتى يصل الى جدة ، ومنها الى مكة[7] .

والطريق الأخر بري يسير من عثر[8] الى العرش[9] ويسمى طريق الجادة[10] ، إلا أنه قلما تسلكه القوافل لوجود صعوبات تكتنف الطريق ، فهو يسير من صحار وقفار واسعة كما أن الخدمات فيه قليلة لقلة السكان ، فضلاً عن أن القافلة قد تتعرض لغارات

---

(1) عَمان : في الإقليم الثاني ، بعدها عن خط المغرب أربع وثمانون درجة ، وبعدها عن خط الاستواء ثلاثون درجة ، وهي على ساحل البحر ، مدينة حصينة لها أبواب من حديد وبها مياه جارية وأسواق عامرة وبساتين ونخيل وموز وسائر الفواكه وفيها الحنطة والشعير والأرز ، وبلادها عظيمة ثمانون فرسخاً في مثلها ، وهي سهول وجبال ، وفيها قصب السكر ينظر : المنجم ، إسحاق بن الحسين المنجم (465هـ/1072م) ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، تحقيق : فهمي سعد ، عالم الكتب ، (بيروت – 1988م) ، 49 .

(2)عوكلان : بالفتح ثم السكون وفتح الكاف ، العوكلة : الرملة العظيمة ، عوكلان : موضع ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص169 .

(3) مَنِيّ : بفتح الميم وكسر النون وتشديد الياء ، ماء بقرب ضرية بسفح جبل أحمر من جبال بني كلاب ، وهو لبني الضباب منهم ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص862 .

(4) الشحر : بكسر أوله وإسكان ثانيه ، ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص783 .

(5)عدن أبين : بلد باليمن نسب الى أبين وهو رجل من حمير أقام بها ، ويقال : عدن يبين ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص237 .

(6) زبيد : بفتح أوله وكسر ثانيه ، اسم وادٍ به مدينة يقال لها الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وبإزائها ساحل المندب ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص131 .

(7) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص147–148 .

(8) عثر : بفتح أوله وسكون ثانيه ، بلد باليمن ويلفظ بالتشديد ، إلا أن أهل اليمن لا يقولونه إلا بالتخفيف ، بينها وبين مكة عشرة أيام ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص920 .

(9) العرش : مدينة باليمن على الساحل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص100 .

(10) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص192 .

بعض القبائل القاطنة في المنطقة لاسيما شمال البحرين مما يجعل الطريق غير آمن لذلك فان المسافرين يسلكون طريق البحر لغاية عدن ومنها يسافرون براً أو بحراً[1] .

6 . الطريق من اليمامة الى مكة :

يصف ابن خرداذبه هذا الطريق ويقول : " من اليمامة الى العرض[2] او هامة[3] (وتدعى الصدى) بين المشقر[4] واليمامة ، ثم الى الحديقة[5] ثم الى السيح[6] ثم الى الثنية ثم الى سقيراء ثم الى السد[7] ثم الى صداة[8] ثم الى شريفة[9] ثم الى القريتين[10] من طريق البصرة "[11] ، إذ يلتقي بالطريق الذي يربط البصرة بمكة والذي سنتحدث عنه لاحقاً وطول هذا الطريق ست مراحل أي (120) ميلاً[12] .

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص38 .

(2) العرض : وادٍ باليمامة ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص236 .

(3) هامة : موضع قبل هجر كثير النخل ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص783 .

(4) المشقر : حصن بين نجران والبحرين على تل عالٍ ، يقال : انه من بناء طسم ، ويقال له : فج بني تميم لأن المعكبر عامل كسرى غدر ببني تميم فيه ، ينظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص110 .

(5) الحديقة : بالفتح ثم الكسر ، بستان كان بقنا حجر من ارض اليمامة لمسيلمة الكذاب كانوا يسمونه حديقة الرحمن وعنده قتل مسيلمة فسموه حديقة الموت ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص232.

(6) السيح : بفتح أوله وسكون ثانيه ، والسيح الماء الجاري ، وهو اسم ماء بأقصى العرض (وادي اليمامة) ، وفيها سيح الغمر وهو أسفل المجازة وسيح النعامة في أعلى المجازة وسيح البردان ، وهو موضع فيه نخل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص294 .

(7) السد : وهو الحاجز بين الشيئين ، وهو اسم لماء سماء في حزم بني عوال ، وقيل : جبيل لغطفان ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص698 .

(8) صداة : (صداء) ماء معروف بالبياض وهو بلد بين سعد بن زيد مناة بن تميم وكعب بن ربيعة بن كلاب يصدر فيه فلج جعدة ، وهو ماء قليل ليس في تلك الفلاة ، وهي عريضة غيره وغير ماء آخر مثله في القلة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص396 .

(9) شريفة : ماء لبني نمير ، وقيل : وادٍ بنجد فما كان عن يمينه فهو الشرف وعن يساره الشريف ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص795 .

(10) القريتين : أسم لقرّان وملهم ، قريتين لبني سحيم باليمامة ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص773 .

(11) المسالك والممالك ، ص147.

(12) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص38 .

الطرق التي تربط شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام ومصر والعراق :

1 . الطريق بين بلاد الشام ومكة :

أ . سرايا الرسول ﷺ (طريق الحجاز) :

ارتبط الحجاز ببلاد الشام بطرق عدة[1] هي من أقدم وأهم الطرق التي تربط شبه الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة تجارياً ، وفضلاً عما أوردته كتب الجغرافية فقد تحدثت كتب السيرة عن هذا الطريق لارتباطه بسرايا الرسول ﷺ التي كان يرسلها لاعتراض قوافل قريش التجارية القادمة من بلاد الشام ، لكن كتب السيرة لم تصفه بدقة ، وإنما اكتفت بالإشارة الى المواضع التي كانت هذه السرايا تعترض فيها قوافل قريش التجارية[2] ، ويشير ابن هشام الى ذلك في رواية عن ابن إسحاق الى أن الرسول ﷺ خرج غازياً " حتى بلغ ودان ، وهي غزوة الابواء يريد قريشاً "[3] ، وذكر خمسة مواضع أخرى (سبق أن تكلمنا عنها في بداية هذا الفصل) ، كما تحدث عن طريق بدر ، وإذا ما علمنا أن هذه المواضع تقع في الأطراف الغربية لإقليم الحجاز ، فلابد أذن أنها تقع على طريق قوافل قريش التجارية القادمة من بلاد الشام[4] .

ب . طريق القوافل القديم :

يذكر الطبري رواية عن ابن إسحاق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما جهز الجيوش الى بلاد الشام وعين قادة هذه الجيوش " أمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام "[5] ، وهو طريق الحاج الشامي نفسه لاسيما بعد تحرير بلاد الشام[6] ، وقد حدد ابن خرداذبه المناطق التي يمر بها هذا الطريق الذي يبدأ من " دمشق الى منزل ثم الى منزل ثم الى ذات المنازل ثم الى سرغ[7] ،

---

(1) ينظر : الشكل رقم (5) الملحق ، ص237.

(2) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص38-39 .

(3) السيرة ، ج2 ، ص170 .

(4) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص39 .

(5) تاريخ ، ج3 ، ص387 .

(6) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص38-39 .

(7) سرغ : بفتح أوله وسكون ثانيه ، أول الحجاز وأخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل الحاج الشامي ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص707 .

ثم الى تبوك[1] ثم الى المحدثة[2] ثم الى الأقرع[3] ثم الى الجنينة[4] ثم الى الحجر[5] ثم الى وادي القرى ... ثم الى الرحيبة[6] ثم الى ذي المروة[7] ثم الى مر ثم الى السويداء[8] ثم الى ذي خشب[9] ثم الى المدينة "[10] ، ويرى أحد الباحثين أن السبب في عدم ذكر المسافات بين هذه المنازل الى عدم وجود علامات على جميع أجزاء هذا الطريق ناقلاً ذلك عن (موسل) في كتابه شمال الحجاز ، كما نقل عنه أيضاً ان ابن خرداذبه لم يسمي المنزلين باسميهما ، ويرى ان الموضع الأول بعد دمشق هو الكسوة[11] ، والموضع الثالث الذي ذكره باسم (ذات المنازل) هو اذرعات[12](التي تسمى اليوم درعا) الذي يقع جنوب دمشق بمسافة (150) كم ، ويرى هذا الباحث أن هذا الاختلاف على

---

(1) تبوك : بفتح التاء ، وهي من أدنى أرض الشام ، وذكر أن الرسول ﷺ جاء في غزوة تبوك وهم يبوكون حسيها بقدح ، فقال : ما زلتم تبوكونها بعد؟ فسميت تبوك ، ومعنى تبوكون : تدخلون فيه السهم وتحركونه ليخرج ماءه ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص303 .

(2) المحدثة : (المُحدَث) اسم ماء لبني الدئل بتهامة ، وقيل : هو منزل في طريق مكة بعد النقرة على ستة أميال منها ، مؤنثه : المحدثة ، ماء ونخل في بلاد العرب ولها جبل يسمى عمود المحدثة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص60 .

(3) الأقرع : موضع قرب اليمامة لبني نمير ، ويقال له : الأقرع ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص228 .

(4) الجنينة : تصغير جنة ، صحراء باليمامة ، وقيل : قرب وادي القرى ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص352 .

(5) الحجر : بكسر أوله ، بلد ثمود بين الشام والحجاز ، نزله رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص426 .

(6) الرحيبة : (الرحبة) ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص33 .

(7) ذي المرة : (ذو المرة) من أعمال المدينة ، قرى واسعة ، وهي لجهينة بينها وبين المدينة ثمانية برد ينظر ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1218 .

(8) السويداء : تصغير سوداء ، موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص286 .

(9) ذي خشب : (ذو خشب) ، موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص224 .

(10) المسالك والممالك ، ص150 .

(11) الكسوة : قرية وهي أول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق وسميت بذلك لان غساناً قتلت بها رسل ملك الروم لما أتوا إليهم لآخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص461 .

(12) اذرعات : بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، بلد في طرف الشام وتجاور ارض البلقاء ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص47 .

الموضعين الأوليين ربما كان بسبب عدم أهميتهما لقربهما من دمشق ، فكثيراً ما كانت القوافل التجارية تتجاوز بعض المنازل التي لا ترى ضرورة للتوقف بها[1] .

ج . الطريق الساحلي (طريق المُعرِقة) :

هو الطريق الذي تسلكه القوافل اذا سارت الى الشام وتأخذ على ساحل البحر ، وفيها سلكت عِير قريش حين كانت وقعة بدر[2] ، وقد أشار إليه الطبري رواية عن ابن إسحاق إذ يقول : " لما قفل ابو بكر ﷺ من الحج سنة اثنتي عشرة جهز الجيوش الى الشام ، فبعث عمرو بن العاص قبل فلسطين فأخذ طريق المعرقة على ايلة ...)[3] ، وهو اقصر من طريق التبوكية إذ " تختصره العرب الى الشام والى مكة "[4] ، ويبدو انه يمر على يمين بدر بدليل أن أبا سفيان قد " ضرب وجه عِيره الطريق فساحل بها وترك بدراً يساراً "[5] .

❖ **طريق نجد :**

يمر هذا الطريق بالقردة[6] ، كما يشير الى ذلك المسعودي في سرية زيد بن حارثة التي أرسلها الرسول ﷺ لاعتراض قافلة قريش إذ يقول : " ثم سرية مولاه زيد بن حارثة الكلبي مستهل جمادي الآخرة الى الموضع المعروف بالقردة من أرض نجد بين الربذة[7] والغمر[8] وذات عرق[9]

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص40 .

(2) السهمودي ، وفاء الوفا ، ج4 ، ص148 .

(3) تاريخ ، ج3 ، ص387 .

(4) البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص656 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص51 .

(5) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص438 .

(6) القردة : ماء من مياه نجد ، وقيل : موضع بين المدينة والشام وورد لفظه بالفاء (الفردة) ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1026 .

(7) الربذة : بفتح أوله وثانيه ، من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق وبها قبر لأبي ذر الغفاري ﷺ ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص24 .

(8) الغمر : (ذو غمر) بضم العين وفتح الميم ، وادٍ بنجد ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص723 .

(9) ذات عرق : بكسر العين وسكون الراء ، مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص674 .

من جادة العراق يعترض عِيراً لقريش تريد الشام فظفر بها "[1] ، ويبدو أن هذا الطريق يميل كثيراً نحو العمق بالنسبة لشبه الجزيرة العربية ، إلا انه في الوقت نفسه يبدو أيضاً اقل أهمية من الطرق التي سبقت والتي كانت تربط الحجاز ببلاد الشام[2] .

2 . الطريق بين مصر ومكة :

يقدر ابن حوقل المسافة بين مصر والمدينة على الساحل بعشرين مرحلة[3] ، لكن هذا التقدير لا يمكن اعتباره أساساً لقياس المسافة بين مصر والحجاز لأن معدل ما تقطعه القافلة يختلف في القوافل التجارية عنه في قوافل المسافرين والحجيج ، وعلى هذا فأن المسافة تحتاج الى تقدير بالأميال أو الفراسخ أو حتى البرد لقياسها بصورة دقيقة[4] ، ومهما يكن من أمر فقد ربطت الحجاز بمصر بطريقين يمران بعدة منازل مشتركة لغاية المنزل الذي يطلق عليه مدين[5] ، إذ يفترقان فيذهب احدهما الى المدينة ، بينما يذهب الأخر الى مكة دون المرور بالمدينة[6] .

ويصف اليعقوبي هذا الطريق بقوله : " ومن أراد الحج من مصر وخرج من مصر الى مكة فأول منزل يقال له : جب عميرة[7] به مجتمع الحاج يوم خروجهم ، ثم منزل

---

(1) المسعودي ، التنبيه والأشراف ، تحقيق : عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، (القاهرة – د.ت) ، ص210 .

(2) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص41 .

(3) صورة الأرض ، ص40 .

(4) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص41 .

(5) مدين : وهي في الإقليم الثالث وبعدها عن خط المغرب إحدى وستون درجة ، وعن خط الاستواء تسع وعشرون درجة ، وهي بين حدود الشام وحدود مصر ، وهي مدين شعيب ﷺ وفيها جبال كثيرة وكهوف ومغارات ، ينظر : المنجم ، آكام المرجان ، ص91 .

(6) اليعقوبي ، البلدان ، ص179–180 .

(7) جب عميرة : بركة بظاهر القاهرة تسميها العامة بركة الحاج لنزول الحجيج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ، ونزولهم عند العود بها ، ومنها يدخلون الى القاهرة ، ومن الناس من يقول : جب يوسف وهو خطأ وإنما هي أرض جب عميرة ، وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء نسبت هذه الأرض إليه ، ينظر : المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ج2 ، ص434 .

يقال له : القرقرة[1] في صحراء لا ماء بها ، ثم منزل يقال له : عجرود به بئر قديمة بعيدة الرشاء زعقة الماء ، ثم الى جسر القلزم ، فمن أراد أن يدخل مدينة القلزم وهي مدينة على ساحل البحر عظيمة فيها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر الى الحجاز والى اليمن وبها مرسى المراكب وأهلها أخلاط من الناس ، تجارها أهل يسار ، ومن القلزم ينزل الناس في برية وصحراء ست مراحل الى ايلة ويتزودون الماء لهذه الست مراحل ، ومدينة ايلة جليلة على ساحل البحر المالح وبها يجتمع حاج الشام وحاج مصر والمغرب ... ومن ايلة الى شرف البعل[2] ومن شرف البعل الى مدين (وهي مفترق الطريق) ، ومن أراد أن يسلك على طريق مدينة الرسول ﷺ أخذ من مدين الى منزل يقال له : اغراء[3] ثم الى قالس[4] ثم الى شغب[5] ثم الى بدا[6] ثم الى السقيا[7] ثم الى ذي المروة ثم الى ذي خشب ثم المدينة "[8] .

أما الطريق الآخر الذي يذهب الى مكة فهو الطريق الساحلي ، إذ يسلكه من أراد مكة دون المرور بالمدينة[9] ، ويبدأ أيضاً من مدين ثم عينونا[10] ثم العونيد[11] ثم الصلا

---

(1) القرقرة : (ابو قرقورة) منزل قرب حلوان داخلاً في الصحراء ، وهو رأس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيلة التي غرسها بحلوان ، ينظر : المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص385 .

(2) شرف البعل : جبل في طريق الحاج من الشام ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص175 .

(3) اغراء : (بطن الاغر) بين الخزيمية والاجفر على طريق مكة من الكوفة ، وهو على ثلاث أميال من الخزيمية وفيه حوض وقباب وحصن ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص224 .

(4) قالس : بكس اللام ، موضع اقطعه النبي ﷺ لبني الاحدب من عذرة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1059 .

(5) شغب : منهل بين طريق مصر والشام ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص230 .

(6) بدا : قرية بتهامة على الساحل مما يلي الشام وهي قرية يعقوب عليه السلام كان بها مسكنه في أيام فراق يوسف عليه السلام ، ويقال لهذه القرية بيت الأحزان لان يعقوب عليه السلام كان بها حزيناً مدة طويلة ومنها سار الى مصر ليلتقي يوسف عليه السلام ، ينظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص155 .

(7) السقيا : قرية جامعة من أعمال الفرع بينهما مما يلي الجحفة تسعة عشر ميلاً وقيل : تسعة وعشرون ، وقيل : أنها من أسافل أودية تهامة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص721 .

(8) البلدان ، ص179-180 .

(9) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص43 .

(10) عينونا : (عَينُ أُنا) وادٍ بين الصلا ومدين وهو على الساحل ، وقيل : هي قرية يطؤها طريق المصريين اذا حجوا ، و(أُنا) وادٍ ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص176 .

(11) العونيد : مدينة قريبة من نصف الطريق من جدة الى القلزم ، وهناك يطلب الملاحون البشارة من الحاج ، وهي مدينة صغيرة مسورة قريبة من مرسا ضبا ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص422 .

ثم النبك[1] ثم القصيبة[2] ثم البحرة[3] ثم المغيثة[4] ثم ضبة[5] ، ثم الوجه ثم منخوس[6] ثم الحوراء[7] ثم الجار[8] ثم الجحفة ثم قديد[9] ثم عسفان[10] ثم الى بطن مر ثم الى مكة[11] .

3 . الطريق بين العراق ومكة :

ومن الطرق المهمة التي تربط شبه الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة هو الطريق التجاري القديم الذي يربطها بالعراق ، فقد كانت مكة ترتبط بعلاقات تجارية كبيرة مع الحيرة ، وتشير الروايات التاريخية الى أن ملك الحيرة النعمان بن المنذر كان يبعث في كل عام (بلطيمة) تباع له في سوق عكاظ ويشترى له بثمنها ما يحتاجه من البضائع[12] .

---

(1) النبك : (النبوك) بالضم والواو ساكنة ، جمع النبك وهو جمع نبكة ، وهي الروابي من الرمل اللينة ، وهي ارض جرداء بأحساء هجر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص258 .

(2) القصيبة : تصغير القصبة ، وهي بين المدينة وخيبر ، وقيل : هو وادٍ أسفل وادي الروم وما قارب ذلك ، وقصيبة العجاج : من نواحي اليمامة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1102 .

(3) البحرة : بضم أوله وسكون ثانيه ، موضع ببلاد مزينة ، والبحرة : هي ما دون الوادي ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج1 ، ص229 .

(4) المغيثة : منزل في طريق مكة بعد العذيب ، وهي لبني النبهان وبين المغيثة والقرعاء الزبيدية وبينها وبين القرعاء اثنان وثلاثون ميلاً ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص162 .

(5) ضبة : اسم أرض ، وقيل : قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام وبحذائها قرية يقال لها : بدا ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص452 .

(6) منخوس : بضم أوله وإسكان ثانيه ، موضع على طريق التجار الى الشام ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص657 .

(7) الحوراء : بالفتح ثم السكون ، في آخر حدود مصر من جهة الحجاز على البحر شرقي القلزم ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص435 .

(8) الجار : هو ساحل المدينة ، وهي قرية كثيرة القصور كثيرة الأهل على شاطئ البحر فيما يوازي المدينة ترفأ إليها السفن من مصر وأرض الحبشة ومن البحرين والصين ، نصفها في جزيرة من البحر ونصفها في الساحل ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص355 .

(9) قديد : اسم موضع قرب مكة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص313 .

(10) عسفان : بضم أوله وسكون ثانيه ، منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي من مكة على مرحلتين وهي حد تهامة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص940 .

(11) اليعقوبي ، البلدان ، ص179 .

(12) ابن حبيب ، المحبر ، ص195 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص570 ؛ ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص318 ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص110 .

ومما يؤكد لنا أهمية هذا الطريق انه يربط بين الحيرة وبلاد فارس واليمن[1] ، وعلى هذا فلابد من تأمين الحماية للقوافل التي تسير فيه ، لاسيما وانه لم يكن آمناً ، وقد عمل النعمان بن المنذر على ذلك أي حماية الطريق ، ويبدو انه قد عقد بعض الاتفاقيات مع رؤساء القبائل العربية المنتشرة على جنبات الطريق ، وهذا ما نفهمه من كلام الأصفهاني إذ يقول : " وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن "[2] ، وقوله : " وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة يجيزها له سيد مضر "[3] ، وقد كان هذا الطريق يبدأ من الحيرة ، ثم يمضي مع وادي الرمة[4] حتى يصل الى خيبر ، ومنها عن طريق وادي القرى الى يثرب ، ثم الى مكة في الطريق الذي يصل بين شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، ومن مكة الى عكاظ[5].

وفضلاً عن هذا الطريق فقد ارتبط الحجاز بالعراق بطريقين آخرين هما : طريق الكوفة – مكة ، وطريق البصرة – مكة :

أ . الطريق بين الكوفة ومكة :

يسير الطريق الذي يربط الكوفة بالحجاز في مناطق عامرة بالمنازل والمناهل ، كما اخبر بذلك اليعقوبي[6] ، وأول هذه المنازل بعد الخروج من الكوفة هو القادسية[7] ، ويفصل بينهما (14) ميلاً ، ثم الى المغيثة (36) ميلاً ، ثم الى القرعاء[8] (25) ميلاً ،

---

(1) وات ، محمد في مكة ، ص35 .

(2) الأغاني ، ج24 ، ص62 .

(3) المصدر نفسه ، ج22 ، ص61 .

(4) وادي الرمة : هو منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة بها يجتمع أهل الكوفة والبصرة ، وقيل : هو قاع عظيم بنجد فيه أودية ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص72 .

(5) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص44 .

(6) البلدان ، ص150 .

(7) القادسية : قرية كبيرة قرب الكوفة من جهة البر بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، عندها كانت الواقعة الكبرى بين المسلمين وفارس قتل فيها أهل فارس وفتحت بلادهم على المسلمين ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1054 .

(8) القرعاء : سميت بذلك لقلة نباتها ، وهو منزل في طريق مكة من الكوفة ، وكانت بها وقعة بين بني دارم بن مالك وبني يربوع بسبب هيج جرى بينهم على ماء ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص325 .

ثم الى واقصة[1] (22) ميلاً ، ثم العقبة[2] (25) ميلاً ، ثم الى القاع[3](20) ميلاً ، ثم الى زبالة[4] (18) ميلاً ، ثم الى الشقوق[5] (19) ميلاً ، ثم الى بطان[6] (22) ميلاً ، ثم الخزيمية[7] (28) ميلاً ، ثم الى الاجفر[8] (20) ميلاً ، ثم الى فيد[9] (28) ميلاً ، ثم الى توز[10] (24) ميلاً ، ثم الى سميراء[11] (25) ميلاً ، ثم الى الحاجر[12] (23) ميلاً ، ومنها الى معدن النقرة[13] (28) ميلاً ، ومنه يتفرع الطريق الى فرعين فمن أراد الذهاب الى المدينة يعطف الى بطن نخل[14] ، ومن أراد مكة يذهب الى مغيثة الماوان[15][16] .

---

(1) واقصة : بكسر القاف ، وهي موضعان : منزل في طريق مكة بعد القرعاء ، وواقصة أيضاً : ماء لبني كعب ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1421 .

(2) العقبة : منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة ، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص134 .

(3) القاع : منزل بطريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه الى مكة تدّعيه أسد وطيء ، ويوم القاع من أيام العرب كان بين بكر بن وائل وبني تميم ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص298 .

(4) زبالة : بضم الزاي ، منزل من منازل حاج الكوفة ، ينظر : الحازمي ، الأماكن ، ص495 .

(5) الشقوق : موضع في طريق مكة كان به يوماً من أيام العرب ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص806 .

(6) بطان : بكسر أوله ، منزل بطريق الكوفة من جهة مكة ، وهو لبني ناشرة من بني أسد ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص446 .

(7) الخزيمية : بالضم ثم الفتح ، منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص466.

(8) الاجفر : بضم الفاء ، جمع جفر ، وهو البئر الواسعة ، موضع بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة ، وهو لبني يربوع انتزعته منهم بنو جذيمة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص102 .

(9) فيد : موضع في نصف طريق حجاج العراق بينها وبين جبلي أجا وسلمى ستة وثلاثون ميلاً ، ينظر : المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص26 .

(10) توز : بضم التاء وسكون الواو ، منزل وراء فيد في الجانب الحجازي على جادة حاج العراق ، ينظر : الحازمي ، الاماكن ، ص167 .

(11) سميراء : مراحلة من مراحل الكوفة الى مكة ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والامكنة ، ص170 .

(12) الحاجر : في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي ، وهو موضع قبل معدن النقرة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص204 .

(13) معدن النقرة : (نقرة) بفتح النون وسكون القاف ، منازل حاج الكوفة ، ينظر : الحازمي ، الاماكن ، ص902 .

(14) بطن نخل : موضع على ليلة من مكة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1304 .

(15) مغيثة الماوان : وادٍ بين معدن النقرة والربذة ، فيها آبار وبرك على ميل ونصف منها معدن الماوان ، ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج4 ، ص148 .

(16) اليعقوبي ، البلدان ، ص150 ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص251 .

❖ **الطريق الى المدينة :**

بعد الوصول الى معدن النقرة يسير قاصد المدينة الى العسيلة[1] (26) ميلاً ، ثم الى بطن نخل ، ثم الى الطرف[2] (20) ميلاً ، ومنه الى المدينة (24) ميلاً[3] ، ويبلغ طول الطريق من الكوفة الى المدينة نحو عشرين مرحلة[4] ، فتكون المسافة من الكوفة الى المدينة المنورة ما يقارب 475 ميلاً[5] .

❖ **الطريق الى مكة (طريق الجادة)[6] :**

ويبدأ أيضاً من معدن النقرة الى مغيثة الماوان (33) ميلاً ، ثم الربذة (24) ميلاً ، ثم الى معدن بني سليم[7] (24) ميلاً ، ثم السليلة[8] (26) ميلاً ، ثم الى العمق[9] (21) ميلاً ، ثم الى الافيعية[10] (32) ميلاً ، ثم الى المسلح[11] (34) ميلاً ، ثم الى الغمرة (18) ميلاً ، ثم ذات عرق (26) ميلاً ، ثم بستان عامر[12] (22) ميلاً ، ثم الى مكة (24) ميلاً ، فتكون المسافة بين الكوفة ومكة (27) مرحلة ، وهذا الطريق اقصر من الذي سبقه بمقدار ثلاث مراحل[13] .

---

(1) العسيلة : بتصغير لفظة (عسلة) وهو تأنيث العسل ، والعسيلة : ماء في جبل القنان شرقي سميراء ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص125 .

(2) الطرف : ماء قريب من المرقى دون نخيل من ناحية العراق ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص31 .

(3) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص184 .

(4) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص40 .

(5) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص46 .

(6) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص131 .

(7) معدن بن سليم : ويقال له : معدن قِران ، قرية كبيرة بطريق نجد فيها آبار وبرك على مائة ميل من المدينة ، وقيل : على ثمانية برد ، ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، ج4 ، ص147 .

(8) السليلة : بفتح أوله وكسر ثانيه ، موضع من الربذة إليه ستة وعشرون ميلاً ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص243 .

(9) العمق : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج3 ، ص967 .

(10) الأفيعية : بالضم ثم الفتح ، منهل لسليم من اعمال المدينة في الطريق النجدي الى مكة من الكوفة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص233 .

(11) المسلح : بالفتح ثم السكون ، موضع من اعمال المدينة ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1271 .

(12) بستان بني عامر : (بستان ابن عامر) موضع بمجتمع النخلتين نخلة اليمانية ونخلة الشامية وهما واديان ، والبستان على ليلة او ليلتين من مكة ، ينظر : الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص43 .

(13) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص46 .

ب . الطريق بين البصرة ومكة :

ويبدأ هذا الطريق من البصرة مروراً بعدد من المنازل منها : المنجشانية[1] وتبعد عن البصرة (8) أميال ، ثم الى الحفير[2] (20) ميلاً ، ويمر الطريق على منازل أُخر حتى يصل ذات عرق ، ومنها الى بستان بني عامر ، ومن ثم يصل الى مكة[3] ، وتبلغ مراحل الطريق من البصرة الى مكة (27) مرحلة تقريباً[4] ، وتكون مجموع المسافة بينهما (675) ميلاً[5] .

ومما يلاحظ على طرق المواصلات في شبه الجزيرة العربية أن الجغرافيين العرب اختلفوا في تحديد المنازل الي تتوقف فيها القوافل ، كما اختلفوا في بعض منازلها فبينما يذكر قسم منهم الكثير من منازل يغفل القسم الأخر بعض من هذه المنازل ، وربما كان هذا بسبب عدم أهمية هذه المنازل بنظر بعض الجغرافيين ، لأن المسافة التي تفصل بعض المنازل عن التي تسبقها ، والتي تليها لا تزيد عن الميلين أو الثلاثة أميال ، فليس من المعقول أن تتوقف القوافل سواء كانت تجارية أو قوافل مسافرين في كل هذه المحطات ، لأنه يكلفها الكثير من الوقت ، فضلاً عن ذلك فان هذه المنازل ارتبط وجودها واستمرارها بتوفير المياه فيها ، وحالما يجف الماء منها تصبح غير مشجعة لسكن القبائل ، ونتيجة لذلك تحول القوافل التجارية توقفاتها الى منازل أخرى تحصل فيها على ما تحتاجه من الماء والخدمات الأخرى[6] .

---

(1) المنجشانية : بالفتح ثم السكون ، من النجش ، وهو استثارة الشيء واستخراجه ، وهي حد كان بين العرب والعجم بظاهر البصرة قبل أن تخط البصرة ، وتنسب الى منجش مولى قيس بن مسعود الشيباني ، وفيها ماء ومنزل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص208 .

(2) الخفير : بلفظ التصغير ، ماء لبني العنبر على خمسة مراحل من البصرة ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج2 ، ص459 .

(3) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص147 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص187 .

(5) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص47 .

(6) المرجع نفسه ، ص48 .

الطرق البحرية :

1 . صلات شبه الجزيرة العربية مع شواطئ البحر الأحمر :

تحف المياه شبه الجزيرة العربية من ثلاث جهات ، لذا أصبح واضحاً أن هذا الموقع قد أمن لها شواطئ تبدأ من خليج السويس والى سواحل البحر الأحمر ، ومن ثم الى سواحل بحر العرب جنوباً ، ومن ثم مستديرة الى الخليج العربي (خليج البصرة) ، وقد كانت هذه السواحل الطويلة عاملاً مساعداً لتطور الملاحة على هذه السواحل التي كانت تمتد بالقرب منها أراضي تعد من أخصب بقاع شبه الجزيرة العربية هي : اليمن وحضرموت وعمان ، ولم يكن الاتصال بينها بحراً أشد هولاً من عبور الصحارى والجبال التي تفصل بينها براً[1] .

وقد أشار أحد الباحثين الى وجود صلات بين سكان شبه الجزيرة العربية وبين سكان السواحل المقابلة لهم ، فقد كانت هناك علاقات تجارية بين أهل مكة والأحباش ، وقد كانت قبل ذلك علاقات وثيقة بين الأحباش وسكان اليمن الذين احتكروا تجارة الطيوب مدة طويلة ، وكان يمر جزءاً منها بالحجاز[2] .

وكان لقريش دورٌ بارزٌ في تنظيم التجارة مع سكان السواحل لاسيما مع الحبشة ، وقد أشار الى ذلك الطبري بقوله : " وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها يجدون فيها رفاغاً[3] من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً "[4] ، ويبدو أن هذه العلاقات كانت من أسباب توجه المسلمين الى الحبشة مهاجرين إليها ، فقد كان النبي ﷺ عارفاً بعمق العلاقات بين قريش وأهل الحبشة ، وكان انطلاق المهاجرين من مرفأ الشعيبة ، وفي ذلك يقول ابن سعد : " فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة حتى انتهوا الى الشعيبة منهم الراكب والماشي ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها الى أرض الحبشة بنصف دينار "[5] ، والظاهر أن حركة السفن بين شبه الجزيرة العربية والحبشة كانت مستمرة بدليل أنها قد نقلت عدداً كبيراً من المسلمين

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص48 .

(2) حتي ، تاريخ العرب ، ص64 .

(3) رفاغاً : الرفغ والرفاغة والرفاغية : سعة العيش ، ينظر : ابن سيده ، المحكم ، ج5 ، ص504 .

(4) تاريخ ، ج2 ، ص329 .

(5) الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص159 .

في الهجرة الثانية الى الحبشة بلغ عددهم حسب رواية ابن سعد (83) رجلاً و(11) امرأة[1] .

ويذكر الكلاعي رواية عن ابن إسحاق أن النجاشي عندما خرجت عليه الحبشة بسبب موقفه من المهاجرين وقالوا : " إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل الى جعفر وأصحابه وهيأ سفناً وقال : اركبوا فيها ... "[2] ، ولعلنا من هذه الرواية وما سبقها نستدل على نشاط حركة السفن بين الموانئ العربية ومثيلاتها في الحبشة كميناء قراف[3] ، وكذلك فان التبادل التجاري بين الحجاز والحبشة كان كبيراً ، ولعل ذلك كان سبب القرب الذي لا يتطلب بدوره الى سفن كبيرة لنقل البضائع .

2 . صلات سكان شبه الجزيرة العربية من الشرق :

كان لسكان شبه الجزيرة العربية علاقات تجارية مع الهند والصين ، وقد بدأت هذه العلاقات قبل الإسلام بوقت مبكر لكنها لم تكن وثيقة كما هو الحال بعد ظهور الإسلام ، فقد شهدت المنطقة أحداثاً كان من أهمها حروب التحرير والفتوحات التي أوصلت العرب والمسلمين وفرضت سيطرتهم على مناطق جديدة من العالم بعيدة عن مراكز انطلاقهم ، مما أدى الى تأمين حرية التنقل في هذه المناطق وبالتالي تشجيع التجارة للوصول الى مناطق لم يكونوا قد عرفوها سابقاً[4] .

ويذكر الدكتور حمدان الكبيسي : أن العرب قد استخدموا الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في رحلاتهم التجارية الى الهند والشرق الأقصى أيام الصيف ، وعد هذا الأمر كشفاً عظيماً أدى الى تطور كبير في طرق الملاحة والتجارة ، إذ أصبح في استطاعة العرب الوصول الى أسواق الشرق مباشرة وشراء السلع من هناك بعد أن كانت تأتيهم

---

(1) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص162 .

(2) الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري (ت634هـ/1237م) ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1999م) ، ج1 ، ص204 .

(3) قراف : جزيرة في البحر بجوار الجار ، تكون ميلاً في ميل لا يعبر إليها إلا بالسفن ، وهي مرسى الحبشة خاصة ، وسكانها تجار كنحو أهل الجار يؤتون بالماء من فرسخين ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص93 .

(4) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص52–53 .

بواسطة تجار أجانب[1] ، ولقد كان الطريق الذي سلكه التجار من الخليج العربي الى كانتون[2] أطول طريق استعمله الإنسان على نحو منظم قبل التوسيع الأوربي في القرن السادس عشر الميلادي فسلوكه عمل جدير بالعناية والاهتمام[3] ، ولعل في الوقوف على تفاصيل الطريق الذي كان يربط بلاد العرب ببلاد الهند والصين في زمن الإسلام الذي يعد امتداداً لما هو عليه قبل الإسلام مع فارق ذي أهمية كبيرة هو أن الطريق البحري أصبح أكثر سلوكاً من ذي قبل بسبب استتباب الأمن كنتيجة عامة للفتوحات الإسلامية[4] ، ولعلنا نقع على تفاصيل أكثر من خلال ما ذكره السيرافي في رحلته إذ يقول : " فأما المواضع التي يردونها ويرقون اليها فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف[5] ، وان المتاع يحمل من البصرة وعمان وغيرها الى سيراف فيعبأ في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه ، والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء مائة وعشرون فرسخاً ، فإذا عبئ المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا (وهذه لفظة يستعملها أهل البحر يعني يقلعون) الى موضع يقال له مسقط[6] وهو أخر عمل عمان ، والمسافة من سيراف إليه نحو مائتي فرسخ ، وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق[7] وجزيرة ابن كاوان[8] ، وفي غربي هذا البحر جبال عمان

---

(1) الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، أسواق العرب التجارية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد – 1989م) ، ص9 .

(2) كانتون : مدينة عظيمة في الصين أطلق عليها العرب اسم خانفو ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص210 .

(3) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص61 .

(4) المرجع نفسه ، ص61 .

(5) سيراف : بالكسر ، مدينة جليلة على ساحل البحر كانت قديماً فرضة الهند ، وكانت قصبة أردشير من فارس ، وهي في لحف جبل عالٍ جداً بينها وبين البصرة سبعة أيام ، ومنذ عمرت جزيرة قيس صارت هي فرضة الهند ، وخربت سيراف بذلك ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص765 .

(6) مسقط : مدينة من نواحي عمان في أخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص127 .

(7) سيف بني الصفاق : وهو أنف قائم في البحر وبجواره جزيرة صغيره ، ينظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص164 .

(8) جزيرة ابن كاوان : هي جزيرة في بحر عمان بينها وبين هجر ، وتسمى (جزيرة لافت) أيضاً ، وفيها قرى وعيون ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1194 .

وفيها الموضع الذي يسمى الدردور[1] وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية ، وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير[2] ، وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير ، فإذا جاوزنا الجبال صرنا الى موضع يقال له : صحار[3] عمان ، فيستعذب الماء من مسقط من بئر بها ، وهناك جبل فيه غنم من بلاد عمان ، فتخطف المراكب منها الى بلاد الهند ، ونقصد (كولم ملي) والمسافة من مسقط الى (كولم ملي) شهر على اعتدال الريح ، وفي (كولم ملي) مسلحة لبلاد (كولم ملي) تجيء بالسفن الصينية وبها ماءٌ عذب من آبار ... وبين مسقط وبين (كولم ملي) وبين هركند[4] نحو من شهر و(بكولم ملي) يستعذبون الماء ، ثم تخطف المراكب (أي تقلع) الى بحر هركند فإذا جاوزوه صاروا الى موضع يقال له : لنجبالوس[5] لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفة التجار من اللغات ... وإنما يتبايعون بالإشارة يداً بيد إذ كانوا لا يفهمون اللغة وهم حذاق بالسباحة ، فربما استلبوا من التجار الحديد ولا يعطونهم شيئاً ، ثم تخطف المراكب الى موضع يقال له : (كلاه بار) المملكة والساحل كل يقال له : (كلاه بار) وهي مملكة الزابج[6] متيامنة عن بلاد الهند يجمعهم ملك .... والمسافة ما بين (كولم) وهي قريبة من هركند الى (كلاه بار) شهر ، ثم تسير المراكب الى موضع يقال له : (بتومة) وبها ماء

---

(1) الدردور : جبلان يقال لهما كسير وعوير وهما وسط البحر الشرقي ويخاف على المراكب في ذلك الموضع ، وهو من عمان في البحر خمسون فرسخاً ، ينظر : المهلبي ، الكتاب العزيزي ، ص138 .

(2) كسير وعوير : بضم أوله وفتح ثانية على لفظ التصغير وهما جبلان في البحر بجوار عمان فإذا مرت بهما سفينة لم تكد تسلم من الكسر او الغرق ، ينظر : البكري : معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1128 .

(3) صحار : قصبة عمان ، مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج ، مدينة كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها ، وقيل : إنما سميت بصحار بن أرم بن سام بن نوح ﷺ ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص393 .

(4) هركند : بحر في أقصى بلاد الهند ، بينها وبين الصين جزيرة سرنديب وهي آخر جزر الهند مما يلي المشرق ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص399 .

(5) لنجبالوس : (لنكبالوس) بينها وبين سرنديب مسيرة عشرة أيام ، وهي جزيرة كبيرة وفيها خلق كثير بيض الألوان والتجار يدخلون إليهم في المراكب الصغار والكبار ويشترون من أهلها العنبر والنارجيل بالحديد ، ينظر : الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص77 .

(6) الزابج : جزائر في البحر بين الهند والصين ، وهي الى حد الصين اقرب ويسميها الهنود (سورن ديب) أي جزائر الذهب ، ينظر : البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت440هـ/1047م) ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ط2 ، عالم الكتب ، (بيروت – 1982م) ، ص149 .

عذب لمن أراده ، وكذلك جزائر الهند إذا احتفرت فيها الآبار وجد فيها الماء العذب وبها جبل مشرف ، وربما كان فيه الهُرّاب من العبيد واللصوص ، ثم تسير المراكب الى موضع يقال له : (صنف)[1] مسيرة عشرة أيام وبها ماء عذب ومنه يؤتى بالعود الصنفي وبها ملك وهم قوم سُمر يلبس كل واحد منهم فوطتين ، فإذا استعذبوا منها خطفوا الى موضع يقال له (صندر فولات) وهي جزيرة في البحر والمسافة إليها عشرة أيام وفيها ماء عذب ، ثم تخطف المراكب الى بحر يقال له : (صنجي)[2] ، ثم الى أبواب الصين ، وهي جبال في البحر بين كل جبلين تمر فيها المراكب الى الصين ، فإذا سلم الله من (صندر فولات) تخطف المراكب الى الصين في شهر ، إلا أن الجبال التي تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام ، فإذا جاوزت السفينة الأبواب ودخلت الخور صارت الى ماء عذب الى الموضع التي ترسي إليه من بلاد الصين ، وهو يسمى (خانفو)[3] مدينة ، وسائر الصين فيها الماء العذب من انهار عذبة وأودية ومسالح وأسواق في كل ناحية "[4] .

فكان هذا الطريق الذي تسلكه السفن التجارية من الخليج العربي (خليج البصرة) الى الهند والصين محملة بأنواع التجارات لغرض بيعها هناك والحصول على منتجات تلك المناطق عن طريق المقايضة ، ولا يعني بالضرورة أن إطلاق اسم السفن الصينية على المراكب التي تسلك هذا الطريق أنها تعود للصينيين ، وإنما سميت بذلك لانها متوجهة نحو الصين وان ركابها وملاحيها هم عرب على الأغلب بدليل ان السيرافي عندما ذكر جزيرة لنجبالوس قال : أن أهلها لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من لغات ،

---

(1) صنف : بالفتح ثم السكون ، موضع في بلاد الهند او الصين ينسب إليه العود الصنفي وهو رديء ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج2 ، ص854 .

(2) صنجي : بحر ويسمى بأسماء عديدة منها : بحر الصين وبحر الهند وهو متصل بالمحيط من المشرق ، وليس على الأرض بحر اكبر منه إلا المحيط ، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب ، ينظر : ابن الوردي ، خريدة العجائب ، ص198 .

(3) خانفو : مدينة عظيمة في الصين على نهر عظيم اكبر من دجلة او نحوها يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة تدخل هذا النهر سفن البحر الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائره بالأمتعة والجهاز ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص210 .

(4) السيرافي ، ابو زيد الحسن بن زيد (ت بعد 330هـ/941م) ، رحلة السيرافي ، تحقيق : عبد الله الحبيشي ، المجمع الثقافي ، (ابو ظبي – 1999م) ، ص25-30 .

وكذلك فان العرب كانت لهم اهتمامات بالملاحة البحرية لاسيما سكان السواحل في عمان واليمن ، وقد ذكرنا ان العرب قد استخدموا الرياح الموسمية في رحلاتهم التجارية الى الهند والشرق .

ومن ثم فان هذه الطرق سواء البرية منها والبحرية كان لها تأثير واضح على تجارة شبه الجزيرة العربية عموماً ومكة خصوصاً ، فهي أما تمر براً قادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية مروراً بمكة ، ثم تتجه الى شمالها أو بالعكس ، أو أنها تأتي بحراً وتحط في جدة أو غيرها من موانئ شبه الجزيرة العربية ، وبهذا تشكل مكة حلقة الوصل بين الطرق البرية من جهة وبينها وبين الطرق البحرية من جهة أخرى .

وهذا بطبيعة الحال ادى الى نشاط تجاري واقتصادي غير مسبوق في مكة من خلال سيطرتها على هذه الطرق وبالتالي تنوع تجارتها مع جميع ما حولها من المناطق الممتدة من الصين والهند والى سواحل البحر الابيض المتوسط واوربا فكان لذلك اثره في القوة الاقتصادية المكية وبالتالي ادى الى نشوء حكومة مستقلة ترعى هذه المصالح الاقتصادية وتدافع عنها بكل ما لها من قوة ومكانة في المحيط الاقليمي لمدينة مكة .

المبحث الثالث

أسواق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

السوق : هو موضع البياعات والجمع أسواق ، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا[1] ، والسوق : هو الموضع الذي يجلب اليه المتاع والسلع للبيع والابتياع وهي كلمة تؤنث وتذكر[2] ، وقد ورد لفظ السوق في القرآن الكريم بصيغة الجمع فقال تعالى : ﴿الأَنْعَامَ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ﴾[3] ، وقال أيضاً : ﴿النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ﴾[4] .

ويروى عن الحسن البصري[5] رحمه الله انه قال : " الأسواق موائد الله تعالى في أرضه فمن أتاها أصاب منها "[6] ، وكان العرب تستخدم مصطلحات يطلقونها على حركة السوق من حيث الرواج والكساد فيقولون : نفقت السوق ، أي : راجت ، وانحمقت ، أي : كسدت[7] ، وقد قيل : " السلطان سوق ، وانما يجلب الى سوق ما ينفق فيها "[8] .

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص167 .

(2) الزمخشري ، اساس البلاغة ، ج1 ، ص478 .

(3) سورة الفرقان الاية : 7 .

(4) سورة الفرقان الاية : 20 .

(5) الحسن البصري : هو الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابي الحسن يسار من سبي ميسان وقع الى المدينة فاشترته عمة أنس بن مالك ﷺ فأعتقته ، ولد بالربذة ونشأ بالمدينة وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فدعا له ، ولي القضاء بالبصرة ، وكان لا يأخذ عليه أجراً ، توفي يوم الجمعة سنة (110هـ) وهو ابن تسع وثمانين سنة ، ينظر : وكيع ، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت306هـ/926م) ، أخبار القضاة ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، (القاهرة – 1947م) ، ج2 ، ص3–5 .

(6) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، (بيروت –1997م) ، ص358 ؛ الآبي ، ابو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت421هـ/1030م) ، نثر الدرر في المحاضرات ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2004م) ، ج5 ، ص119 ؛ الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، (القاهرة – 1981م) ، ص196 ؛ الابشيهي ، ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد بن منصور (ت852هـ/1448م) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، عالم الكتب ، (بيروت – 1998م) ، ص38 .

(7) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص65 .

(8) الجاحظ ، رسائل ، ج1 ، ص313 ؛ الراغب الأصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م) ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بيروت – 1999م) ، ج1 ، ص240 .

أقام العرب قبل الإسلام أسواقاً متعددة انتشرت في أجزاء شبه الجزيرة العربية كلها[1] ، فامتدت على طول الطرق التجارية التي تربط بين أجزائها ابتداءً من أقصى الشمال ، ثم على طول ساحل الخليج العربي (خليج البصرة) ، ثم الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، ثم ساحل البحر الأحمر (بحر القلزم) في الجزء الشرقي منه ، إذ تتوزع هذه الأسواق تبعاً لسكن القبائل العربية .

وهي كما يقول أبو حيان : " وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد "[2] ، "وكانت هذه الأسواق منها ما يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها ، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها ، لكنه لا يصل أحد إليها إلا بخفير[3] ، ولا يرجع إلا بخفير "[4] ، ولكل مدينة بطبيعة الحال أسواق ، وإنما المقصود هنا الأسواق الموسمية منها التي لها أيام معينة تقوم فيها ويؤمها الناس ، فإذا كان لإحدى هذه الأسواق موقع جغرافي ذو بال ، كأن تكون على ساحل البحر كان شأنها ممتازاً عن بقية الأسواق التي في قلب الجزيرة ، لشيوع الاتجار فيها مع الجيران من هند وحبشة وفرس في الأولى واقتصار الثانية على القبائل المتاخمة لها ، فتتميز الأسواق التي على فرض البحر بوجود النزال الأجانب وتأثير أصحابها باختلاطهم بهؤلاء وما يستتبع ذلك من تغيير في العادات والرقي والصبغة[5] .

والعرب شأنهم شأن بقية الأمم انشؤوا أسواقاً كثيرة من النوعين السابقين يتبايعون فيها فقامت الأسواق في شبه جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقية قبل ظهور الإسلام بحقبة طويلة ، وإن قسماً من الأسواق كانت تعد لإقامة المهرجانات العامة[6] .

---

(1) ينظر : الشكل رقم (6) الملحق ، ص238.

(2) ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت400هـ/1010م) ، الإمتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية ، (بيروت – 2003م) ، ص77 .

(3) الخفير : (خفير القوم) مجيرهم الذي هم في ضمانه ما داموا في بلاده ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج4 ، ص253 .

(4) المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت421هـ/1030م) ، الأزمنة والأمكنة ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1996م) ، ص382 .

(5) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص193–194 .

(6) الكبيسي ، أسواق ، ص13 .

وكان لهذه الأسواق قيمة حضارية كبيرة من خلال التواصل الحضاري بين الأمم وهي دليل على رقي العرب وتطورهم ، وفي هذه المعنى يقول أبو حيان التوحيدي : " ومما يدل على تحضرهم في باديتهم وتبديهم في تحضرهم وتحليهم بأشرف أحوال الأمرين ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية "[1] ، لذا انتشرت الأسواق في ربوع شبه الجزيرة العربية .

1 . سوق دومة الجندل :

وتسمى (دوماء الجندل)[2] وتقع في منطقة متوسطة بين الشام والخليج العربي على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة تقريباً[3] ، وهي أول أسواق العرب الموسمية قياماً يوافيها العرب من كل أوب ، وقيامها أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء والأخذ والعطاء[4] ، ثم تبدأ بالزوال تدريجياً فلا تزال قائمة الى نهاية الشهر ، ثم يفترقون الى مثلها من العام القادم[5] .

وكان ملك هذه السوق بين أكيدر بن عبد الملك العبادي (صاحب دومة الجندل) وبين بني كلب فأيهما غلب كانت السوق له يعشرها[6] (أي يأخذ ضريبة العشر على التجارة) ، ويذكر ابن حبيب كيفية تولي أمر السوق إذ يقول : " وكانت غلبتهم أن الملكين (ويقصدر أكيدر وقنافة الكلبي) كانا يتحاجيان فأيما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقي عليه تركه والسوق فصنع فيها ما شاء "[7] ، ولم يكن الملك الذي يتولى السوق ليسمح لأحد أن يبيع شيئاً أو يشتري إلا بعد أن يبيع هو كل ما أراد بيعه ويشتري ما شاء مع ما يحصل له من عشورها ، كما أنه لم يكن يسمح لأهل الشام والعراق بالبيع فيها إلا بإذنه[8] .

ولغرض تأمين سلامة وصول القوافل التجارية الوافدة الى هذه السوق وعدم تعرضها لعمليات السلب والنهب من قبل القبائل القاطنة على الطريق ، فأن التجار كانوا يلجأون

---

(1) الإمتاع والمؤانسة ، ص76 .
(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص487 .
(3) الكبيسي ، أسواق ، ص16 .
(4) ابو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ص84 .
(5) ابن حبيب ، المحبر ، ص263 .
(6) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص71 .
(7) المحبر ، ص264 .
(8) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ، ص382 .

الى حماية إحدى القبائل ، سوى تجار قريش فأنهم لا يتخفرون بأحد حتى يرجعوا نتيجة لحلف قريش مع مضر والقبائل المتحالفة معها وبسبب مكانة قريش الدينية أيضاً[1] .

وكانت مبايعة العرب في هذه السوق بإلقاء الحجارة ، ذلك أنهم كانوا يجتمع النفر منهم على السلعة يساومون بها صاحبها فأيهم رضي ألقى حجره ، وربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بدأ من أن يشتركوا وهم كارهون[2] .

2 . سوق المشقر :

وبعد ان ينفض سوق دومة الجندل ينتقل التجار الى مركز تجاري مهم هو هجر (قاعدة البحرين) ، وفيها سوق المشقر وفيه يقول المرزوقي : " ثم يرتحلون الى المشقر بهجر فيقوم لهم سوقها أول يوم من جمادي الآخرة الى آخر الشهر ، ويوافي فيها أهل فارس يقطعون إليها تبعاً لعاداتهم ثم يتقشعون عنها من مثلها الى مثلها من قابل ، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها وكانوا ملوكها من بني تميم ، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى ، وكانت ملوك فارس تستعملهم عليها كما يستعملون بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان ، وكانوا يصنعون فيها ما يريدون ويسيرون بسيرة الملوك في البيع وكانوا يعشرونها أي يمكسونها وكان جميع من يأتيها لا يقدر عليها إلا بخفارة من سائر الناس ، وكانت ارض معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها ، وكانت لا تقدمها لطيمة إلا تخلف بها منهم ناس ، فمن هناك صارت بهجر من كل حي من العرب وغيرهم ، وكان بيعهم فيه ، الملامسة[3] والهمهمة[4] والإيماء[5] ، يومئ بعضهم

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص72 .

(2) الكبيسي ، أسواق ، ص17 .

(3) الملامسة : نوع من أنواع البيوع ، وهو ان يقول الرجل للرجل : إذا لمست الثوب من قبل أن تنشره أو تعرفه فقد وجب البيع ، ويقال : الملامسة : ان يقول الرجل للرجل : إذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع ، ينظر : الانباري ، الزاهر ، ج2 ، ص309 .

(4) الهمهمة : صوت يسمع لا يفهم محصوله ، ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح ، ج10 ، ص171 .

(5) الإيماء : الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب وإنما المقصود هنا الإشارة بالرأس ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج15 ، ص415 .

الى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا وإنما فعلوا ذلك كي لا يحلف احدهما على كذب إن يزعم انه بذل له صاحب السلعة "[1] .

ولا تعرض تجارة ولا يقوم بيع حتى تنفق تجارة الملك بتمامها كما هو الشأن في سوق دومة الجندل ، ولا ريب أن ملوك هذه السوق ترضخ الى حكومة فارس مما يحصلون عليه بالنصيب الأوفر[2] ، وأن القوافل التجارية القاصدة هذه السوق لا تستغني عن خفارة تسير في حمايتها وفي ذلك يقول ابن حبيب : " وكان من يؤمها من التجار يتخفرون بقريش لأنها لا تؤتى إلا في بلاد مضر "[3] ، وقد ذكر بعض المؤرخين هذا السوق باسم سوق (المشقر)[4] ، وذكره بعضهم باسم سوق (هجر)[5] ، وذكرهما الأفغاني على أنهما سوقان منفصلان[6] .

3 . سوق صحار :

بعد أن ينتهي التجار من سوق المشقر يرتحلون نحو عمان في أول يوم من شهر رجب يقول المرزوقي : " ثم يرتحلون منها الى صحار أول يوم من رجب في غير خفارة فيقدمونها لعشرين يوماً تمضي من رجب فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق ومن شغل بحاجة ولم يكن له أرب فيما يباع في الأسواق التي قبلها فينشرون من بزها وبياعاتها أو يبيعون بها خمساً ، فكان الجلندي (حاكم عمان) يعشرهم فيها ، وكان بيعهم فيها بإلقاء الحجارة "[7] .

والسبب في عدم أخذ القوافل التجارية خفارة من القبائل الضاربة على طول هذا الطريق أنها تسير في شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التي تحرم فيها العرب القتال أو الإغارة على القوافل أو القبائل الأخرى .

---

(1) الأزمنة والأمكنة ، ص383 .

(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص244 .

(3) المحبر ، ص265 .

(4) اليعقوبي ، تاريخ ، ص105 ؛ جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص371 .

(5) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص349 .

(6) أسواق العرب ، ص240-245 .

(7) الأزمنة والأمكنة ، ص384 .

وكان لعمان دور كبير في الملاحة البحرية ويكفي أن نشير الى أن وقوعها على البحر هو الذي اكسبها هذه الشهرة وساعد الى حد كبير في نمو وازدهار الأسواق فيها كنتيجة حتمية لكثرة التجار الوافدين إليها ، ونشاط الحركة التجارية بينها وبين بقية أجزاء شبه جزيرة العرب من جهة وبينها وبين الهند والصين من جهة أخرى ، وكذلك فأن شهرة المدن تقاس بقدر ما تلعبه هذه المدينة او تلك من دور في التجارة العالمية ، وعمان من هذه المدن التي برزت في هذا المجال حتى غدت من المراكز التجارية الرئيسية والمشهورة عند ظهور الإسلام[1] .

والظاهر أنها على بعدها لم تكن تخلو من أخلاط القبائل ومختلف الأمم شأن كل فرضة تجارية فلم تقتصر على الازد فحسب ، ولأنها أقرب بلاد العرب من الهند ، وليس بينها وبين فارس إلا المضيق ، فكان فيها النزلاء الغرباء من هؤلاء عدا من يقصدها من العرب للتجارة ، فيقيم فيها وقد ظلت تحت نفوذ الفرس الفعلي ، وكان ملوك فارس هم الذين يولون عليها الأمراء ، وفي سوق صحار يجري التبادل بين بضائع فارس والهند والحبشة واليمن والحجاز والشام ، يصب فيها كل تاجر قطر ما حمل من قطره ويرجع الى بلده بما يأخذه من عروض ليست فيه ، ولهذا كان فيها جاليات من كل أمة وكل قبيلة[2] .

4 . سوق دبا :

وهي سوق من اسواق العرب بعُمان ، مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديماً قصبة عُمان[3] ، يتحدث عنها المرزوقي ويقول : " ثم يرتحلون منها (أي صحار) الى دبا ، وكانت إحدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسند[4] والصين وأهل المشرق والمغرب ، فيقوم لها سوقها آخر يوم

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص78 .

(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص254-257 .

(3) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص435 .

(4) السند : بكسر أوله وسكون ثانيه ، بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ، يقال للواحد من أهلها : سندي والجمع سند ، وقصبة السند : مدينة يقال لها : المنصورة ، ومن مدنها ديبل وهي على ضفة بحر الهند ، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي ومذهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص267 .

من رجب فيشترون بها بيوع العرب والبحر وبيعهم مساومة[1] ، وكان الجلندي يعشرهم فيها"[2].

والظاهر أنها بعد أن كانت قصبة عُمان اضمحل مركزها وزاحمتها صحار ، وصارت هي قصبة هذا القطر ، ثم لم يكن لها من الشأن ما لغيرها ، ونستطيع ان نفهم شيئاً من أهميتها التجارية إذا علمنا أنها من فرض العرب المشهورة ، وانه يكون فيها من لا يكون في غيرها من تجار السند والهند والصين وأهل المغرب والمشرق ، وتمتاز عن غيرها بالبضائع الأجنبية التي يحملها التجار من بلادهم في البحر ، وتنفذ منها تجارات العرب الى الخارج ، ومن البديهي أن البيع لا يكون بإلقاء الحجارة ولا بالإيماء ولا بغيرها من البيوع الخاصة لمكان الأجانب منها ، بل هو المساومة لأن السوق سوق مختلطة غير خالصة الصبغة ، ولا يباع فيها شيء حتى يبيع ملكها الجلندي بن المستكبر كل ما عنده ، وهو الذي يعشر الناس فيها كما يفعل غيره من الملوك في غيرها من الأسواق[3] .

5 . سوق الشحر :

بعد أن ينفض سوق دبا يسير جميع من كان فيه من تجار البحر والبر الى سوق الشحر ، يقول ابن حبيب : " ثم سوق (الشحر) شحر مهرة ، فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام ، ولم تكن بها عشور لأنها ليست بأرض مملكة ، وكانت التجار تتخفر فيها ببني محارب بن هرب من مهرة ، وكان قيامها للنصف من شعبان ، وكان بيعهم بها إلقاء الحجارة "[4] .

وتقع الشحر على بحر العرب وهو الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية الذي يمتد بين عمان وعدن[5] ، وهي متصلة بأرض حضرموت من جهتها الشرقية[6] ، ويصفها ابن

---

(1) مساومة : سام يسوم سوماً ومساومة ، والمساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها ، ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج2 ، ص425 .

(2) الأزمنة والأمكنة ، ص384 .

(3) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص264-265 .

(4) المحبر ، ص266 .

(5) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص87 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص154 .

خرداذبه بقوله : " ومن الشحر الى عدن مائة فرسخ ، وهي من المراقي العظام ولا زرع فيها ولا ضرع ، وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة والقلزم "[1] ، ونظراً لموقعها البعيد في جنوب شبه الجزيرة العربية ، فقد ضرب بها المثل ، وفي هذا يقول الهمداني : " المواضع المضروب بها المثل من هذه الجزيرة على حد الاستبعاد ، ويقولون : لست معجز لنا ولو بلغت الشحر ... "[2] .

ونتيجة لنشاط هذا السوق أصبحت علاقاته واسعة ومزدهرة مع أجزاء شبه الجزيرة العربية كعُمان وعدن واليمن ، كما كانت لها علاقات مع الحجاز لوقوعها على الطريق الساحلي الذي يربط عمان ومكة ، وما يشجع التجار على التعامل مع هذه السوق رغم بعدها هو ما يتحقق لهم من أرباح كبيرة بسبب عدم وجود من يفرض على تجارتهم العشور لأنها ليست أرض مملكة[3] ، كما مر بنا .

ومن ثم فان أهل الشحر ليسوا بالعرب الفصحاء ويبدو أن ذلك بسبب اختلاطهم بالتجار الأجانب من الحبشة والهند وفارس وغيرهم من التجار مع ما في ألسنتهم من الفروق بينها وبين لغة أهل الحجاز حتى قال في ذلك الاصطخري في أثناء حديثه عن الشحر : " هي بلاد قفرة ، ألسنتهم مستعجمة جداً لا يكاد يوقف عليها "[4] .

6 . سوق عدن (عدن أبين) :

كانت تقام في عدن أقدم اسواق العرب ، بعد أن ينتهي التجار من سوق الشحر يقول المرزوقي : " ثم يرتحلون منها الى عدن إلا تجار البحر ، فانه لا يرتحل منهم إلا من بقي من بيعه شيء ولم يبعه ، فيوافي الناس بعدن من بقي معه من تجار البحر شيء ، ومن لم يكن شهد الأسواق التي كانت قبلها ، وكانت تقوم أول يوم من شهر رمضان الى عشر يمضين منه ، ثم ينقشع الناس منها الى مثلها من قابل ، وكانوا لا يتخفرون بأحد

---

(1) المسالك والممالك ، ص61 .

(2) صفة جزيرة العرب ، ص203 .

(3) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص82 .

(4) المسالك والممالك ، ص25 .

لأنها أرض مملكة وأمر محكم ، وكانت تعشرهم ملوك حمير ثم من ملك اليمن من بعدهم ، وآخر من عشرهم الأبناء من فارس "[1] .

وقد أكسبها موقعها على ساحل البحر شهرة جيدة وكبيرة في مجال التجارة الدولية فأصبحت مدينة تجارية لكثرة ما يرد إليها من البضائع ، وما يتجهز به منها لمختلف البلدان وأهم ذلك الطيوب ، وفي ذلك يقول صاحب الإمتاع : " ومن سوق عدن تشترى اللطائم وأنواع الطيب ، ولم يكن في الأرض أكثر طيباً ولا أحذق صناعاً للطيب من عدن "[2] ، حتى أن التجار القادمين من جهة البحر ليتفاخرون بهذا الطيب في بلادهم في السند والهند وما جاورها ، وكذلك الحال بالنسبة لتجار الفرس والروم القادمين بتجارتهم براً عبر شبه الجزيرة العربية[3] .

ولعل حال الأخذ والعطاء في هذه السوق أنشط وأوسع والتجارة فيها حرة أكثر ، لأن من قام على أمور عدن من حمير او من الفرس لم يكونوا يتاجرون لأنفسهم فيها كما يفعل (اكيدر) في دومة الجندل او (الجلندي) في صحار فينحجز الناس عن عرض بضائعهم حتى يبيع الملك كل ما عنده من متاع ، فكانت التجارة تحظى في هذه السوق بشيء من الانطلاق لكف ملوكهم عن مزاحمة الرعية على هذا المورد من الكسب[4] .

7 . سوق صنعاء :

بعد انتهاء سوق عدن يتجه التجار الى صنعاء وسوقها الذي من الناحية التي تلي قبلتها[5] ، وصنعاء هي قاعدة اليمن وتقع شمال شرق عدن[6] ، يقول المرزوقي : " ثم يرتحلون الى صنعاء فيأتونها بالقطن والزعفران والأصباغ وأشباهها مما ينفق بها ، ويشترون بها ما يريدون من البز والحديد وغيرهما ، وكانت تقوم في النصف من شهر

---

(1) الأزمنة والأمكنة ، ص384 .

(2) ابو حيان التوحيدي ، ص76-77 .

(3) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة ، ص384 .

(4) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص270 .

(5) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص110 .

(6) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص53-54 .

رمضان الى آخــره ، ثــم تتقشع الى مثلها من السنة المقبلة وبيعهم بها الجس ، جس اليد "[1] .

وقد وصفت صنعاء بكثرة خيراتها ، فقد روى أهل الجغرافية عن الأصمعي أنه قال : " أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الورس[2] والكندر[3] والخطر[4] والعصب[5] "[6] ، وقيل : " أنه ليس باليمن ولا تهامة ولا الحجاز مدينة أعظم منها وأكثر أهلاً وخيراً ولا أطيب طعاماً منها "[7] ، وفيها دار لعمل الثياب المنسوبة إليها[8] ، وكان الذي يأخذ العشر في هذه السوق الأبناء[9] (أبناء أهل فارس) ، بعد أن كان يعشرهم فيها ملوك حمير[10] .

8 . سوق الرابية :

تقوم هذه السوق بحضرموت شرق اليمن وتنسب إليها ، فيذكر ابن حبيب ما نصه : " فالرابية بحضرموت ... فأما الرابية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة ، وكان من عز فيها بزَّ صاحبه ، فكانت قريش تتخفر فيها ببني آكل المرار ، وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة ، وكانت مكرمة لآل البيتين جميعاً ، وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس ، فكان يأخذ إليها بعض الناس وبعض الى عكاظ ، وكانتا تقومان في يوم واحد للنصف من ذي القعدة الى آخر الشهر "[11] .

---

(1) الأزمنة والأمكنة ، ص385 .

(2) الورس : نبت أصفر يكون باليمن يتخذ منه الغمرة للوجه ، ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج3 ، ص988 .

(3) الكندر : أسم للعلك ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص429 .

(4) الخطر : بالكسر ثم السكون ، نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود و(الخَطّار) دهن يتخذ من زيت بأفاويه الطيب والعطر ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج4 ، ص214 .

(5) العصب : نوع من البرود وهو ما يعصب غزله ثم يصبغ ، ثم يحاك ، ينظر : المصدر نفسه ، ج1 ، ص309 .

(6) ابن الفقيه الهمداني : البلدان ، ص94 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص448 .

(7) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص109 .

(8) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج1 ، ص53 .

(9) اليعقوبي ، تاريخ ، ص105 .

(10) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص274 .

(11) المحبر ، ص266-267 .

وقد أثار قول ابن حبيب المتقدم بأن الرابية وعكاظ كانتا تقومان في يوم واحد شكوك أحد الباحثين فيقول : لكن قيام هذه السوق وعكاظ في الوقت نفسه يثير الشكوك ، فليس هناك ما يدعو العرب ولاسيما قريش بتجاوز عكاظ وحضور سوق الرابية بحضرموت ، لأن عكاظ لم يكن سوقاً للتجارة فقط وإنما كان مجمعاً سياسياً واجتماعيا وأدبياً ، وقريش أحرص العرب على حضوره ، كما انه لا يوجد ما يميز سوق الرابية عن بقية الأسواق لكي يستدعي حضوره والاستغناء عن عكاظ ، وهناك احتمال واحد يمكن معه أن تقوم هذه السوق وعكاظ في آن واحد ، وهو أن تكون هذه السوق سوقاً ضئيلة لا يحضرها إلا التجار الصغار من المنطقة نفسها والقرى المحيطة بها ، لذلك لا يمكن أن نتصور حضور قريش هذه السوق لاسيما وهي تتأهب وتعد العدة لموسوم الحج الأكبر ، فالذهاب الى حضرموت والرجوع منها يفوت الفرصة على قريش حضور موسمها ، فمن المحتمل إذن أن هذه السوق كانت تقوم قبل سوق عكاظ ، ثم يقول : وقد حددت إحدى الدراسات الحديثة قيامه في النصف من شوال[1] .

ومن الرأي الاخير نستنتج أن لقريش موطئ قدم في هذه السوق لاسيما وأنها كانت تتخفر بآل آكل المرار الذين سادوا بفضل هذه الخفارة على بقية أهل حضرموت ، ومن ثم فأن بنو آكل المرار وبنو مسروق كانوا ينالون أرباحاً مادية من خلال الخفارة والدلالة معاً ، فقد كان كسبهم من أولئك التجار الذين يمشون بين أيديهم بسلاحهم يحرسون بضائعهم ويحمون حياتهم ويدلونهم على الطريق[2] .

9 . سوق عكاظ :

ثم ينطلق التجار الى سوق عكاظ الذي يقول فيه صاحب العين : " عكاظ اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كل سنة شهراً ويتناشدون ويتفاخرون ، ثم يتفرقون ، فهدمه الاسلام ، وهو من مكة على مرحلتين أو ثلاث وتنسب إليه الأدم العكاظية ، وسمي به لأن العرب كانت تجتمع كل سنة فيعكظ بعضها بعضاً بالمفاخرة والتناشد ، أي يّدعَك ويَعرُك "[3] .

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص87 .

(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص276 .

(3) الفراهيدي ، ج1 ، ص196 .

ويقول المرزوقي : " وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب ، وكانت قريش تنزلها وهوازن وغطفان وخزاعة والاحابيش ، وهم الحارث بن عبد مناة ، وعضل والمصطلق وطوائف من أفناء العرب ينزلونها في النصف من ذي القعدة فلا يبرحون حتى يروا هلال ذي الحجة ، فإذا رأوه انقشعت ، ولم يكن فيها عشور ولا خفارة ، وكانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب ، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره ، فيقف بها وينادى عليه ليأخذه أعز العرب ، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته وكان بيعهم بها السرار "[1] .

وفي تحديد موقع سوق عكاظ خلاف كبير بين أهل الجغرافية سواء كانوا متقدمين او محدثين وكذلك الحال بالنسبة للمؤرخين ، وفيه يطول الحديث ، إلا أن أحد الباحثين نقل نصاً يشير الى أن عكاظ صحراء مستوية ليس بها جبل ولا علم إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، مشيراً الى أن ذلك هو السبب في اختلاف الباحثين القدماء والمحدثين في تحديد موقع السوق ، فعدم وجود علامة تميز المكان أدى الى اندراس المكان بعد اضمحلال السوق وانتهائه[2] .

ومن ثم فأن الحديث عن سوق عكاظ يعني في حقيقة الأمر كل أسواق العرب قبل الإسلام ، فهو أعظمها شأناً ، وما كان يجري في بقية الأسواق صورة مصغرة لما كان يجري في عكاظ ، ولا يكاد يخلو كتاب تأريخي أو أدبي تحدث عن تأريخ العرب قبل الإسلام ، إلا وكان لسوق عكاظ حيز فيه صغر أم كبر .

فهذا ابن الجوزي يتحدث عن سوق عكاظ فيقول : " فأعظمها وأكثرها جمعاً وتجارة سوق عكاظ ، وكان كسرى في ذلك الزمان يبعث بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في ذلك السوق وينادي مناديه : أن هذا بعثه الملك الى سيد العرب ، فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعاً بالسؤدد ، فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية ، وكان كسرى يريد بذلك معرفة سادتهم ليعتمد عليهم في أمور العرب فيكونون عوناً له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب "[3] .

---

(1) الأزمنة والأمكنة ، ص385 .

(2) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص89 .

(3) مثير الغرام ، ج2 ، ص61 .

ومما يدل على أهمية هذه السوق بالنسبة للعرب ولاسيما قريش ، أنها أئتمرت لقتل عبد الله بن جدعان وهو أحد أبنائها لأنه طرد مائة ناقة من كلاب بن ربيعة من قبيلة هوازن بعد أن هددتها هوازن بمنعها من حضور موسم سوق عكاظ لتلك السنة ، فجاء قرار قريش بأتمارها على قتل عبد الله بن جدعان لكونها لا تستغني عن تجارتها في سوق عكاظ ، فلولا مكانة هذه السوق عند قريش وخوفها على تجارتها فيه ما كانت ترضخ لتهديد هوازن وما كانت لتقدم على التفريط بأحد أبنائها وهو شيء لا تسمح به العرب أبداً حتى تفنى عن آخرها[1] .

والظاهر أن احتفال الناس بعكاظ لم يكن واحداً دائماً ، قد كان في بعض السنين يكون غاية في الازدحام والحركة حتى تضيق السوق بمن فيها ، وحتى يربح التاجر والجالب إليه ربحاً عظيماً لا يتأتى إلا في الفرط النادر[2] ، وفي ذلك يقول المرزوقي : " فلما دخلت سنة خمس وثلاثين من عام الفيل ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار واليمن ما لم يروا أنه حضر مثله في سائر السنين فباع الناس ما كان معهم من إبل وبقر ونقد وابتاعوا أمتعة مصر والشام والعراق "[3] .

10 . سوق مجنة :

وكان قيامها في أيام موسم الحج[4] ، وتستمر لمدة عشرة أيام فقد ذكر الازرقي في معرض كلامه عن الأسواق التي تتزامن مع الموسم قائلاً : " فإذا مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فأقاموا بها عشراً ، أسواقهم قائمة "[5] وورد لها ذكر في قول بلال بن رباح ﷺ إذا حنّ الى مكة ، وفيه دلالة على قرب هذه السوق من مكة ، إذ يقول :

وهَلْ أرِدْنَ يَوماً مياهَ مَجَنَّةٍ ... وهَلْ يَبْدُونَ لي شامَةً وَطَفيلُ[6]

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص96 .

(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص341 .

(3) الأزمنة والأمكنة ، ص387 .

(4) ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص372 .

(5) أخبار مكة ، ج1 ، ص179 .

(6) ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص372 .

وهذه السوق لكنانة وأرضها من ارض كنانة ، تقوم في العشر الأخير من ذي القعدة ويقصدها العرب بقضهم وقضيضهم[1] بعد أن تنفض سوق عكاظ يتمون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء وتفاخر على نحو ما كان في عكاظ ويجلب إليها ما يجلب الى تلك من متاع وعروض[2] .

ولم تحظ هذه السوق بتلك الأهمية التي حظيت بها غيرها من الأسواق لا من المؤرخين ولا من أهل الأدب واللغة ، فلم يفصل فيها أبو حيان في الإمتاع ، ولا المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ولا غيرها من المصادر التي وقعت أيدينا عليها ، ويبدو أن ذلك بسبب شهرة سوق عكاظ التي طغت عليها لاسيما وأن مجنة تقوم بعد عكاظ كما ذكرنا ، وأنها تقع على مقربة منها ، وكذا الحال بالنسبة لبقية الأسواق إذا ما قورنت بعكاظ فأنها تتلاشى ، ومع هذا تظهر أهميتها مقترنة مع عكاظ وذي المجاز من خلال ما ذكره الازرقي إذ يقول : " تقول قريش وغيرها من العرب : لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج "[3] .

11 . سوق ذي المجاز :

هو موضع عند عرفات[4] ، وقد كان الناس يقصدونه بعد عكاظ وكان بينهما قرب فيقيمون بها الى آخر يوم التروية[5] ، يقول المرزوقي : " فإذا أهل هلال ذي الحجة ساروا بأجمعهم الى ذي المجاز وهو قريب من عكاظ وأقاموا بها حتى يوم التروية ، ويواتيهم حينئذ حجاج العرب ورؤوسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الاسواق "[6] ، وتستمر هذه السوق لمدة ثمانية أيام[7] .

---

(1) قضهم وقضيضهم : أي جاءوا بجماعتهم لم يخلفوا أحداً ولا شيئاً ، ينظر: الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص9.

(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص345 .

(3) أخبار مكة ، ج1 ، ص179 .

(4) ابن الأثير ، النهاية ، ج1 ، ص316 .

(5) ابن الجوزي ، مثير الغرام ، ج2 ، ص61 .

(6) الأزمنة والأمكنة ، ص385 .

(7) البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1997م) ، ج4 ، ص473 .

يتضح من هذا أن سوق ذي المجاز سوق نشطة يحضرها كل من جاء حاجاً او تاجراً ، والسبب في ذلك يعود الى أن العرب بعد أن ينتهوا من هذه السوق يتوجهون الى حجهم ، فتكون بذلك سوق ذي المجاز آخر أسواقهم[1] .

12 . سوق حباشة :

حباشة سوق من أسواق العرب قبل الإسلام ، ومعنى حباشة مأخوذ من التحبيش وهو التجمع[2] ، ويشير البغدادي الى أن حباشة تبعد عن مكة بست مراحل من جهة اليمن ، وأنها لم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقوم في شهر رجب[3] .

وهي سوق محدودة وربما اقتصرت على من حولها من القبائل العربية كأهل الحجاز وأهل واليمن ، لذلك فهي أقل شهرة من الأسواق العربية الكبرى ، وما شهرتها إلا نتيجة لتجارة الرسول ﷺ فيها عندما قصدها بتجارة خديجة (رضي الله عنها) قبل البعثة ، وهي آخر ما ترك من أسواق العرب قبل الإسلام[4] .

فضلاً عن مجموعة أخرى من الأسواق ، إلا أنها أقل أهمية بالنسبة لتجارة شبه الجزيرة العربية عموماً وتجارة مكة خصوصاً ، لذلك اكتفينا بالأسواق الموسمية لتأثيرها المباشر على التجارة ، ومن ثم فان الناظر في احوال هذه الاسواق وما يجري فيها من امور اقتصادية واجتماعية وثقافية ليجد ان ذلك كله يصب في مصلحة قريش فقد راينا كيف ان تجارة شبه الجزيرة العربية كلها وما جاورها ايضا يمر في مكة في اخر جولة لها في الاسواق الموسمية وبالتالي فان هذا له مردوده المادي والاقتصادي لمكة من خلال سيطرتها على جميع هذه الاسواق اما لكونها قريبة منها فكانت القوافل التجارية تتخفر بقريش او بما تتمتع به قريش من منزلة في نفوس العرب كونهم سكان الحرم واهل بيت الله فكان لهذا اثره في نشاط مكة الاقتصادي الذي ادى الى بدوره في المساهمة في عملية تكوين حكومة مستقرة في هذه البقعة من شبه الجزيرة العربية .

---

(1) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص99 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص473 .

(3) خزانة الأدب ، ج4 ، ص473 .

(4) إبراهيم ، أسواق العرب التجارية ، ص100-101 .

الفصل الرابع
المجتمع القرشي
المبحث الأول
الوظائف في مكة

أولاً . الوظائف منذ نشوء الكعبة حتى نهاية حكم خزاعة :

ارتبطت الوظائف في مكة بالهدف الذي شيدت من أجله الكعبة وهو هدف ديني ، والعرب قبل الإسلام كما يشير الدكتور جواد علي : " كبقية الشعوب كانت لهم عبادات وآلهة ويؤمنون بوجود قوى عليا لها عليهم حكم وسلطان "[1] ، وإن تاريخ سكان البلاد العربية عبارة عن محاولات متصلة لإنضاج المعتقدات الدينية التي عرفت بحركات التوحيد التي كانت متعاقبة ، وقد تمثلت هذه الحركات أو الدعوات بالرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى الى الناس في مختلف المناطق العربية بعقيدة التوحيد قال تعالى : ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[2] ، وقال النبي ﷺ : " خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا اله إلا الله "[3] .

ومن ثم فان حركة التوحيد قد انتقلت الى مكة عن طريق إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أسكن زوجته هاجر وأبنه إسماعيل عليه السلام في وادي مكة كما أسلفنا ، وبهذا الانتقال ظهرت مكة الحنيفية الموحدة على عهد إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) مع بناء الكعبة ، ومع الانتهاء من بناء البيت ظهرت وظيفة الاشراف عليه التي اصطلح على تسميتها بالحجابة أو السدانة ، ثم رافقتها وظائف أخرى عندما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام النداء بالحج : ﴿﴾[4] ، فكانت وظيفة الإفاضة التي أطلق عليها الإجازة وهي

---

(1) المفصل ، ج6 ، ص5 .

(2) سورة النحل الآية : 36 .

(3) الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت279هـ/892م) ، الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 1998م) ، ج5 ، ص464 ؛ الشعراوي ، محمد متولي (ت1419هـ/1998م) ، تفسير الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، (القاهرة – د.ت) ، ج15 ، ص9237 .

(4) سورة الحج الآية : 27 .

من شعائر الحج ، وكذلك عمارة المسجد وسقاية الحاج[1] ، وان أول من تسلم هذه الوظائف وباشرها هو إسماعيل عليه السلام بعد مغادرة أبيه إبراهيم عليه السلام[2] .

ولما قبض إسماعيل عليه السلام قام بأمر البيت من بعده نابت بن إسماعيل ، ثم قام من بعده أناس من جرهم لأنهم أخوال بني إسماعيل عليه السلام [3] ، واستمرت جرهم في القيام بأمر مكة ولكنها أخذت تدريجياً بالابتعاد عن ديانة التوحيد من خلال ممارستها أعمال البغي والظلم والاعتداء على من يفد إلى مكة حاجاً ، يقول الازرقي : " ثم أن جرهماً استخفوا بأمر البيت والحرم وارتكبوا أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيها أحداثاً لم تكن ، فقام مضاض بن عمرو بن الحارث فيهم ، فقال : يا قوم أحذروا البغي فأنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم فلم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرمته ، أو آخر جاء بائعاً لسلعته أو مرتغباً في جواركم ، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر احد منكم أن يصل الى الحرم ... "[4] ، لكنهم لم يسمعوا له قولاً وتمادوا في غيهم وسرقوا مال الكعبة الذي يهدى إليها ، ونتيجة لذلك تمكنت قبيلة خزاعة من التغلب عليها ونفيها والقيام بأمر البيت ووظائفه .

مع استيلاء خزاعة تعرضت ديانة التوحيد العربية الى تشويه نتيجة ضغوط أجنبية بيزنطية – ساسانية تركزت في طمس معالم التوحيد الديني عن طريق إدخال تعديلات على مبدأ الوحدانية ، ويقال : أن أول من أدخل التغيير في التوحيد هو عمرو بن لحي زعيم خزاعة الذي نقل الأصنام من الشام أو من العراق وأدخلها الى مكة[5] .

إن الوظائف على أيام خزاعة كانت : ولاية البيت وحجابته والسقاية وهي لهم ، وكانت لمضر ثلاث خصال : الإجازة من عرفة والإفاضة بالناس غداة النحر الى منى

---

(1) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص149 ؛ الفاكهي ، أخبار مكة ، ج5 ، ص182 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص142–143 .

(3) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص80 .

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص86–87 .

(5) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص143–144 .

والنسيء للشهور الحرم[1] ، لكن عمرو بن لحي الذي حدث في زمنه الانقلاب الديني ، قد دخلت مكة في عهده طور النظام الاجتماعي بعد أن مرت بطور الاضطراب والحروب ، وأن هذه الوظائف كانت في حالة أولية[2] ، ثم أدخل عمرو بن لحي بعض الوظائف الجديدة الى مكة فهو " أول من اطعم الحاج بمكة ... وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن ... وهو الذي بحر البحيرة[3] ووصل الوصيلة[4] وحمى الحامي[5] وسيب السائبة[6] ونصب الأنصاب حول الكعبة "[7] ، واستمرت خزاعة على ولاية البيت حتى مجيء قصي بن كلاب وتسلمه أمر الكعبة منهم.

ثانياً . الوظائف أيام قصي بن كلاب :

عندما وصل قصي الى رئاسة مكة كانت الوظائف القائمة هي : الحجابة والسقاية وعمارة المسجد والرفادة فجعلها لنفسه خالصة ، وبقية الوظائف أقرها للعرب وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره ، وينقل صاحب السيرة وغيره عن ابن إسحاق أنه قال : " فولي قصي البيت وأمر مكة ... إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه...فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله"[8].

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ، ج1 ، ص189 .

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص112 .

(3) البحيرة : كانت الناقة تبحر بحراً وتشق أُذنها يفعل بها ذلك إذا أنتجت عشرة أبطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج3 ، ص220 .

(4) الوصيلة : إذا أنتجت الشاة خمسة أبطن وقيل : عشر ، وكان الخامس ذكراً ذبحوه لآلهتهم وأن كان ذكراً وأنثى لم يذبحوه وقالوا : وصلت أخاها ، ينظر : ابن سيده ، المخصص ، ج2 ، ص229 .

(5) الحامي : الفحل من الإبل الذي طال مكثه عندهم فإذا لقح وَلَدُوَلَدِه فقد حمى ظهره فلا يركب ولا يجز له وبر ولا يمنع من مرعى ، ينظر : الرازي مختار الصحاح ، ص82 .

(6) السائبة : الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يجز لها وبر ، ينظر : الانباري ، الزاهر ، ج1 ، ص111 .

(7) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص100 .

(8) ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص33 ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج1 ، ص55 ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت –1976م) ، ص97 .

وإن هذا الإجراء في الحقيقة يدخل ضمن سياسة قصي ونظرته البعيدة للأمور لاسيما في بداية عهده ، فلم يريد أن يؤلب القبائل ضده حتى أن خزاعة لم يخرجها من مكة ، بل ابقاها في جبال مكة إذ كانت منازلها هناك ، إن مكة في عهد قصي قد انتقلت نقلة حضارية كبيرة في المجال الاجتماعي والاقتصادي ، وأن أهم عمل قام به قصي هو تنظيمه مدينة مكة فأصبحت مدينة مستقرة ذات عمران ، وهو بهذا يهدف الى غاية بعيدة هي سيادة مكة لشبه الجزيرة العربية ، ولم يكتفِ بتولي الزعامة بل عمل على تثبيتها وترسيخها في قومه ، إن مسألة بناء مدينة في مكة يدفعنا الى التصور والاستنتاج لكي نتبين التطور الذي سيصيبها في نواحي كثيرة يفرضه ذلك البناء ، فتوزيع الأراضي يتطلب القيام بعملية التخطيط والمسح والقياس لتحديد أراضي كل مجموعة ، ثم أن عملية بناء الدور بحاجة الى أيدي عاملة تقوم بتشييدها ، وبعد الانتهاء لابد من تزويدها بما تحتاجه من تجهيزات مما دفع قريش للقيام ببعض المهن والصناعات التي تلبي بعضاً من هذه الاحتياجات[1].

كما أن تجمع قريش في حرم مكة تطلب توفير الماء لهم ولاسيما أن بئر زمزم قد طمست أيام الجراهمة ، فقام قصي بحفر أول بئر سميت بئر العجول[2] ، وحفر بئراً اخرى تعرف ببئر جبير بن المطعم[3] وهي بئر سجلة ، كما أن قصي قد اهتم بأمر الرفادة ونقلها من مسالة فردية الى مسالة جماعية أشرك فيها معظم رجال قريش ، إذ فرض على قريش خرجاً تخرجه من أموالها وتدفعه إليه فيصنع به طعاماً للحاج ، وقد حقق في هذا العمل هدفين ، الأول : هو أنه عمل على تماسك قريش وتعاونهم فيما بينهم على اعتبار أنهم أهل البيت ، والثاني : هو تشجيع القبائل على الحج ، وبالتالي نمو التبادل التجاري وتنشيط الحركة الاقتصادية ، وقد عمل قصي بن كلاب طيلة حياته على تعزيز مكانة قريش وتأكيد قدسية مكة وإعلاء حرمتها لدى القبائل ، فأهتم ببناء

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص146 .

(2) العجول : هي أول سقاية احتفرت بمكة وموقعها في دار أم هانئ بنت أبي طالب ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا : (نُروى على العجول ثم ننطلق ... أن قصياً قد وفى وقد صدق) ، ينظر : السهيلي ، الروض الأنف ، ج2 ، ص78 .

(3) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وأمه أم جميل بنت سعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن عامر بن لؤي ، مات بالمدينة سنة سبع وخمسين ، ينظر : خليفة بن خياط ، الطبقات ، ص38 .

الكعبة ووضع الحجر الأسود فيها ، وقد ذكر أن قصّياً جدد بناء الكعبة (كما أشرنا سابقاً) ، ونظم موسم الحج ، وبدأت مكة بالتطور اجتماعياً وثقافياً وسياسياً وجاء هذا التطور في ظل ظروف ظهر فيها من النضج والوعي والاستيعاب من قبل العرب لطبيعة المعتقدات الدينية وقيامهم بعبادة آلهة مشتركة وعامة ، واتخاذ الكعبة مركزاً مقدساً وبيتاً لهذه الآلهة فهو بيت الله الذي عبر العرب عن تعظيمهم له بالحج وتحريم القتال عنده وتقديم الهدي والبدن له[1] .

ثالثاً . الوظائف بعد قصي :

بعد وفاة قصي قام أبناؤه بتولي الوظائف التي كانت متمركزة بيده فتوزعت فيما بينهم ، واستمرت الوظائف الأساسية بأيدي أبناء قصي دون منازع أو منافس[2] ، إلا أن قريشاً ونتيجة لما قام به قصي قد نالهم من التطور الاقتصادي والرفاه المادي بفضل سيطرتهم على الحركة التجارية على طول الخط الغربي لشبه الجزيرة العربية مما كانت له ابعاده في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، إذ ظهرت أسر قوية تنافس أبناء قصي وتنازعهم الشرف والرئاسة ، مما دفع بزعماء قريش وهم الذين عرفوا منذ أيام قصي كيف يتغلبون على مشاكلهم في دار الندوة عن طريق المداولة والمشاورة فابتدعوا من الأمور ما يحقق لهم السيادة ويضمن للقبيلة وحدتها وتماسكها ، فأوجدوا وظائف جديدة كالسفارة والحكومة والاشناق والايسار وعمار المسجد لترضي طموح كل بطن من بطون قريش ، وإن كانت هذه الوظائف معنوية أكثر مما هي تنفيذية ذات سلطة قوية ، إن هذا التفاوت والتنافس في النفوذ لم يؤدِ الى زعزعة النظام الذي احتفظ بحد معين من التماسك وتجنب الصراعات الداخلية ، إذ تغلبت المصلحة المشتركة لملأ مكة الذي يعقد اجتماعاته في دار الندوة ، وهنا تكمن أهمية الدور المتوازن الذي شغله هذا المجلس في تسيير شؤون المدينة وتوفير حد نسبي من المسؤولية الجماعية الذي برزت منه الوظائف الجديدة ، والتي جاءت استجابة لتطور الأوضاع في مكة ، وإن هذه الوظائف الجديدة لم تظهر دفعة واحدة ويبدو أنها ظهرت تبعاً للحاجة والظروف التي تمر بها قريش ، وكذلك فأنها

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص147 .

(2) ابن حبيب ، المنمق ، ص165 .

أسندت الى البطون انسجاماً مع ما يملكه كل بطن من بطون قريش من مزايا ومؤهلات[1] .

رابعاً . تقسيم الوظائف :

أ . الوظائف الدينية :

1 . الحجابة : (السدانة)

الحَجب : كل شيء منع شيئاً من شيء ، فقد حجبه حجباً ، والحجابة : ولاية الحاجب ، والحاجب : اسم ما حجبت به شيئاً عن شيء ، ويجمع على حُجب ، وجمع حاجب : حجبة[2] ، والاصل (حَجَبَ) ومعناه : المنع ، يقال : حجبته عن كذا أي : منعته[3] ، والحجابة : حجب بيت الله الحرام[4] ، وهي سدانة الكعبة وتولي حفظها وحفظ مفاتيحها[5] .

وكانت الحجابة او السدانة بيد قصي بن كلاب ، ثم قام بها من بعده ابنه عبد الدار ، ثم اعقبه ابنه عثمان ، ثم تولاها من بعده ابنه عبد العزى ، وبعد وفاته قام بها ابنه ابو طلحة ، وبعده ابنه طلحة ، وهي في ولده الى الآن[6] ، فلما كان يوم الفتح قبض الرسول ﷺ مفتاح الكعبة من بني عبد الدار ودخل به البيت فخرج وهو يتلو قوله تعالى : ﴿الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ﴾[7] ، فدعا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فدفع إليه المفتاح وقال : " خذوها يا بني أبي طلحة تالدة

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص148-149 .

(2) الفراهيدي العين ، ج3 ، ص86 .

(3) القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، ج2 ، ص143 ؛ الجرجاني ، الشريف علي بن محمد بن علي (ت816هـ/1413م) ، التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1983م) ، ص82 .

(4) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص145 .

(5) ابن الأثير ، النهاية ، ج1 ، ص340 .

(6) ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص557 .

(7) سورة النساء الآية : 58 .

خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم"[1] ، ومما لا ريب فيه أن الحجابة كانت ذات رزق للقائمين بها ، فقد كانت تقدم لها الهدايا والنذور من قبل الحجاج والزائرين[2] .

2 . الإفاضة :

فاض يفيض فيضاً وفيوضاً والإفاضة هي : الزحف والدفع في السير ، ولا يكون الا عن تفرق وجمع ، وأصل الإفاضة الصب فاستعيرت للدفع في السير ، واصله أفاض نفسه أو راحلته ، ومنه طواف الإفاضة يوم النحر يفيض من منى الى مكة فيطوف ، ثم يرجع ، وقيل في معناها أن الإفاضة سرعة الركض ، وأفاض الراكب إذا دفع بَعِيرهُ سيراً بين الجهد ودون ذلك[3] والإجازة : هي الإفاضة ، وكانت لصوفة ، وهي حي من تميم ، وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى فيكونون أول من يدفع ، يقال : أجيزي صوفة فإذا أجازت أُذن للناس كلهم في الإجازة[4] .

وقد اختلف في الإفاضة فيمن كانت ومن يقوم بها ، فذكروا أنها كانت في صوفة كما أسلفنا ، وصوفة رجل يقال له : الأخرم بن العاص ، وكان له ابن قد تصدق به على الكعبة يخدمها ، فجعل اليه حبشية بن سلول الخزاعي الإفاضة ، وكان يومئذ يلي أمر مكة ، فكانت الإجازة في ولد صوفة حتى انقرضوا ، ثم صارت الإفاضة في عدوان يتوارثونها حتى كان الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة العدواني ، وقيل : أن الإفاضة كانت في تميم في صفوان بن شجنة بن عطارد بن كعب بن سعد ، ثم عنهم الى هاشم بن عبد مناف عند موت آخر من بقي من بني صفوان[5] .

ويذكر بعض المؤرخين أن الإفاضة والإجازة وظيفتين مختلفتين ، فذكروا أن : الإجازة بالحج للناس من عرفة كانت للغوث بن مر (من صوفة) ، والإفاضة : من جمع

---

(1) الطبري ، تفسير ، ج8 ، ص492 ؛ الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب (ت360هـ/971م) ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1983م) ، ج11 ، ص120 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج3 ، ص327 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص151 .

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص211-213 .

(4) الهروي ، تهذيب اللغة ، ج12 ، ص173 .

(5) الخطابي ، غريب الحديث ، ج2 ، ص27 .

غداة النحر الى منى وهي لبني زيد بن عدوان[1] ، ومنهم أبو سيارة العدواني الذي ذكرناه سابقاً ، وقد وردت لفظة الإفاضة أو الإشارة إليها كوظيفة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ ﴾[2] ، وذكر ابن هشام : أن الإجازة قد ظلت في صوفة حتى مجيء قصي بن كلاب وتوليه أمر مكة والبيت الحرام ثم أقرهم عليها "[3] .

3 . السقاية :

سقى : السقيا اسم السقي ، والسقاء : القربة للماء واللبن ، السقاية : الصواع الذي يشرب فيه الملك ، وهو قوله تعالى عز وجل : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾[4] ، ويقال : للبيت الذي يتخذ مجمعاً للماء ويسقى منه الناس (السقاية) ، وهو الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها[5] .

وهي واحدة من مفاخر قريش ، ووظيفة السقاية من الوظائف المهمة ، إذ أن مكة تفتقر الى المياه ومما زاد في صعوبة السقاية أن بئر زمزم قد طمست قبل أيام قصي مما دفعه الى القيام بحفر الآبار في وادي مكة ، وكان أول بئر حفرها هي العجول قرب الكعبة ، وحفر معها أيضاً بئراً أخرى ، كما انه وضع حياض من أدم يسقي منها الماء العذب ، ولما آلت السقاية لعبد مناف بن قصي فانه كان يسقي الحجيج على نحو ما كان يفعل والده ، وقد كان يجلب الماء على الإبل في القرب ثم يسكب في حياض من أدم بجوار الكعبة فيرده الحاج حتى يتفرقوا ، ثم أعقبه على ذلك ابنه هاشم الذي حفر

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج1 ، ص321 ؛ الحلي ، ابو البقاء هبة الله محمد بن نما (توفى القرن السدس الهجري) ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الاسدية ، تحقيق : محمد عبد القادر خريسان وصالح موسى درادكة ، مكتبة الرسالة الحديثة ، (عمان – 1984م) ، ج1 ، ص321 .

(2) سورة البقرة الآية : 198 .

(3) السيرة ، ج1 ، ص123 .

(4) سورة يوسف الآية : 70 .

(5) الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص190 ؛ الهروي ، تهذيب اللغة ، ج9 ، ص181 .

عدد من الابار لهذا الغرض ، ثم تولى السقاية بعده أخيه المطلب ، وبعد هلاكه قام بأمر السقاية من بعده عبد المطلب بن هاشم فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم فأغنت عن آبار مكة كلها ، فكان منها مشرب الحاج ، وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة إذا كان يوم الموسم جمعها ثم سقى لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم وكان يشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظ ماء زمزم ، وكانت إذ ذاك غليظة جداً ، وكان الماء العذب بمكة عزيزاً ، فلبث عبد المطلب يسقي الناس حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب ﷺ فلم تزل في يده ، وكان له كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها ، وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسوم ، وبعد فتح مكة سنة (8هـ) سلم النبي ﷺ السقاية الى العباس بعد أن كان يطلب السدانة معها فقبضها العباس فكانت في يده حتى توفي وهي باقية في ولده من بعده[1] .

4 . عمارة المسجد :

وهي وظيفة من الوظائف الجديدة والقريبة من زمن البعثة النبوية ، وكان يتولاها العباس بن عبد المطلب ﷺ ، فكان " لا يَدَعُ أحداً يشبب[2] فيه ولا يقول فيه هجراً[3] ، وكانت قريش قد اجتمعت وتعاقدت على ذلك فكانوا له عوناً وأسلموا ذلك اليه "[4] ، بمعنى ان لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع صوته ، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿الزُّمَرِ غَافِرِ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ...﴾[5] .

---

(1) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص112-113 ؛ ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة ، ص68-69 ؛ ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص116-117 .

(2) يشبب : (تشبيب الشّعر) ترقيق أوله بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأريثها ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج11 ، ص197 .

(3) هجراً : (القول الهجر) ، قول الخناء والافحاش في المنطق ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج3 ، ص387 .

(4) المحب الطبري ، أبو العباس محب الدين احمد بن عبد الله بن محمد (ت694هـ/1295م) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مكتبة القدسي ، (القاهرة – 1937م) ، ص186 ؛ الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ج1 ، ص165 .

(5) سورة التوبة الآية : 19 .

5 . الرفادة :

الرِفد بالكسر : العطاء والصلة ورفدته أرفده رَفداً ، إذا أعطيته وكذلك أعنته ، والارفاد : الإعطاء والإعانة ، والمرافدة : المعاونة ، والترافد : التعاون ، والاسترفاد : الاستعانة ، والارتفاد : الكسب ، والترفيد : التسويد ، يقال : رفد فلان ، أي سَوّد وعُظِّم ، والمِرفَد : الرِفد وهو القدح الضخم الذي يقرى فيه الضيف[1] ، والرِّفادة : شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم فيشترون به للحاج الجُزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج[2] .

يقول الطبري : " وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ، وذلك أن قصّياً فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وأن الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة ، فأجعلوا لهم شراباً وطعاماً أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم ، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه فيصنعه طعاماً للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام الى يومك هذا ، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينقضي الحج "[3] .

ثم قام بالرفادة بعد قصي أبنه عبد مناف ، ثم تولاها من بعده ابنه هاشم الذي أقام الطعام على الطرقات للحاج أيام الموسم ، ثم تحولت الرفادة من بعد هاشم الى أخيه المطلب إلا انه سرعان ما هلك فقام بها من بعده عبد المطلب بن هاشم فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون من قبله لقومهم وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد ، فلما توفي عبد المطلب قام بذلك من بعده أبو طالب في كل موسم حتى جاء الاسلام[4].

---

(1) الجوهري ، الصحاح ، ج2 ، ص475 .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص181 .

(3) تاريخ ، ج2 ، ص260 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص109 .

6 . النسيء :

النسيء في الأصل التأخير ومثله النسأة والنَسّاء والنسيئة ، ويكون في العمر والدَّين ، والعرب تقول : نسأ الله في أجلك وانسأه أي : أخره ، وانسأئه الدَّين ، أي : جعلته مؤخراً واسم ذلك الدين النسيئة[1] ، والذين كانوا ينسئون الشهور يسمون القلامسة ومفردها القلمس : وهو الرجل الداهية ، المنكر ، البعيد الغور[2] .

يقول ابن هشام : " والنساة الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤرخون ذلك الشهر ... وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم : القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبّاد ابن حذيفة ... وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الأربعة أشهر الحرم ، فإذا أرادوا الصدر (الرجوع من الحج) قام فيهم فقال : اللهم إني قد أحللت لك أحد الصفرين الصفر الأول (المحرم) ونسأت الآخر للعام المقبل "[3] .

والنسيء على ضربين أحدهما ما ذكرناه لحاجة العرب الى شن الغارات وطلب الثارات ، والثاني : هو الأرجح والأقرب الى الصواب هو تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فقد كانت العرب تستخدم الأشهر القمرية ، وهي تختلف عن الأشهر الشمسية ، لذلك فأن الاعتماد على الأشهر القمرية يخل بأمر التجارة ويغير من مواسمها ، أي أن النسيء كان كبساً غايته الموافقة بين السنتين القمرية والشمسية لتثبيت المواسم في مواعيدها من الأزمنة الطبيعية وقد أشار المسعودي الى الكبس بقوله : " وقد كانت العرب في الجاهلية تكبس في ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء وهو التأخير "[4]

---

(1) الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص455-456 .

(2) الفراهيدي ، العين ، ج5 ، ص253 .

(3) السيرة ، ج1 ، ص39 .

(4) مروج الذهب ، ج2 ، ص188 .

، ويقول أبو الفداء : " أنهم كانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً "[1] ، ويعلل القلقشندي سبب اتخاذ العرب للنسيء بقوله : " لم تزل العرب في جاهليتها على رسم إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) لا تنسأ سنيها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب فأرادت العرب أن يكون حجهم في أخصب وقت من السنة وأسهل زمان للتردد بالتجارة فعلموا الكبس من اليهود "[2] .

ويشير أحد الباحثين الى أن النسيء يعود الى أواسط القرن الثاني للميلاد وأن يهود يثرب قدموا الى شبه الجزيرة العربية بعد تشتيتهم في القرن الأول أو الثاني للميلاد ، فعاشوا ما عاشوا مع العرب من غير أن يُؤثر عنهم أي أثر مكتوب لا بلغتهم العبرية ولا بالعربية التي تعلموها من العرب ، وكانوا خلقاء بذلك لو صح ما نسبه إليهم المستشرقون وبعض الباحثين من العلم والمعرفة والارتقاء ، ثم أن العبريين لم يخترعوا الكبس أو النسيء ، بل نقلوه عن البابليين الذين اعتمدوا التقويم السومري الذي يجعل السنة (12) شهراً قمرياً ولما أدركوا أنها شهور متحركة كانوا يكبسون بعد أيلول شهراً يسمونه أيلول الثاني يفعلون ذلك كلما لزم التأخير[3] .

ويحدد الدكتور خضير الجميلي وقت هذه الوظيفة بأنها ظهرت أيام خزاعة وقبيل ظهور قصي بن كلاب ، أو أن القلمس من معاصري قصي على أكثر تقدير وأن قصياً قد تولى أمر مكة والنسيء قائم فأقر العرب على ما كانوا عليه حتى كان آخرهم أبو ثمامة جنادة[4] بن عوف [5] .

---

(1) ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب وآخرون ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) ، ج1 ، ص99 .

(2) صبح الأعشى ، ج2 ، ص425 .

(3) حمّور ، عرفان محمد ، المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الإسلام ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، (بيروت – 2000م) ، ص128 .

(4) هو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع من بني فقيم من كنانة أبو ثمامة ، كان آخر النسأة عندما جاء الإسلام ، وذكر أنه أسلم وحضر موسم الحج زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وقيل : أنه تولى الانساء أربعين سنة ، ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج1 ، ص610 .

(5) قبيلة قريش ، ص158–159 .

ب . الوظائف العسكرية :

1 . القيادة :

قاد ، يقود ، قيادة والانقياد : الخضوع ، وقُدتُهُ فأنقاد واستقاد لي إذا أعطى مقادته ، وقد قيل : أن قريشاً قادة ذادة ، أي : يقودون الجيوش[1] ، والقيادة : من الوظائف التي أوجدها قصي بن كلاب ضمن إجراءاته لتطوير مكة والقائم بها يتولى قيادة الناس أثناء القتال .

وأول من تسلم هذه الوظيفة العسكرية قصي بن كلاب فهو الذي قاد الناس في قتاله لخزاعة[2] ، ثم تحولت من بعده الى ابنه عبد مناف وخلفه عليها ابنه عبد شمس ، ثم جعلها عبد شمس لأخيه المطلب من بعده[3] ، وكان الذي يقود الناس يوم الفجار حرب بن أمية ، ثم أصبحت القيادة لأبي سفيان وعنده راية قريش المعروفة بـ(العقاب)[4] ، وفي يوم بدر قاد قريش عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لأن أبي سفيان كان يقود القافلة التجارية[5] ، ثم في معركتي أُحد سنة (3هـ) والخندق سنة (5هـ) كان أبو سفيان هو قائد الناس في الحرب[6] ، ومن ثم فأن القيادة هي من ضمن التنظيم القبلي المعروف عند العرب قبل الإسلام[7] .

2 . اللواء :

هو عَلَم يحمل في المعارك وتدور حوله المعركة[8] ، وقد أوجد هذه الوظيفة قصي بن كلاب الذي كان يعقده في دار الندوة وكان يتولى أمره قصي أو أحد أبنائه ، وأصبح اللواء بعد قصي لابنه عبد الدار[9] ، وكانوا يسلمونه أيام الحرب لأحدهم ممن يتسم بالشرف والجاه ومن ذوي السن ، واللواء له أهمية في الحرب ، فهذا أبو سفيان يخاطب

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص270 .
(2) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج4 ، ص263 .
(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص128 .
(4) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص314 .
(5) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص27 .
(6) ابن هشام السيرة ، ج2 ، ص67 ، ص232 .
(7) الشريف ، مكة والمدينة ، ص120 .
(8) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص160
(9) الازرقي ، اخبار مكة ، ج1 ، ص110 .

بني عبد الدار يوم أُحد : يا بني عبد الدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا ، إنما أتينا يوم بدر من اللواء ، وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم فألزموا لواءكم وحافظوا عليه[1] ، وقد حاول أبو سفيان أن يأخذ اللواء لنفسه فقال لهم : " خلوا بيننا وبينه فأننا قوم مستميتون موتورون نطلب ثأراً حديث العهد ، وجعل أبو سفيان يقول : اذا زالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها ، فغضب بنو عبد الدار وقالوا : نحن نسلم لواءنا؟ لا كان هذا أبداً فأما المحافظة عليه فسترى ، ثم اسندوا الرماح إليه وأحدقت بنو عبد الدار باللواء وأغلظوا لأبي سفيان بعض الإغلاظ ، فقال أبو سفيان : فنجعل لواءً آخر ، قالوا : نعم ، ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار ، لا كان غير ذلك أبداً "[2] ، وقد حمل لواء قريش يوم أُحد طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار ، فقاتل دونه حتى قتله علي بن أبي طالب ﷺ ، ثم حمله بعد أبو شيبة عثمان بن طلحة ، فقاتل دونه حتى قتله حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، ثم حمله أبو أسعد بن أبي طلحة وقتله سعد بن ابي وقاص ، ثم حمله من بعده مسافع بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح ، ثم حمله كلاب بن طلحة فقتله الزبير بن العوام ، ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة ابن عبيد الله ، ثم حمله ارطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب ﷺ ، ثم حمله شريح بن قارض ، ثم حمله (صواب) غلام بني عبد الدار فقتل[3] ، وبهذا فقد قتل من بني عبد الدار ثمانية رجال دفاعاً عن اللواء .

وتتبع اللواء راية قريش وهي العقاب ، وكانت عند ظهور الإسلام لدى أبي سفيان بن حرب من بني عبد شمس ، وكان من واجب حامل الراية أن يخرجها إذا حميت الحرب فإذا اجتمعت قريش على احد أعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه[4] .

---

(1) الواقدي ، المغازي ، ج1 ، ص220 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص221 .

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص225-228 .

(4) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص275 .

3 . القبة والأعنة :

القبة : هي الخيمة التي يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش من أسلحة ونحوها ، وكذلك فهم يديرون فيها حربهم[1] ، أما الأعنة : فهي أعنة الخيل وقيادة الفرسان ، وكانت لخالد بن الوليد عند ظهور الإسلام ، وهذه الوظيفة أوجدتها قريش قبيل الإسلام من ضمن التطور الحاصل في إمكانات مكة وحاجتها لحماية مصالحها ، وأسندت لبني مخزوم لأنهم مؤهلين لهذا الأمر أكثر من غيرهم ، إذ أنهم يمتلكون الرجال والعبيد والأموال[2] .

ب . الوظائف الإدارية :

1 . دار الندوة :

الندوة : من ندا يندو نداواً ومنها ندوت ، أي : اجتمعت مع ، ومنها الندي ، وهو الاجتماع في المجلس ومنه جاء لفظ (الندوة) ، أي : النادي بمعنى المجلس والمشاورة والجماعة ، وقيل : أن الاسم مشتق من المناداة ، أي : المفاخرة ومنه جاء اسم (دار الندوة) أي أنها للمفاخرة[3] ، وأطلق الاسم على دار بعينها في مكة لاجتماع قريش فيها ، وهي الدار التي بناها قصي بن كلاب[4] .

أتخذ قصي بن كلاب دار الندوة مقراً لسكناه وإقامته[5] ، وفي ذات الوقت رسخ من خلالها سياسات وأساليب تدار من خلالها شؤون القبيلة ومكة ، وكانت معظم الشؤون العامة الداخلية والخارجية تناقش في هذه الدار[6] ، وكانت هذه الدار المكان الذي تعقد فيه ألوية الحروب التي خاضتها قريش كالفجار والحروب التي خاضتها قريش مع المسلمين[7] ، وهي مكان لعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى ففيها حالف عبد المطلب

---

(1) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص161 ؛ الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص275 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص161 .

(3) الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص362 .

(4) الازرقي ، اخبار مكة ، ج1 ، ص110 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص181 .

(5) الازرقي ، اخبار مكة ، ج1 ، ص102 .

(6) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص47 .

(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص32 ؛ الفاكهي ، اخبار مكة ، ج3 ، ص310 .

خزاعة ، ومنها كانت تنطلق قوافل قريش التجارية واليها تعود ، وهي مكان لعقد الصفقات التجارية[1] .

ولم تقتصر تنظيمات دار الندوة على الشؤون العامة الكبرى والجوانب السياسية والاقتصادية ، وإنما تجاوزت ذلك لتمارس فيها بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، ففيها كانت تعقد مراسم الزواج لأبناء وبنات قريش ، ويعذر (يُخْتَن) فيها من بلغ من صبيانهم ، واذا حاضت الجارية جيء بها الى دار الندوة فيشق عليها درعها وتعود الى أهلها فيحجبوها[2] ، إن تلك الأمور التي كانت تقوم بها دار الندوة كان القرشيون يقابلونها بالالتزام ولا يحيدون عنها لأنها كانت عندهم أشبه بالدين المتبع ، وقد حافظوا عليها تيمناً بأمر قصي وتبركاً به[3] ، وهي النواة الأولى التي بدأ بها قصي لتنظيم أمور مكة واعتبرت هي الأساس في تطور مكة فيما بعد ، فيجتمع الملأ من قريش فيها لاتخاذ قراراتهم ومحاولين أن تكون بموافقة الجميع ، ولكن في حال تعذر ذلك فأنهم ينزلون الى رأي قصي ، إذ أن أمره كالدين المتبع كما ذكرنا ، ولكن بعد وفاة قصي لم يبرز من رجال مكة من يستطيع ملئ المكان الذي تركه قصي ، لذا فأن ملأ قريش اعتبروا أنفسهم أنداداً لبعضهم ، ومن هنا بدأت المنافسات والمساومات وبالتالي قيام التكتلات وظهور الأحلاف التي دفعت قريش الى خلق وظائف جديدة لترضية البطون القرشية ذات القوة والنفوذ[4] .

ومما سبق يتضح أن دار الندوة كانت منذ زمن قصي مركزاً إدارة شؤون مكة يجتمع فيها الملأ من زعماء قريش وأشرافها ، وقد تعارفوا على أن لا يحضر اجتماعاتهم إلا من كان سنه فوق الأربعين ويستثنى من ذلك بنو قصي وحلفاؤهم[5] ، أو من عرف من غيرهم بحسن الرأي ورجاحة العقل ، فقد دخلها حكيم بن حزام بن خويلد وهو ابن خمسة

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص47 .

(2) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص66 ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص112 .

(3) ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ، ص13 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص163 .

(5) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص253 .

عشر عاماً ، وكذلك تبركاً به لأنه ولد بالكعبة[1] ، ولم تكن القرارات التي يتخذها المجتمعون في هذه الدار ملزمة وإن وافقوا عليها بالإجماع[2] ، وكان باستطاعة من شاء من القرشيين التراجع عنها ، إذ لم يشارك أحد من بني عدي بن كعب في غزوة بدر الكبرى سنة (2هـ) في الوقت الذي انسحبت منها بنو زهرة وبعض بني عبد المطلب وغيرهم من قبل أن تقع المعركة ، وذلك رغم أجماع قريش على قتال المسلمين في بدر إظهاراً لمنعتهم وقوتهم[3] ، كما أن نجاح تنفيذ القرارات يعتمد على قدرات المجتمعين ومدى نفوذهم في المجتمع المكي ومقدرتهم على الإقناع أو اتخاذ إجراءات بحق المخالفين من مقاطعة أو مساومة ، وغير ذلك[4] ، ومن الواضح إن التنظيم المتبع في دار الندوة قبلي في جوهره وأنه امتداد لمجلس القبيلة مع بعض التطور الذي أحدثته قريش نتيجة الازدهار التجاري والحضاري الذي شهدته مكة في ذلك العصر[5] ، وكان الذي يتولى الأشراف على دار الندوة قيم من عبد الدار بن قصي ، فكان يفتحها لقريش متى اقتضى الأمر[6] ، وذكر أن أبعاد دار الندوة كانت تبلغ (70×74) ذراعاً تقريباً[7] .

2 . المشورة :

هي من الوظائف التي استحدثت قبيل ظهور الإسلام ، وهي أن قريشاً لا يجمعون على شيء إلا عرضوه على صاحب المشورة فان وافقهم عليه سكت وإلا سعت فيه ، وكانوا له أعواناً حتى يرجع عنه ، وكانت عند ظهور الإسلام ليزيد بن زمعة بن الأسود من بني عبد العزى ، وهو من أشراف قريش ووجوههم[8] .

---

(1) المزي ، أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي (ت742هـ/1341م) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1980م) ، ج7 ، ص186 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص48 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص276 .

(4) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص48 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص100 .

(6) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص139 .

(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص81 .

(8) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص274 ؛ الجميلي ، قبيلة قريش ، ص164 .

3 . الاشناق :

وهي الديات والمغارم ، من الوظائف التي ابتدعتها قريش ضمن سياستها التي تعمل بها للحفاظ على وحدة القبيلة وتماسكها ، وكانت هذه الوظيفة (لبني تيم) والقائم بها أبو بكر الصديق ﷺ ، فقد كان وجيهاً ورئيساً من رؤساء قريش ، وانه إذا حمل شيئاً قامت فيه قريش وصدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه وأن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه[1] ، وأن أبا بكر ﷺ كان يقوم بجمع الأموال الخاصة بالديات من قريش وتقدير الخسائر الناجمة عن ذلك[2] .

4 . الايسار :

وظيفة أوجدتها قريش وأسندتها الى بني جُمح ، والايسار هي الأزلام ، وكانت قريش لا تقوم بأمر عام دون الرجوع الى صاحب الايسار فينظر الأزلام في ذلك ، وكانت لصفوان بن أمية[3] ، الذي يضرب بها عند هبل كبير الأصنام في جوف الكعبة ليقرر فيما بعد هل يعطي الأمر أو لا[4] .

5 . السفارة :

وهي وظيفة مهمتها الاتصال بالقبائل الأخرى في المنافرات والمفاوضات ، وكانت الى (بني عدي) يقوم بها عمر بن الخطاب ﷺ تبعثه قريش سفيراً لها في حالة الحرب ومنافراً عن المنافرة ويرضون به[5] .

---

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص267 .

(2) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص275 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص268 .

(4) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص165 .

(5) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص268 ؛ الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب ، ص275 .

6 . الحكومة :

معنى الحكومة : هو التحكيم أي فض الخلافات بين القبائل ، وكانت (لبني سهم)[1] ، ولكن السلطة الفعلية لم تكن لهم ، وقام الإسلام والحكومة للحارث بن قيس ، وكذلك الأموال المحجرة التي سموها لآلهتهم[2] ، وكان قيس بن عدي والد الحارث من حكام العرب قبل الإسلام[3] .

ويبدو لنا من خلال النظر في توزيع هذه الوظائف بين بطون قريش أو من حالفهم ، أن الدافع من وراء ذلك هو الحفاظ على المكتسبات التي تحققت بعد وصول قريش الى سدة الحكم في مكة ، فبذلك جعلت قريش جميع ما يدور في مكة من أمور دينية أو اجتماعية أو اقتصادية مركزة في يد أبنائها أو من حالفهم ضماناً للاستمرارية في إدارة شؤون مكة وعملاً على ترسيخ هذه القيم والمبادئ في الأجيال اللاحقة ، فكل ما ذكرناه سابقاً من الوظائف عده من مكارم قريش ومفاخرها .

ثم كان لذلك اثره في استقرار الاوضاع الداخلية في مكة الامر الذي ادى الى ازدياد النشاط التجاري في المدينة مما جعلها مركز القوة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية الامر الذي ادى الى نشوء حكومة قوية في المدينة المقدسة اساسها النظام الاقتصادي الذي وضعه قصي بن كلاب وابناؤه من بعده .

---

(1) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص268 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص166 .

(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص368 .

المبحث الثاني
توظيف الدين للحياة الاقتصادية

أولاً . الحج وآثاره الاقتصادية :

كان للحج آثاره البعيدة المدى من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة للعرب عامة ومكة بشكل خاص ، فقد كانت تتزامن معه أسواق الحجاز الثلاثة : عكاظ ومجنة وذو المجاز ، وإن إقامة هذه الأسواق يعد تقليداً من تقاليد الحج لأنها كانت في أيام معلومة وأماكن مستقرة ، وإذا كانت هذه الأسواق مجالاً لنشاط أهل مكة التجاري ، فقد كانت من جهة أخرى تقليداً عظيم الشأن جليل النفع بالنسبة للعرب الذين كان لهم في موسم الحج وأشهره الحرم فرصة الغدو والرواح آمنين مطمئنين ، فكانوا يفدون على موسم الحج وأسواقه من كل الجهات ، من أطراف الشام والعراق ومن اليمن وتهامة والبحرين على مختلف القبائل والبيئات والجهات والعقائد ، فيلتقون في هذه الأسواق ويتبادلون السلع ويقيمون أودهم ، ويتزودون بما هم في حاجة اليه من العروض ، كما كانوا يجدون فيها فرصة لإقامة مجالس المفاخرة وإنشاد الأشعار ، والمفاضلة بين الشعراء ، ومجالس القضاء لحل المشكلات والقضايا المعقدة وغيرها من المجالات ، ومن ثم فان الوافدين على هذه الأسواق لم يكونوا كلهم من مشركي العرب ، بل كان يفد عليها نصارى العرب ويهود يثرب للتبشير والاتجار ، ولعلنا ندرك ما استفادته قريش من هذا الاحتكاك والاتصال بين العرب الوافدين من مختلف الجهات العربية ومنهم من عرف الفرس ، ومنهم من عرف الروم ، ومنهم كان من اليمن وعرف الأحباش في تطوير نظامها والأخذ بأسباب التقدم الأدبي والاقتصادي[1] .

وقد كان لأهل مكة من المفاخر والمآثر ما ميزها عن غيرها من مدن شبه الجزيرة العربية ، وكان لهذه المدينة ميزة ومركز يشعرانها بما عليها من واجبات نحو الكعبة والحجيج ، فقد كانوا يرون لأنفسهم حق الحرمة والميزة على العرب بسبب اختصاصهم

---

(1) الشريف ، مكة والمدينة ، ص203-205 .

بكرامة البيت الحرام فهم يعتبرون أنفسهم أهله وأولياءه " وانتم أهل حرم الله وجيرانه "[1] ، وهم يدركون مركز بلدهم وكرامتها وقدسيتها ، وقد قال تعالى في محكم وحيه : ﴿ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيْدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ ﴾[2] ، فالبيت الحرام مثابة للناس وأمناً لا يسفك فيه دم ولا يثار فيه نزاع ولا قتال ، لذلك كانوا يتضامنون في القيام بواجبهم نحو وفود الحجيج من ترحيب وإكرام وقِرى باعتبارهم ضيوف بيت الله في بلدتهم وهم سدنته الأقربون ، وقد أختص بعضهم بسقاية الحاج ، وأختص البعض بعمارة البيت ، والبعض بالقيام على رفادة الحجيج[3] .

ولما كانت مكة بلداً في وادٍ غير ذي زرع كما أسلفنا ، وأنها تعتمد في حياتها على ما يجلب إليها من الخارج ، وما يستطيع أهلها أن يحققوه لأنفسهم من منافع عن طريق البيع والشراء والتبادل مع الوافدين عليها والمارين بها في رحلات القوافل التجارية أو القادمين الى الأسواق التجارية التي تقام فيها وحولها ، وما يقدمه الحاج الى بيتها من هدايا ونذور ، فكان لابد أن يضع أهله لهم وللقادمين إليه أنظمة وقوانين لتنظيم الحياة وتوفير الأمن وحفظ الحقوق وحماية من يفد إليه من الأذى ، وهذا الإدراك قديم سابق لعهد قريش ، فتذكر الروايات إن مضاضاً بن عمرو الجرهمي فكر في حماية التجارة والدفاع عن الأجانب جلباً للغرباء والتجار ، وقد ذكرنا مقولته سابقاً لكن نذكرها هنا للتأكيد فيقول : " فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرمته أو آخر جاء بائعاً لسلعته او مرتغباً في جواركم "[4] ، وتذكر كتب التاريخ أن عمرو بن لحي زعيم خزاعة قد أتخذ من الإجراءات ما يرغب العرب في القدوم الى مكة والحج الى بيتها الحرام ، فجلب الأصنام وأقامها في فناء الكعبة ، يقول ابن هشام : " حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض أموره ، فلما قدم مآب[5] من أرض البلقاء ... رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه

---

(1) الكلاعي ، الاكتفاء ، ج1 ، ص171 ؛ المقريزي ، إمتاع الإسماع ، ج6 ، ص305 .

(2) سورة البقرة الآية : 125 .

(3) الشريف ، مكة والمدينة ، ص205 .

(4) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص86 .

(5) مآب : مدينة في أطراف الشام من نواحي البلقاء ، ينظر : البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1216 .

الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوني منها صنماً فأسير به الى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له : هبل ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه "[1] ، وكان يهدف من وراء ذلك الى جلب أنظار الناس في أطراف شبه الجزيرة العربية الى مكة لاسيما بلاد الشام والعراق واليمن تأكيداً لأهمية المدينة المقدسة دينياً لكنه كان في الوقت نفسه يهدف الى تنشيط الحركة التجارية والاقتصادية بين مكة وأطراف شبه الجزيرة العربية عبر إدخال المعتقدات التي كان يؤمن بها هؤلاء الى مكة وحرمها ، وقد عرف عنه انه كان يقيم موائد الطعام في موسم الحج حتى قيل انه كان يذبح عشرة الآف بدنة "[2] .

ولما صار الأمر الى يد قريش بعد خزاعة نظم زعيمها قصي بن كلاب الوظائف الدينية وعمل على إنماء المدينة وتقرير كيانها ، وتوسعت قريش فلم تكتف بتقرير حرمة المدينة في داخلها ، بل جعلت لها مجالاً في خارجها وجعلت هذا المجال حرماً كحرمة المدينة نفسها ، وأقامت له علامات يعرف بها[3] هي نفسها العلامات التي حدد بها إبراهيم عليه السلام حدود الحرم[4] وهي : من طريق المدينة على ثلاثة أميال ، ومن طريق جدة على عشرة أميال ، ومن طريق اليمن على سبعة أميال ، ومن طريق الطائف على أحد عشر ميلاً ، ومن طريق العراق على ستة أميال "[5] ، أي أن هذه الحدود حرمت وحفظت لها مجالات فيما حولها .

ومن الأمور المتعلقة بالحج والتي ابتدعتها قريش حفاظاً على هيبتها بين القبائل العربية من جهة وضمان سلامة أسواقها التجارية الداخلية من جهة أخرى (الحمس) والتي تعني المتشددين في الدين ، والحمس : قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون[6] ، فهو امتياز لأبناء قريش وأهل الحرم وولاة البيت وقطان مكة وساكنيها ،

---

(1) السيرة ، ج1 ، ص77 .

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص206 .

(3) المرجع نفسه ، ص207 .

(4) ابن الجوزي ، مثير الغرام ، ج1 ، ص186 .

(5) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص132 .

(6) ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، ص56 .

يقول ابن حبيب : " كانت قريش ابتدعت أمر الحمس رأياً رأوه وأداروه بينهم ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فأنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وهم يعلمون ويقرون أنها المشاعر ودين إبراهيم عليه السلام ، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم فلا ينبغي أن نخرج من الحرمة ولا أن نعظم غيرها كما نعظمها ، نحن الحمس والحمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة وبنو عامر بن صعصعة قد دخلوا معهم في ذلك كله "[1] .

ومن ثم فأن الحمس قد ابتدعوا أموراً في الدين تميزهم عن غيرهم ، وتشير الى ارتباطهم بالكعبة وتؤكد تمسكهم بحرمة البيت الحرام وتعظيم الحج اليه ليزيد ذلك في شرفهم وشرف البيت ، فقالوا : " ما ينبغي للحمس أن يأقطوا الاقط[2] ولا يسلؤوا[3] السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيوتاً من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الادم ما كانوا حرماً "[4] ، وربما كانت هذه الطقوس قد تسرب بعضها من الديانتين اليهودية والنصرانية ، وكانت فكرة الحمس صائبة لأنها ترمي الى إعزاز أهل الحرم ، وتضمن سلامة القاصدين إليهم ، وتحجز ما بين الأعداء ، وتشل أيدي المنتقمين والمتربصين ، فنشأ حق الالتجاء من حق الحمس ، فكان الرجل لو جَرّ جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام أو في الحرم لم يتعرض له[5] .

---

(1) المنمق ، ص127-128 .

(2) الاقط : طعام يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل والقطعة منه أقطة وهو من ألبان الإبل خاصة ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج7 ، ص257 .

(3) يسلؤوا : (سلأ) سلأت السمن أسلؤه سلأً ، وهو اذابة الزبد ، ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج7 ، ص300 .

(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص128 .

(5) الشريف ، مكة والمدينة ، ص209 .

ثم أن الحمس فرضوا على العرب فروضاً حملوها عليهم فدانت لهم بها وأخذت بما شرعوه لهم من ذلك ، ومن هنا تظهر الأهمية الاقتصادية لهذه الظاهرة أو الفكرة ، فقالوا : " لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحل في الحرم إذا كانوا حجاجاً أو عُماراً ، ولا يأكلوا من الحرم إلا من طعام أهل الحرم إما قراءً أو شراءً ، وكانوا مما سنوا به أنه إذا حج الصرورة من غير الحمس ... رجلاً كان أو امرأة لا يطوف بالبيت إلا عرياناً – الصرورة أول ما يطوف – إلا أن يطوف في ثوبٍ أحمسيٍّ إما إعارة وإما إجارة ، يقف أحدهم بباب المسجد ، فيقول : من يُعِير مصوناً؟ ومن يعير ثوباً؟ فإذا أعاره أحمسي ثوباً أو أكراه طاف به ، وإن لم يعره ألقى ثيابه بباب المسجد من خارج ثم دخل الطواف وهو عريان "[1] ، كل هذا يعني أن قريشاً نظمت الحج والقدوم الى مكة حسب ما تقتضيه مصلحتها الاقتصادية ، وكانت تبتدع من الأمور ما يحقق لها الكسب المادي من جهة ، والاحترام والقدسية لبلدها عند العرب من جهة أخرى .

فالحج وأسواقه كانت حافزاً لنشاط قريش التجاري ، إذ هم يضربون في الارض شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لحمل التجارة بين هذه الجهات ، ولمزاولة التجارة الداخلية في أسواق العرب وفي موسم الحج في مكة ، وإن هذه السنن التي فرضوها على العرب جميعاً هي متصلة بنشاطهم التجاري ، فأن الناس يطرحون أزواد الحِلِّ قبل الدخول في الحرم حتى يبتاعوا أزوادهم من أهل مكة ، وكذلك عدم السماح لهم بالطواف بأثوابهم ، وإنما عليهم أن يلبسوا المآزر الأحمسية وذلك حتى يشتروا ما يلزمهم من ذلك من قريش ، وبذلك توجد سوق نشيطة في مكة تتزامن مع موسم الحج لبيع الملابس ، وتخصص بعض التجار في بيع الاطعمة ، وإذا كانت قريش تضيف الحجيج ثلاثة أيام منى ، فليس ذلك بكافٍ ، ثم أن الأغنياء من الحجيج لم يكونوا يشاركون في هذه الموائد العامة التي تقيمها قريش ، والكل مضطر لشراء طعامه بعد ذلك ، وإذا كان من الناس من يستعير ثياب الحمس أو يهديها فليس الجميع كذلك ، وكذلك لم يكن الكثير قادراً على الاستغناء عن ملابسه لتكون لقى بعد طوافه ، ولا كلهم يرضى بالطواف عرياناً لاسيما النساء ، وأن

---

(1) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص176 .

كان من يفعل ذلك كما أشار الى ذلك الازرقي[1] ، على أن قريشاً كانت تأخذ الى جانب ذلك كله ضريبة تسمى الحريم ، من كل من نزل عليها تأخذ بعض ثيابه أو بعض بدنته[2] .

ثانياً . الأشهر الحرم وأهميتها الاقتصادية :

تحظى الأشهر الحرم بأهمية عظيمة في حياة العرب قبل الإسلام ولاسيما مكة ، فبينما تكون الحروب مستعرة والغارات قائمة والناس مندفعين وراء عصبياتهم وثاراتهم ، لكن هذا كله يتوقف عندما تحل هذه الأشهر تعظيماً لها واحتراماً ، ويصبح الناس في هدنة عامة ، ويتلاقى الناس في منطقة الحرم وخارجها فلا يكون بينهم شر ولا قتال ، بل لقد بالغوا في تحريمها الى درجة تحريم الصيد أثناءها وعدوا ذلك من سفك الدماء .

ولقد أشار القرآن الكريم الى الأشهر الحرم دون ذكر أسمائها فقال تعالى :

﴿النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانِ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٍ الصَّافَّاتِ صٍ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى﴾[3] ،

والأشهر الحرم هي : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وهو رأي الجمهور كما يقول الماوردي ، وقيل غير ذلك[4] ، والأشهر الثلاثة الأخيرة هي أشهر الحج عند العرب قبل الإسلام ، أما شهر رجب فأنه كان يسمى رجب مضر ، وانه مشتق من الترجيب أي التعظيم ، ويسمى (رجب الأصم) ، قيل أنه سمي بذلك : لأن السلاح يغمد فيه فلا يسمع وقع الحديد بعضه على بعض[5] ، ومن ثم فأن للأشهر الحرم أهمية كبيرة فرضتها ضرورة البيئة العربية ، وقد كان ذلك واضحاً في الحجاز إذ لم يكن هناك سلطان نافذ ، وكانت الغارات بين القبائل متواصلة ، والعصبية على أنواعها قوية شديدة ، والأنفة والحمية متأصلتين ، ولهم في ذلك الوقت حاجات كثيرة ، فالتجارة لابد لها من مشترين

---

(1) الازرقي ، أخبار مكة ، ج1 ، ص176 .
(2) الازدي ، الاشتقاق ، ص282 .
(3) سورة التوبة الاية : 36 .
(4) النكت والعيون ، ج4 ، ص340 .
(5) قطرب ، الازمنة وتلبية الجاهلية ، ص38 .

ومستهلكين وزراع لابد لهم من المبادلة على غلاتهم وثمارهم ، وأعراب لابد لهم من استيفاء حاجاتهم السنوية ، ولابد لهم من بيع ما عندهم من أنعام وماشية وشعر ووبر وصوف ، فماذا تكون حالتهم لو لم يكن هناك وقت يستطيعون فيه التحرك والاتصال والتبادل مطمئنين آمنين؟ ، وماذا تكون حالهم لو لم يتيسر لهم إقامة أسواقهم العامة وشهودها في ظل الأمن وعدم الخوف؟ ، من أجل ذلك كانت قيمة هذه الهدنة التي فرضتها الأشهر الحرم عظيمة الأهمية ، ومن أجل ذلك أسبغ العرب على هذه الهدنة صفة قدسية وصبغوها بصبغة دينية ، وكانوا يعتقدون بان الإخلال بحرمتها وقداستها يجلب عليهم الشر والنحس ، وأصبحت هذه الهدنة جزءاً من حياة الناس ومن كيانهم الاقتصادي والاجتماعي والأدبي والديني[1] .

ويبدو لنا من خلال استقراء الروايات التأريخية أن الأشهر الحرم لم تحظ بتلك الأهمية قبل وصول قريش الى رئاسة مكة ، فقد عمل قصي بن كلاب على إقرار حرمة هذه الأشهر لعلاقتها بموسم الحج وتقاليده وأسواقه ، أما قبل ذلك فالظاهر أن هذه الأشهر الحرم قد انتهكت حرمتها وحدثت أحداثاً جعلت أمن الناس غير مكفول ، فكتب التأريخ تحدثنا عن صراع نشب بين القبائل في مكة وفي الحرم أدى الى دفن بئر زمزم[2] ، وكان من نتائج هذا الصراع بين القبائل القاطنة في مكة أن ضعف أمر الحج أو تعطل بسبب انتهاك حرمة مكة من جهة والأشهر الحرم من جهة أخرى ، كما أن قصي بن كلاب قد قاتل خزاعة في الحرم وفي موسم الحج[3] ، دلالة على أن هذه الهدنة التي اشرنا إليها – أي الأشهر الحرم – لم تكن مرعية قبل وصول قصي الى رئاسة مكة ، فلم يشير أهل التأريخ الى وجود استنكار من قبل العرب على هذه الحوادث التي ذكرنا ، وقد وقعت في الأشهر الحرم وفي الحرم على نحو ما ذكروا من استهجان واستنكار للحرب التي قامت بين قريش وكنانة ، وبين هوازن وقيس والتي أطلقوا عليها حرب الفجار[4] لما فيها من فجور لوقوعها في الأشهر الحرم ، أو ما ذكر عن كلام قريش في حضرة النبي

---

(1) الشريف ، مكة والمدينة ، ص212–213 .

(2) ابن الأثير ، الكامل ، ج1 ، ص614 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص303 ؛ ابن الضياء ، تاريخ مكة المشرفة ، ص67 .

(3) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص256–258 .

(4) ابن حبيب ، المنمق ، ص161–163 .

ﷺ من أنه قد انتهك حرمة الأشهر الحرم في إشارة الى ما حدث في سرية عبد الله بن جحش الاسدي الذي اعترض عِيراً لقريش قرب (نخلة) فقلوا قائدها واسروا اثنين من رجالها ، وكان ذلك في آخر يوم من رجب[1] .

وقد أدى صراع القبائل الى اختلال الأمن وانقطاع وفود الحجيج او ضعف قدوم هذه الوفود الى مكة ، وتعطلت مناسك الحج ومنافع الناس في موسمه وأسواقه ، فحفز هذا ذوي السلطان والنفوذ من الزعماء والرؤساء الى العناية بأمر الحج وتأمينه ففرضوا الأشهر الحرم ، والأرجح أن فرض الأشهر الحرم كان من عمل (الاحماس) الذين صار لهم بعض الامتيازات الدينية والتشريعية ، والذين كان الناس يسيرون على ما يسنونه لهم ويعتبرونه سنناً دينية واجبة التنفيذ ، ويساعد على تصويب هذا الرأي ما كان لمكة من مركز ديني محترم في نظر سائر العرب ، وما كان من اهتمام عظيم لتقدير حرمة الحرم وحرمة الأشهر الحرم عند زعماء مكة وما كانوا يقومون به من أعمال في سبيل رعايتها ، ويرجح أن السعي الأول كان منهم لأن فوائد الحج في المقام الأول على أهل مكة الذين يقوم البيت في بلدهم وتقوم الأسواق العامة في منطقتهم أو حولها ، ثم أن حرمة البيت تكسبهم حرمة ومكانة ممتازة بين العرب وهذه المكانة هي التي هيأت لقريش الزعامة الدينية والأدبية كما أنها استغلت هذه المكانة في السيطرة على التجارة بين الشام واليمن مما عاد عليهم بالثروة الكبيرة والمنزلة الرفيعة[2] .

ثالثاً . البعد الاقتصادي لحملة أبرهة الحبشي على مكة :

إن الناظر في أسباب غزو الأحباش لليمن ليجد أن من بين تلك الأسباب هو العامل الاقتصادي ، فبلاد اليمن تمثل للحبشة سوقاً لتبادل البضائع فلا يفصل بينهما سوى بحر القلزم (البحر الأحمر) ، فالسيطرة على هذه البلاد تعني وضع اليد على تجارة المنطقة بالكامل ، فالطرق التجارية معظمها تمر ببلاد اليمن ، ثم تتجه الى شمال شبه الجزيرة العربية ، فأراد الاحباش السيطرة على هذه المنطقة ، ثم الامتداد الى مركز شبه الجزيرة

---

(1) ابن هشام ، السيرة ، ج2 ، ص178-179 .

(2) الشريف ، مكة والمدينة ، ص214 .

العربية الديني والاقتصادي الى مكة ، وهو ما نجده في حملة أبرهة الى مكة وإن كانت مغطاة بغطاء الدين وهو أضعف الأسباب في هذه الحملة .

يقول ابن هشام : " ثم أن أبرهة بنى القليس بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب الى النجاشي[1] : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حج العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي ، غضب رجل من النسأة ، أحد بني فقيم ابن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ... فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد فيها – يعني أحدّثَ فيها – ثم خرج ، فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك : " أصرف إليها حج العرب " غَضِبَ فجاء فقعد فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ، ورأوا جهادهم حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه الى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله فهُزم ذو نفر وأصحابه ، واخذ له ذو نفر فأُتي به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي ، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ، ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قَبيلَي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيراً ، فأُتي به فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني فاني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله وخرج به معه يدُلهُ ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن مرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال

---

(1) النجاشي : كلمة حبشية أو لقب يسمون ملوكهم بها ، كما يسمي الفرس كسرى ، والروم قيصر ، ينظر : الازدي ، جمهرة اللغة ، ج1 ، ص478 .

ثقيف ... فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد – يعنون اللات – إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ... فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق الى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى انزله المغمس[1] ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ، فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس ، فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة ، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم – وهو يومئذ كبير قريش وسيدها – فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك "[2] .

ثم أن أبرهة أرسل أحد رجاله الى مكة ، وفي هذا يقول ابن حبان : " ثم بعث أبرهة حناطة الحميري الى أهل مكة فقال : سَل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن هو لم يُرد حربي فأتني به ، فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له : ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام – أو كما قال – فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وأن يُخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ، فقال له حناطة : فأنطلق معي إليه فأنه قد أمرني أن آتيه بك ، فأنطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نفر وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نفر هل عندك من غَنَاءٍ فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر : وما غَنَاءُ رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غُدُواً أو عشياً ما عندنا غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أُنيساً سائس الفيل صديق لي وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم

---

(1) المغمس : بضم أوله وفتح ثانيه ، موضع في طريق الحرم من طريق الطائف ، ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج4 ، ص1248 .

(2) السيرة ، ج1 ، ص43-44 .

عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير أن يقدر على ذلك ، فقال : حسبي ، فبعث ذو نفر الى أُنيس فقال له : أن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عِير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فأستأذن له عليه وأنفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل ، فكلم أُنيس أبرهة فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عِير مكة وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال ، فأذن له عليك فيكلمك في حاجته وأحسن اليه ، قال : فأذن له أبرهة ، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك؟ ، فقال له ذلك الترجمان فقال : حاجتي أن يَرُدَّ علي الملك مائتي بعيرٍ أصابها لي ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وأن للبيت رباً سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع مني ، قال : أنت وذاك ... فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش "[1] .

ويروي ابن هشام ما نصه : " ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلق باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَ أنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ ... رَحْلَهُ فَأَمْنَع حَلالك
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبَهم ... ومِحالَهُم غَدْوَاً مِحالك
إنْ كُنْتَ تارِكُهُم و ... قِبْلَتَنا فَأمرٌ ما بَدا لك

---

(1) السيرة النبوية ، ج1 ، ص36-38 .

... ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبَّى جيشه وكان اسم الفيل محموداً ، وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الى اليمن ، فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال : أُبرك محموداً أو ارجع راشداً من حيث جئت فأنك في بلاد الله الحرام ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبال وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين[1] ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن[2] لهم في مراقه[3] فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه الى مكة فبرك ، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجرة في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه "[4] .

وعلى هذا فان هذه الحملة فشلت في مهمتها التي أتت من أجلها ، وهي تحويل الحج الى كنيسة القليس وبالتالي نقل الأهمية الاقتصادية إليها وسحب البساط من تحت سادة مكة وتحويله الى المستعمرين الأحباش الذين اتخذوا من اليمن قاعدة لهم ، ومن ثم فأن الناظر في أسباب هذه الحملة ليجد ان ما ذكر عن ان احد أهل مكة قد أخذته الحمية عندما سمع قول أبرهة ونيته في هدم الكعبة أنه قام ففعل ما فعل ثم انتفاض أبرهة لذلك ، فأن هذا السبب ضعيف فلا يمكن لملك بهذه المكانة أن يؤاخذ بهكذا أفعال ، ثم انه ليس بذلك المتدين الذي يجهد نفسه في الدفاع عن دينه ، وهذا ما نجده في قتاله للقائد الشرعي الذي عينه النجاشي ، لكن الأمر ما ذهبنا إليه من انه أراد فرض سيطرته على

---

(1) الطبرزين : يبدو أنه نوع من الفؤوس ، أو هو (الطّبَر) المعروف عندنا الى اليوم .

(2) محاجن : (المحجن) العصا المعقوفة او المعوجة ، ينظر : ابن سيده : المحكم ، ج3 ، ص84 .

(3) مراقه : (المراق) ما سفل من البطن عند الصفاق أسفل السرة ، ينظر : الهروي ، تهذيب اللغة ، ج8 ، ص231 .

(4) السيرة ، ج1 ، ص50-53 .

المقدرات الاقتصادية التي تتمتع بها شبه الجزيرة العربية لاسيما مكة وتحويلها الى اليمن ومن ثم الى الحبشة .

رابعاً . البعد الاقتصادي لوظيفة النسيء :

ذكرنا النسيء كوظيفة من الوظائف التي استحدثت في مكة وقامت على أيام خزاعة أو في بداية تولي قصي بن كلاب لمكة وأمورها الدينية والاقتصادية ، وان النسيء كان على ضربين الأول : لحاجة العرب الى شن الغارات وطلب الثارات ، اما الضرب الثاني والذي نلتمس منه الأهمية الاقتصادية لهذه الوظيفة هو أن تأخيرهم الحج عن وقته كان تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فقد كانت العرب تستخدم الأشهر القمرية وهي بطبيعتها تختلف عن الأشهر الميلادية ، فالاعتماد على الأشهر القمرية يخل بأمور التجارة ويغير من مواسمها فأخذت العرب قبل الإسلام تنسئ او تكبس كل ثلاثة سنين شهراً[1] ، أي أن العرب تؤخر الحج في كل سنة أحد عشر يوماً ، وهذا هو السبب من قيام النسيء ، إذ أن العرب كانت مواسمهم وتجارتهم خلال موسم الحج الذي كان يتم في فصل الربيع[2] ، فأن تبديل مواقيت الحج تؤدي الى حرمان العرب المتاجرة ، إذ أن موسم الحج يتغير ويكون في وقت هو غير الوقت الذي تجنى فيه محاصيل شبه الجزيرة العربية من حبوب أو زيوت أو جز الصوف والوبر ، لذلك كان النسيء لضمان بيع السلع والمنتوجات في أسواق مكة .

وعلى هذا فان هذه الاجراءات قد اسهمت بشكل فعال في بناء حكومة مكة من خلال تكوين الاطر الاقتصادية والسيطرة عليها بما يضمن ديمومة واستمرارية هذه الحكومة في عملها ، وان الناظر فيما تقدم ليجد ذلك واضحا من خلال ربط الامور الدينية بالجانب الاقتصادي فكان ذلك من ابرز العوامل التي ساعدت على نشوء حكومة مستقرة في مكة.

---

(1) النويري ، نهاية الأرب ، ج1 ، ص166 .

(2) الجميلي ، قبيلة قريش ، ص158 .

المبحث الثالث

جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية

أولاً . الأغنياء والفقراء :

يتكون المجتمع المكي شأنه شأن بقية المجتمعات من مجموعتين أساسيتين تكونتا تبعاً للظروف الاقتصادية السائدة في المدينة ، فقد تميزت مكة باعتمادها على التجارة بشكل رئيس وأساسي وراجت تجارة مكة ونجحت اعتماداً على موقعها الجغرافي وحياد سكانها ، إذ قام التجار القرشيون بدور الوسطاء في هذا المجال وأعطوا التجارة اهتماماً كبيراً وبذلوا كل ما تمخض عنه فكر حكمائهم وساداتهم وتجارب ذوي السن منهم كي تكتمل نهضة قريش الاقتصادية وانخراط جل أهل مكة في الاشتغال بالتجارة مالياً وعملياً ، أي بأموالهم ومجهودهم بالمشاركة والممارسة الفعلية لكل أعمال التجارة من بيع وشراء وسفر أو بالمشاركة المالية فقط أن يدفع المال للتاجر ويبقى صاحب المال في مكة حتى ترد إليه أمواله بأرباحها وبضائعه المطلوبة .

يتضح أن نوعاً من التخصص كان سائداً بين كبار التجار وزعماء القوم ، فقد ذكرنا في حديث الإيلاف أن أبناء عبد مناف بن قصي بن كلاب كان قد توجه كل واحد منهم الى ناحية معينة لأخذ عهود الإيلاف من سادتها ، وكانت هذه النواحي هي مقصدهم بالتجارة قبل أن يعقدوا الإيلاف ، فقد كان متجر عبد شمس الى الحبشة فكأنه تخصص بالتجارة والسفر الى هذه المنطقة ، وتاجر المطلب الى اليمن فكان الأمر كذلك بالنسبة له ، وكان متجر نوفل الى العراق وكانت وجهة هاشم الى بلاد الشام ، وقد أشار الى ذلك ابن حبيب[1] ، وكانت هذه هي خطة الإيلاف الذي فرض نوعاً من التخصص ، فهؤلاء الرؤساء الأربعة من بني عبد مناف قد مارسوا تجارة متخصصة فتعين على كل منهم الاتجار مع هذه الجهة ، وبالتالي فهو متخصص بجلب السلع التجارية من تلك الجهات التي اكتسب الخبرة بها وبأهلها ، فقد أختص أحدهم بتجارة المواد الغذائية التي تجلب من الشام كالحنطة والنبيذ ، وأختص الأخر بتجارة المواد لكمالية كالتوابل والبخور

---

(1) المحبر ، ص163 .

واللبان ونحو ذلك والتي تأتي عن طريق الجنوب عبر بلاد اليمن ، إذ يأتي قسم من هذه المنتجات من الهند والصين ، وهذا التخصص مستمر بين تجار مكة فكل مجموعة من التجار ترتاد جهة معينة لجلب منتجاتها[1] .

ولعل من أشهر أغنياء مكة حكيم بن حزام بن خويلد فكان ذا شرف ومال كثير ، وهو من بني أسد ومن سادات قريش وأمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وقد ولدت حكيماً هذا في جوف الكعبة فكان ذلك وسام شرف لحكيم ، إذ صارت الكعبة المشرفة مسقطاً لرأسه ، وقد ولد قبل الفيل باثنتي عشرة سنة ، وكان من صفاته أنه سديد الرأي ناضج الفكر حتى سمح له بدخول دار الندوة قبل بلوغه سن الأربعين ، فقد دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة – كما ذكرنا سابقاً – وكان له مال كثير لأنه اشتغل في صناعة البُر ومعالجته وكذلك في التجارة ، فقد ضرب آفاق الأرض لهذا الغرض فسافر الى اليمن والشام في رحلتي الشتاء والصيف وجنى الإرباح وامتلك الأموال الطائلة ، وحضر الأسواق في مكة وتهامة اثناء رحلاته التجارية ، وذكر أن أعظم الأسواق التي كان يرتادها هي سوق حباشة ، فكان يرتادها لشراء البر وبصحبته ميسرة غلام عمته السيدة خديجة بنت خوليد (رضي الله عنها) ليشتري لها بُراً لأنه سلعة مدرة للربح الوفير ، وهو الذي اشترى لعمته زيد بن حارثة من سوق عكاظ[2] .

وعلى الرغم من أن حكيم بن حزام جمع ثروة طائلة لكنه لم يكتنزها ، بل كان جواداً كريماً حتى انه قاسم الفقراء وذوي الحاجات أرباح تجارته[3] ، وكان لا يأكل طعامه وحيداً بل يدعوا اثنين وثلاثة من أيتام قريش لمشاركته الطعام في كل وجبة ، واعتق في الجاهلية مائة رقبة في يوم عرفة ونحر مائة بدنة يوم النحر ، ولجوده وخلقه العربي ومروءته ، فقد أبى يوم حصار بني هاشم في الشعب إلا أن يكون جواداً ذا مروءة كما عهدوه ، فكان عندما تصل قوافله من الشاك حاملة الحنطة والمؤن يوجهها الى الشعب فتدخل العِير عليهم ليأخذوا ما فيها ، وكانت بيده وظيفة الرفادة عندما جاء الإسلام ،

---

(1) الشريف ، دور الحجاز ، ص38 .

(2) ابن بكار ، جمهرة ، ص353 – 254 .

(3) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص83–84 .

ويعتبر من معمري قريش فقد اسلم وهو في الستين من عمره وعاش حتى بلغ المائة والعشرين سنة[1] .

وكان من سادة مكة وأغنيائها أبو بكر الصديق ﷺ وهو من بني تيم واسمه عبد الله بن أبي قحافة ، ولد بعد عام الفيل بعامين واشتغل بتجارة البُر أيضاً وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وكان يجيد القراءة والكتابة عالِمٌ بأخبار العرب نسابة ذا فضل ومروءة يعين كل ذي حاجة ويكرم الضيف ، وقد اشتغل بالتجارة وجمع منها مبلغ أربعين ألف درهم[2] ، أنفق منها خمسة وثلاثين ألفاً في شراء العبيد الذين اعتنقوا الإسلام ليحررهم ويخلصهم من تعذيب سادة مكة[3] .

وكذلك فان من أغنى أغنياء تيم (حاسي الذهب) اسم اشتهر به حتى ضرب المثل بذلك ، فقيل في مدح الكريم (أقرى من حاسي الذهب)[4] ، وهو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[5] ، وكنيته أبو زهير[6] كان سيداً في قريش ومن رؤسائها يوم الفجار ، وكان يومئذ ورئيس بني تيم ، تولى القيادة وتسليح مائة رجل ، فهو ذو مكانة وشرف وزعامة بين قومه[7] ، وقد تم في داره عقد حلف الفضول[8] ، وقد أثري عبد الله بن جدعان ثراءً فاحشاً حتى شرب في أنية من الذهب[9] .

أما مصدر ثرائه فمن شقين أولهما التجارة التي اشتغل بها ، وكان قد تخصص في تجارة الرقيق (النخاسة) ، فقد كان هذا النوع من التجارة رائجاً شائعاً ومربحاً ، وقد سافر الى البلاد بحثاً عن العبيد والإماء وجلبهم الى مكة لبيعهم ، أما المصدر الثاني لثروته فهو قصة تذكرها كتب التاريخ ولا نعلم أهي حقيقة أم أسطورة تحتمل الوجهين ، يقول ابن حبيب : " قال أشياخ من قريش لعبد الله بن جدعان : يا أبا زهير من أين أصل مالك

---

(4) ابن بكار ، جمهرة ، ص261-269 .

(1) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص205-213 .

(2) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص248 .

(3) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، ص127 .

(4) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص136 .

(5) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص248 .

(6) ابن حبيب ، المنمق ، ص198-199 .

(7) المصدر نفسه ، ص203 .

(8) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، ص127 .

هذا؟ وكان من أكثر الناس مالاً ، فقال : على الخبير سقطتم ، خرجت مع قوم من قريش الى الشام فبينما نحن في بعض أسواقها إذ أقبل رجل قد كان يسد الأفق من عِظمه ، فقال : من يبلغني أرض جرهم وأوقر ركابيه ذهباً فلم يجبه أحد من أشياخنا بشيء ، قال : فأنصرف ، ثم عاد في اليوم الثاني فقال كما قال في اليوم الأول وانصرف ولم يجبه أحد ، ثم عاد في اليوم الثالث فقال كما قال ، فلما رأيت سكوت الناس عنه ، قلت : أنا أبلغك أرض جرهم ، قال ابن جدعان : وأنا أعني ببلاد جرهم أرض مكة ، قال : فحملت على ابلي اذبح له في كل يوم شاة وفي كل جمعة جزوراً حتى انتهينا الى مكة ، فقلت هذه ارض جرهم ، قال : انك صادق ولكن أمض وانطلق ، فأخذني في جبال وأودية ما رأيتها قط حتى انتهينا الى كهف في الجبل قد رُدم بالحجارة ، فقال : أنخ بي ههنا ، فأنخت به ثم قال لي : انقض هذا الكهف حجراً حجراً ففعلت ، ودخلت الكهف فإذا فيه ثلاثة أسرة على اثنين منها رجلان ميتان والثالث ليس عليه احد ، وإذا ذهب كثير وأجانة في ناحية الكهف فيها لطوخ ، فقال : يا هذا إني ميت كما مات هذان الرجلان وسيخرج مني صوت شديد فلا يهولنك ، وإذا أجانة فيها لطوخ وإذا قارورة فيها ريشة على السرير الخالي ، وإذا ذهب كثير من ناحية الكهف ، فطرح ثياباً كانت عليه وقال : اطلني بهذا الذي في الاجانة ، فطليته من قرنه حتى قدمه ثم أدرجته في ثياب كانت معه ثم جلس على السرير وأخذ الريشة فلعط بها على انفه ، ثم صاح صيحة ما سمعت قط أشد منها وسقط ميتاً كأنه لم يزل مذ كان ، قال : وقد كان قال لي : : خذ من هذا الذهب حاجتك ورد الكهف كما كان وإياك أن تعود الى ما ههنا فأنك أن عدت ذهب مالك ونفسك ، ففعلت ما قال ، فهذا أصل مالي "[1] .

ويبدو لنا أن المصدر الأول لثروته – أي عبد الله بن جدعان – هو الأسلم والأشهر ، أما هذه القصة وعلى الرغم من ذكرها في بعض المصادر التاريخية إلا أنها تكاد تكون من ضرب الخيال والأساطير ، وذكرها في هذه الدراسة استدلالاً على كثرة مال عبد الله

---

(1) المنمق ، ص149 – 150 .

بن جدعان ، وهناك رأي يشير الى أن كثرة مال هذا الرجل القرشي يعود الى انه كانت له دار وقيان للبغاء واللهو والشرب والغناء حتى قال فيه الشاعر واسمه (أبو أهاب) :

دارُ ابْنُ جَدْعانَ مَأوى كُلُ باغِيةً ... فَكَيفَ يَجْمعُ فيها البَرُ والحَوب[1]

فكانت هذه الدار مصدراً ثابتاً مربحاً جداً لأبن حدعان كغيرها من دور اللهو[2] .

وكان عبد الله بن جدعان نديماً لحرب بن أمية كعادة أهل مكة أن يكون لكل منهم نديم ، وكان سيداً جواداً كريماً الى حد الإسراف ، فقد نصب مناديين يكون أولهما في أعلى مكة والثاني في أسفلها لدعوة الضيوف الى اللحم والشحم على مائدة ابن جدعان[3] ، وله يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي :

لـــهُ داعٍ بمَكَّـةَ مُشْمَّعلٌ ... وآخَـرُ فَوقَ دارَتِهِ يُنادي

الى رَدْحٍ مِنَ الشَيزى عَلَيّها ... لُبابُ البُرِ يُلبَكُ بالشَهادِ[4]

وأقام جفنة كبيرة جداً للطعام يأكل منها الراكب والماشي ولكبر حجمها انه إذا وقع طفل فيها غرق في مرقها ، وهو أول من أطعم الفالوذ[5] بمكة[6] ، وبلغ به الكرم في أخريات أيامه أن حجر عليه قومه لكثرة عطائه ، فكانوا يسترجعون عطاياه ، فاحتال عليهم بأن يقول : للسائل : ألطمك لطمة فلا ترضي إلا أن تستقص مني اللطمة أو يرضيك قومي بالمال فيرضخ القوم ببذل المال عن لطم شيخهم وسيدهم[7] .

ومن بطون قريش الغنية والبارزة بنو أمية ومنهم حرب بن أمية وهو من رؤساء يوم الفجار ومن سادة قريش وحكامها ، وكذلك ابنه أبو سفيان صخر بن حرب[8] الذي ولد

---

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص66 .

(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص250 .

(3) ابن حبيب ، المنمق ، ص372 .

(4) ابن سعيد ، نشوة الطرب ، ص354 .

(5)الفالوذ : نوع من الحلوى يعمل من لب الحنطة (الدقيق) مع الماء والعسل ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص503 .

(6) ابن قتيبة ، غريب الحديث ، ج1 ، ص455 ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص125 ؛ العصامي ، سمط النجوم ، ص243 .

(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص137-138 .

(8) ابن حبيب ، المحبر ، ص132 .

قبل الفيل بعشر سنوات[1] ، وهو من كبار تجار الزيت والادم[2] ، وكان واسع الثراء وكان يمول ويجهز تجار مكة وهو صاحب عِير قريش الذي جاب أرض الشام طلباً للتجارة[3] ، ومن أثرياء بني أمية الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ ، ولد بعد عام الفيل بست سنوات[4] ، وكان يجيد القراءة الكتابة ، اشتغل بالتجارة وكان بزازاً[5] ، وسيرته معروفة في الجاهلية والإسلام ، ومن بني العاص بن أمية أبو احيحة سعيد ابن العاص ، وهو من سادة قريش وأغنيائها لقبوه (بذي العمامة ، والتاج) لشهرة عمامته التي لا يعتم بمثلها أحد[6] ، وله من البنين عشرة مات نصفهم في الجاهلية وآخرهم في الإسلام[7] .

وتخصص عبد الله بن أبي ربيعة بالتجارة الى اليمن وهو أحد بني مخزوم الذين هم أثرياء مكة وأرباب المال فيها نتيجة لاشتغالهم بالتجارة[8] ، ومن أثرياء مكة أيضاً الوليد بن المغيرة المخزومي أغنى أغنياء بني مخزوم ، كان يلقب (العدل) " لأنه كان عدل قريش كلها لأن قريشاً كانت تكسوا البيت جميعها وكان الوليد يكسوه وحده "[9] ، وله شخصية مهيبة وكان ذكياً عميق التفكير حاضر الذهن والبديهة ، وقد اعتمد على المنطق في جميع آراءه[10] ، وانه أشار على قومه أن يقولوا للناس أن محمداً ﷺ ساحراً لأن صفة شاعر أو مجنون لا تنطبق عليه كما زعم البعض[11] ، لذا نزلت فيه الآيات القرآنية الكريمة : ﴿الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْإِنْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ

---

(9) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج4 ، ص1677 .
(10) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص83-84 .
(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص110 .
(2) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج3 ، ص1038 .
(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص252 .
(4) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ/1363م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت – 2000م) ، ج15 ، ص143 .
(5) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج3 ، ص1038 .
(6) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص252 .
(7) ابن الاثير ، الكامل ، ج1 ، ص669 .
(8) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص253 .
(9) الطبري ، تفسير ، ج23 ، ص421 .

الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ ﴾[1] .

واشتغل صفوان بن أمية بتجارة الفضة (النقد والآنية)[2] ، وكان من المطعمين في الجاهلية فصيحاً شريفاً يقال له : سداد البطحاء[3] ، وكانت إليه الايسار (الأزلام) ، وقد بلغت أمواله مع أموال أبيه حداً كبيراً حتى كأنها توزن بالقنطار ، وهو أحد العشرة الذين لهم الشرف في الجاهلية ووصله لهم الإسلام ، وأما مال أبيه أمية بن خلف فقد بلغ عشرين ألف دينار ساهم بها في قافلة أبي سفيان يوم بدر[4] .

وكان العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ من أثرياء مكة وتجارها ، وقد وظف بعض رأس ماله في بعض الصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة[5] ، ومن تجار مكة المعروفين بالامانة ، الى جانب كثرة الرزق ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، فقد كان يخرج للتجارة بماله واموال غيره من الناس ، وبعد عودته يؤدي الى كل ذي حق حقه[6] ، ومن بني سهم عمرو بن العاص بن وائل ، وكان ابو العاص ابن وائل سائساً للخيل والابل ، أما عمرو فقد كان جزاراً[7] ثم اصبح تاجراً يمارس التجارة والترحال فزار الشام ومصر والحبشة مما اعطاه سعة في الاطلاع والمدارك وكان قارئاً وكاتباً بليغاً فصيحاً[8] ، وكان سيداً في قومه ذا مكانة بارزة ومرموقة وذا دهاء وحنكة وقد عُد من

---

(10) سورة المدثر الآيات : 11-16 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص253 .
(2) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص24 .
(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص253 .
(4) المرجع نفسه ، ص254 .
(5) جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص299 .
(6) المرجع نفسه ، ج4 ، ص135 .
(7) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص254 .

دهاة العرب[1] ، ولما أُثري عمرو تملك كُرماً كثيرة في الطائف بلغ عدد شجره ألف ألف عود (مليون كرمة)[2] .

ويوازي الثراء مكانة الرئاسة والشرف ، فقد حازت بعض الشخصيات الثراء العريض الواسع ، وحاز البعض الأخر المكانة العالية بشرف أو رئاسة وسيادة على القوم ، وجمع البعض من قريش بين هذا وذاك ، وحاز بنو قصي من بين بيوتات قريش على الشرف والرئاسة بلا منازع حتى أنهم أحرزوا المآثر الست دون سائر قريش ، فحاز بنو قصي على الحجابة او السدانة والسقاية والرفادة واللواء والرئاسة والندوة[3] ، وقد استمد بنو قصي مكانتهم الروحية من جدهم قصي ، ثم بعد ذلك من جدهم هاشم فنالوا جاه مكة وسيادتها ، أما المال فرغم أن بعضهم اشتغل بالتجارة ومارسها ، إلا أن غالبيتهم كانوا متوسطي الثراء ، فقد مات أبو طالب بن عبد المطلب وحالته المادية ضعيفة ، وتوفي قبله عبد الله بن عبد المطلب ولم يترك لأهله شيئاً رغم أنه كان يتاجر بالتمر من المدينة المنورة (يثرب)[4] ، وقد أهتم بنو هاشم بشؤون الحرم وخدمة الحجيج مما شغلهم فيما بعد عن التجارة ، أما بنو عبد شمس فقد تفرغوا للعمل بالتجارة والسفر الى الشام لأجلها وكانت تجارتهم هذه تشكل مورداً يصرف منه على الحجيج في المواسم[5] .

ويبدو أن هذا التخصص في إدارة مكة بين فرعي بني عبد مناف (هاشم وعبد شمس) كان على اتفاق بينهم على أن يقوم البعض منهم بالعمل في أمور البيت والحج ويعمل الآخرون في التجارة وأمورها واستمروا على هذا الحال حتى وفاة عبد المطلب بن هاشم ، إذ تفرقت رئاسة مكة وإدارة شؤونها الدينية والاقتصادية بين جميع بيوتات قريش .

---

(8) ابو حيان ، البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد والقاضي ، دار صادر ، (بيروت – 1988م) ، ج9 ، ص27 ؛ الابشيهي ، المستطرف ، ص340 .

(9) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص255 .

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص421–422 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص82 .

(3) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص256 .

وقد جمع بعض بني عبد المطلب بين الرئاسة والتجارة ، فهذا العباس بن عبد المطلب كان تاجراً ثرياً يسافر في رحلاته التجارية حتى شبهه احد الباحثين[1] بالملوك من شدة ثرائه ، ومع ذلك فقد تولى واحدة من مفاخر قريش ألا وهي السقاية – كما ذكرنا ذلك سابقاً – وقد وظف أثرياء قريش رؤوس أموالهم في مشاريع مختلفة ، فكان للعباس ابن عبد المطلب أرضاً في الطائف استغلها في زراعة العنب الذي يعصر فيأخذون نبيذه ويجفف بعضه فيصير زبيباً ينبذه في الماء لسقاية الحاج ، واشترى البعض الآخر من أثرياء مكة (الآبار) وامتلكوا المنازل في الطائف يسكنوها عندما يحضرون الى الطائف صيفاً وشاركوا رؤساء ثقيف في التجارة والأرباح[2] .

وعلى الرغم مما وصلت إليه الحالة الاقتصادية في مكة من مستوى راقي وحيوية أوجدت هذه الطبقة الغنية من أهل مكة ، لكن في نفس الوقت وجدت طبقة وسطى تعيش في هذا المجتمع فمالها ودخلها ومعيشتها محدودة ، والى جانب هذه الطبقة وجدت طبقة فقيرة معدمة تشمل جماعات من الفقراء المعدمين الذين عانوا من الربا والاستغلال ، وكان من هذه الجماعات الساخط الثائر على أوضاعه والأخر الساكت على مضض لهذا التناقض الواضح بين أثرياء هانئين وفقراء ناقمين ، وجماعات مترفة منعمة وأخرى في بداوة وخشونة[3] ، وأن المتفحص في حال الطبقات ليجد ان الطبقة الأخيرة وهي طبقة الفقراء تتكون من العبيد والإماء في معظمها ، وكذلك بعض ذوي الحاجات من خارج مكة ، أما القرشيون فإذا صار وكان بينهم من وصل الى هذه الحالة رفعوه بينهم وساعدوه وهو ما نتلمسه في الفقرة التالية .

ثانياً . التكافل الاجتماعي :

إن من الطبائع التي خص الله تعالى بها الإنسان من بين الكائنات الحية هي العيش داخل مجتمعات مترابطة تعتمد على بعضها البعض في الحصول على الخدمات

---

(4) المرجع نفسه ، ص256 .

(1) جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص153 .

(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص257 .

الاجتماعية ، فلذلك نجد أن المجتمع السليم يقوم على أسس من التعاون والتكاتف الذي يؤمن الحياة الحرة الكريمة للفرد والجماعة .

وقد ذكرنا سابقاً أن من عادة أهل مكة أنه اذا افتقر أحدهم واشتدت به الحاجة والعوز خرج هو وعياله الى مكان ناءٍ ونصبوا لأنفسهم خيمة يختبئون فيها ولا يتركونها الى أن يموتوا جميعاً الواحد تلو الاخر ، والسبب الذي يدفع القرشي الى ذلك هو أنهم كانوا يعتبرون الفقر مذلة في مجتمعهم الغني وعزة نفس القرشي وشيمته تمنعه من السقوط الى درك الفقر والمذلة ، لذلك فالموت أهون عليهم من ذلك الموقف ،

فقصة الفتى المخزومي صديق أسد بن هاشم بن عبد مناف – التي أسلفنا الحديث عنها – كانت واحدة من الأسباب التي دعت هاشم بن عبد مناف الى سن الرحلتين وتنظيم تجارة مكة واشترط على قريش ان يكون ربح الأغنياء مشتركاً بينهم وبين الفقراء منهم ، إذ خصصوا جزءاً من ربحهم يوزع على الفقراء منهم ، وبهذا العمل حل هاشم بن عبد مناف مشكلة الفقر والفاقة بين أبناء قبيلة قريش فعاش المجتمع القرشي في بحبوحة وسعة من الرزق[1] .

وإذا ما حللنا عمل هاشم بن عبد مناف المتقدم نلمس فيه الحنكة ومعالجة الأمور وبالذات الوضع الذي عانت منه مكة ، معالجة واقعية فعالة مستنبطة من واقع حياتهم ، فليس هناك مجالات أخرى للعمل فلا زراعة أو فلاحة نظراً لطبيعة الوادي القاحلة ، كذلك فأن انتشار آفة الفقر والحاجة تؤدي الى هلاك المجتمع القرشي واندثار لسؤددهم ومجدهم ، ولذا أتخذ هاشم ذلك العلاج الحاسم وألزم الأغنياء بهذه الضريبة الجزئية مما حقق التكافل والالتزام تجاه المجتمع برقيه حرصاً على أفراد قريش واستمرارية الحياة في مكة ، وفي عمل هاشم هذا دليل على درجة الرقي المتقدم جداً والوعي الكامل لسيد قريش وزعيمها وسمو فكره الإنساني الرائع ، ثم فاعلية أقواله وأعماله وقوة نفوذه وزعامته بين قومه في ظل البداوة بنظرتها السليمة في قلب الوادي المقدس[2] ، ومن ثم فأننا نتلمس بعض الظواهر الايجابية والحسنة والتي تثبت وتؤكد رقي المجتمع القرشي وتكافل أبنائه ومن ذلك :

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص83 ؛ سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص94 .

(2) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص94 .

1. لا يطلق الرجل زوجته فيما لو كبرت في السن أو مرضت أو رغب عنها ، وليس لها معيل خشية عليها من الفقر والتشرد فيبقيها في بيته ويمسكها خوفاً عليها من الضياع وخوفاً على المجتمع الذي ستصبح عالة عليه بعد طلاقها ، ولعلنا نجد ذلك في قصة عبد المطلب بن هاشم مع زوجته سمراء بنت جندب من بني عامر بن صعصعة وهي أولى زوجاته وأم أكبر أبنائه (الحارث)[1] ، فامسكها في بيته رغم كبر سنها ، وأنه تزوج بعدها نساء أخريات .
2. تعاونهم وتآزرهم في الشدائد فإذا لحق أحدهم قريباً كان أو جاراً دَيناَ أو ضائقة لا يتأخرون عن مساعدته وإعانته حتى يقضي دينه ويسدده ويخلصونه من ضائقته نهائياً ، ولقد ذكرنا سابقاً مساعدة أسد بن هاشم لصديقه المخزومي عندما اخبره بعزمهم على الاعتفاد .
3. إن قريش قد بذلت جهداً في سبيل راحة الضيف وإكرامه لأن ذلك من صفات العرب المشهورة ، وتخبرنا المصادر عن العديد من كرماء قريش الذين اشتهروا بالجود والكرم كحاسي الذهب (عبد الله بن جدعان) ، وهاشم بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف وأزواد الركب الذين إذا سافروا فلا يختبز معهم أحد ولا يطبخ وهم : الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد[2] .

ومن الأمور التي تدل على التكافل الاجتماعي وعلى رقي المجتمع القرشي وتقدمه تلك الوظائف التي استحدثها أو طورها قصي بن كلاب للقيام بواجبات الحجيج ، فأقاموا وظيفة الرفادة لطعام الحجيج ، وكذلك السقاية بتأمين الماء لحجاج بيت الله الحرام في بطحاء مكة القليلة الماء ، وكذلك فأن عقد حلف الفضول يعد من مفاخر قريش لما له من عمل نبيل في إرجاع الحقوق الى أهلها ، وقد تكلمنا على هذه الوظائف في بداية الفصل .

---

(3) العصامي ، سمط النجوم ، ص418 .

(1) ابن حبيب ، المنمق ، ص369 .

ثالثاً . العلوم والمعارف :

وصف العصر السابق للإسلام بـ(العصر الجاهلي) ، ولا يقصد بذلك الجهل المطلق والمطبق على جميع نواحي الحياة في ذلك الوقت ، وإنما اطلق هذا الوصف على الجهل بأمور الدين وكيفية الوصول الى العبادة الصحيحة للخالق جل وعلا فقالوا : ﴿آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ﴾[1] .

أذن كانت للعرب علوم ومعارف في ذلك الزمان برعوا فيها ونافسوا بها أقرانهم من الأمم الأخرى ، وأول هذه العلوم والمفاخر التي اشتهروا فيها الشعر العربي ، فيذكر الدكتور جواد علي : أن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فأنها كانت لا تقر لها به ، حتى ظهور عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، فأقرت لها الشعراء بالشعر ولم تنازعها ، ثم أن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية فأضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الإسلام ، كذلك فأن الباحث في الشعر الجاهلي لا يجد بين الشعراء البارزين من أصحاب المعلقات شاعراً واحداً من قريش ، كذلك بين شعراء الطبقات المتقدمة من فحول الشعراء الذين قدمهم علماء الشعر على غيرهم شاعراً من أهل مكة[2] .

إلا أن ذلك لا يعني أن قريش لم ينشأ فيها أو يخرج من أبنائها شاعر له مكانته بين الشعراء ، فقد ذكرنا سابقاً أشعاراً لعبد الله بن الزبعري في مدح آل عبد مناف بن قصي ، وكذلك أشعاراً للزبير بن عبد المطلب ، وقد ذكر الدكتور جواد علي أن القائمة التي أحصاها جرجي زيدان للشعراء الجاهليين قد تضمنت أسماء عشرة شعراء من قريش[3] ، وكذلك فأن كتب السيرة والمغازي والأخبار قد ذكرت جملة من الأشعار تنسب الى رجال من قريش ، فمن ذلك ما نسب الى عبد المطلب بن هاشم عند غزو الأحباش لمكة[4] ، وأشعار أخرى متفرقة نسبت الى رجال من قريش ، وأن الكلام في هذا المضمار يطول ويتشعب ، لكن اكتفينا بهذا المقدار ، وكذلك القراءة والكتابة ، فقد كان من بين رجال

---

(2) سورة الزمر الآية : 3 .

(1) المفصل ، ج9 ، ص694-695 .

(2) المرجع نفسه ، ص696 .

(3) ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص50 .

قريش ونسائها من يعرف القراءة والكتابة ، بل وتعلم لغات أجنبية غير اللغة العربية الأم ، فتحدثنا كتب ومصادر التاريخ أن ورقة بن نوفل قد قرأ وكتب بالعبرانية[1] ، وكذلك فأننا نجد قريشاً قد عقدت الإيلاف إذ أخذ بنو عبد مناف تلك العهود والمواثيق من كسرى الفرس وقيصر الروم والنجاشي في الحبشة ، وكذلك من ملوك اليمن ، فهذه العهود والمواثيق تحتاج الى من يعرف القراءة والكتابة ليعلم ما فيها ، وهذا دليل على ان من أخذها كان له علم بمحتواها ، وكذلك الحال فيمن تعرض عليه هذه العهود فلا يعقل أن يسلموا لأمر ينقل مشافهة حتى يكتب وإن كتب يحتاج الى من يقرؤه ، وهذا يبين أن القبائل العربية التي تنتشر على طول الطرق التجارية فيها من يعرف القراءة والكتابة ولو بشكل محدود .

ومن ثم فأنه قد تولى عملية التعليم بعض الرجال الذين كانوا من أشراف الناس وهم كثير ، أما رأي (ول ديورانت) القائل : " أنه لم يكن في قبيلة قريش إلا سبعة عشر يقرؤون ويكتبون "[2] ، فيبدو أنه رأي ضعيف إذ لا يعقل أن يكون في قبيلة قريش كلها هذا العدد الضئيل من المتعلمين ومن ثم فأننا لو تتبعاً كتب التأريخ لو جدنا العدد الكثير من الرجال والنساء ممن تعلموا القراءة والكتابة ولا يخفى على أحد منصور بن عكرمة[3] ، كاتب صحيفة المقاطعة وكذلك الحال بالنسبة لكتاب الوحي كمعاوية بن أبي سفيان[4] وغيرهم كثير .

وأما الدكتور خضير الجميلي فيشير الى أن عدد الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة عند ظهور الإسلام في مكة وحدها قد بلغ (40) شخصاً من قريش وحلفائها[5] ، أما الوقت الذي دخلت فيه الكتابة الى مكة فلا يعلم بوجه التحديد ، لكن صاحب العقد الفريد يقول : " إن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ، وكان أول

---

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص223 .

(1) ول ديورانت ، وليام جميس (ت1402هـ/1981م) ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود وآخرون ، دار الجيل ، (بيروت – 1988م) ، ج13 ، ص199 .

(2) ابن الأثير ، الكامل ، ج2 ، ص61 .

(3) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج34 ، ص305 .

(4) قبيلة قريش ، ملحق رقم (12) .

من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه "[1] ، ومن هذا نستدل على أن الكتابة قديمة في مكة وموجودة منذ نشأة المدينة ، ثم استمر العمل بها فترة معينة ، لكن بسبب سيطرة قبائل من جنوب شبه الجزيرة العربية على مكة أدى الى تحجيم هذه اللغة والكتابة الإسماعيلية حتى مجيء قصي بن كلاب الذي أعاد كل شيء الى نصابه ، وبالنسبة للخط المستخدم في هذه المدينة (مكة) يشير البلاذري الى أن سفيان بن أمية بن عبد شمس قد تعلمه من أهل الحيرة[2] .

ومما اشتهرت به قريش من العلوم والمعارف علم الأنساب وأبرز من كان له معرفة بذلك أبو بكر الصديق ﷺ [3] ، ويرى الدكتور شاكر مصطفى أن هذا العلم هو جزء من التأريخ ويقول عنه : " وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز ، وإنها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها ... وبالرغم من أنها أكثر تأريخية من القصص باعتبارها شكلاً من أشكال التعبير التأريخي يسجل أطار التكون القبلي ، إلا أن المعلومات النسبية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة "[4] ، أما الجزء الآخر من المادة التأريخية عند عرب الحجاز قبل الإسلام فيقول عنه : " إن المادة التأريخية الجاهلية نوعان : بعضها قصص ديني وثني أو يهودي او مسيحي نقله الأحبار والرهبان معهم ، أو أخبار من التأريخ الفارسي كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي ﷺ في القرآن ، وما يحكى من أخبار الأولين ، أما الآخر فروايات جماعية بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي وتحمل أسم (الأيام) وتضم ذكريات التأريخ البدوي للقبائل ... وما من شك في أن هذا القصص يحمل الكثير من الحقائق التأريخية "[5] .

---

(5) ابن عبد ربه ، ج4 ، ص239 .

(6) فتوح البلدان ، ص453 .

(1) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج1 ، ص517 .

(2) مصطفى ، شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ط3 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1983م) ، ج1 ، ص55 .

(3) المرجع نفسه ، ص54 .

ومن ثم فأن أهل مكة أرخوا بالأحداث الهامة والعظيمة في حياتهم ، فقد أرخوا بعام الغدر[1] ، ثم بعد غزو الأحباش لمكة أرخوا بذلك العام وسموه عام الفيل[2] ، كما أرخوا ببناء الكعبة ، وكذلك أرخوا بالفجار[3] ، وكانوا قبل ذلك قد أرخوا بموت كعب بن لؤي يقول الجاحظ : " ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة على البر ، فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤي الى عام الفيل "[4] ، وكذلك أرخوا بموت هشام بن المغيرة المخزومي ، وأرخوا كذلك بحلف الفضول[5] ، وكانت هذه عادة معظم القبائل العربية أن يؤرخوا بالحوادث الجسام ذات التأثير في المجتمع .

ومن العلوم والمعارف الأخرى : القيافة وهي نوعان : قيافة الأثر أي قص أثر الماشي في التراب والجو والماء ، وابرز من اشتهر بذلك بنو مدلج وخثعم وخزاعة وقريش[6] ، وقد قافت قريش أثر النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق ﷺ عند خروجهما يوم الهجرة[7] ، وكان الذي اقتفى أثرهما كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة الخزاعي[8] ، أما النوع الثاني فهو ما يسمى بالعيافة وهي تختص بقيافة البشر وتسمى أيضاً الفراسة ، وقد برع في هذا المجال الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، والعيافة نوع من الحدس والظن[9] ، وهي تشبيه الولد لآبيه ونسبته الى قومه[10] ، وكذلك عرفوا الريافة والاستدلال على مواطن الماء برائحة التربة أو نباتاتها[11] .

---

(4) ابن حبيب ، المحبر ، ص7 .
(5) المصدر نفسه ، ص7 .
(6) الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص252 .
(7) البيان والتبيين ، ج1 ، ص283 .
(1) المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص209-211 .
(2) الجاحظ ، الرسائل الأدبية ، تحقيق علي ابو ملحم ، ط2 ، مكتبة الهلال ، (بيروت – 2002م) ، ص494 .
(3) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص149 .
(4) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص236 .
(5) الزبيدي ، تاج العروس ، ج24 ، ص197 .
(6) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص154 .
(7) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص103 .

كذلك بعض علوم الطب البدائية فقد تعلموها اعتماداً على التجربة والخبرة ، كما استفادوا من خصائص الأعشاب في التداوي ، واستعملوا في تطبيبهم الحجامة والفصد والكي ، فقد روي عن حكيم بن حزام انه قال : " مما علمنا من طب العرب في الجاهلية ترك الحجامة للشيخ "[1] ، وكذلك عرفوا ما للعسل من أهمية فاستعملوه غذاءً ودواءً لهم ، إذ جعلوا منه علاجاً للفم في بعض الحالات ، فعند مولد الطفل يدلكون حنك الطفل بنقطة عسل على طرف الإبهام ثم يقومون يومياً بوضع نقطة عسل في فمه ولعدة مرات للتغذية وتطهير الفم[2] ، وقد أثر عن النبي ﷺ انه حنك عبد الله بن الزبير أول مولود في الإسلام بعد الهجرة الى المدينة بتمرة لاكها في فهمه ثم أخذها وحنك بها المولود[3] كعادتهم في مكة .

وقد مارست قريش بعض الطرق الوقائية خشية العدوى بالأمراض فمارست العزل الطبي لمرضاها ، إذ أخرجت الشاعر (أبو عزة) عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهيب بن حذافة من مكة لبرص أصابه فكان رجال مكة لا يجالسونه ولا يواكلونه ، ثم حكموا عليه أن يبقى خارج حدود الوادي ، فظل يعيش في شعاب مكة وأوديتها ، ثم اخذ شفرة فوجأ بها بطنه فسال منه ماء اصفر فشفي ثم عاد الى مكة[4] ، وقد ذكر أن هاشم بن عبد مناف وأخاه عبد شمس كانا توأمين وعند ولادتهما كان إصبع احدهما ملتصقاً بجبهة الآخر ، ففصلوا الإصبع عن الجبهة وسال الدم[5] ، مما يدلل على معرفتهم ببعض الطرق الجراحية البسيطة .

كما عالجوا إصابات العين الحولاء بالنظر الدائم الى حجر الرحى في دورانه ، وكذلك عالجوا ضعف البصر بأكل سنام وكبد الجمل بعد قليه ، كما عالجوا بعض الأمراض الجلدية ، ومارسوا العلاج بالرقى والتمائم وتعليق الخرزات ونحو ذلك ، ومنعوا الملدوغ

---

(8) الألبيري ، ابو مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت238هـ/853م) ، (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب ، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) ، ص19 .

(9) سلامة ، قريش قبل الاستلام ، ص103 .

(1) البخاري ، التاريخ الكبير ، ج5 ، ص6 .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج3 ، ص174 .

(3) الفاسي ، شفاء الغرام ، ج2 ، ص103 .

من النوم لمنع سريان السم في سائر البدن ، واعتقدوا في الجن والأرواح الشريرة بأنها تسبب الأمراض التي لا تشفى إلا بالتمائم والسحر ، وأضافوا الاعتقاد ببعض الظواهر واعتقدوا أنها تكون شافية ، وحاولوا معالجة بعض الأمراض النفسية[1] .

هذه جملة من علومهم ومعارفهم وما بقي ولم نذكره أكثر وأعظم ، فالشعر مفخرة من مفاخر العرب عامة وقريش خاصة ، وكذا النثر والحكم والأمثال وغيرها .

رابعاً . المعاملات :

نظراً لاشتغال أهل مكة في ممارسة الأمور التجارية بتفاصيلها فقد ارتبطت بها أنواع من المعاملات التي تنظم هذه العملية وتكون جزءاً منها ، ومن هذه المعاملات (الصيرفة) ، فقد استفاد أهل مكة من موقعهم المتوسط بين الإمبراطورية الساسانية التي تستعمل الفضة ، والإمبراطورية البيزنطية التي كانت تستخدم العملة الذهبية فأخذوا يعملون بالصيرفة[2] ، وأن العرب قبل الإسلام كانوا يتعاملون بنقود قسم منها ضرب في بلادهم من قبلهم ، وقسم آخر ضرب في دول معاصرة ، إذ كانت ترد الدنانير إليهم من الدولة البيزنطية ، بينما تردهم في الأكثر الدراهم الساسانية وفي الأقل الدراهم الحميرية ، وبما أنها كانت مختلفة الأوزان فأنهم أحياناً لم يكونوا يتعاملون بهذه النقود عدداً بل بوزنها ، فكان لهم أوزانٌ خاصة[3] ، يقول البلاذري : " كانت لقريش أوزان في الجاهلية فدخل الإسلام فأقرت على ما كانت عليه ، كانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً ، وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً ، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير ، وكان لهم وزن الشعيرة وهو واحد من الستين من وزن الدرهم ، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين

---

(4) سلامة ، قريش قبل الاسلام ، ص105 .

(1) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص136 .

(2) الاعظمي ، عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد – 1988م) ، ص144 .

درهماً ، والنَّشُّ وزن عشرين درهماً ، وكانت لهم النَّواة وهي وزن خمسة دراهم فكانوا يتبايعون بالتِّبر على هذه الأوزان ، فلما قدم الرسول ﷺ مكة أقرهم على ذلك "[1] .

وكان لاستقلال مكة اثر في إعطائها حرية واسعة في مبادلة العملة بدون قيد ، إذ لم يفرض على العملة سعر رسمي بل كانت تقدر قيمتها بحسب وزنها باعتبارها معدناً ، هكذا كانت النقود لاسيما الكميات الكبيرة منها ، وأغلب ما ورد في القرآن الكريم عن الثروات كان يقدر بالوزن لا بالعدد كالقنطار والمثاقيل ، ثم لا ريب انه كان للدينار البيزنطي أهمية كبرى لدقة عياره وسكه وأهميته في التجارة الخارجية وتحديداً مع الهند ، إذ كان يستخدم الذهب فقط في التبادل ، ولم تكن مهمة الصراف سهلة إذ كان عليه أن يكون ذا معرفة بالمعادن ليميز جيدها من رديئها ، كما كان عليه أن يعرف وزنها وأن يعرف الأسعار العالمية لكي يقدر سعر التبادل وهذا أمر ليس بالسهل[2] .

ومن الأمور التي كان يتعامل بها العرب قبل الإسلام الربا ، فقد كان الأثرياء يعملون بالتجارة أما بمفردهم أو يكوّنون شركات ولم تقتصر أعمالهم على نوع واحد من التجارة بل حيثما وجدوا الربح ، وفي كثير من الأحيان يقومون بالإقراض ولم يكن لهم على إقراضهم ضمان إلا الثقة ، إذ لم تكن هناك سلطة تجبر المدين على دفع دينه وهذا قد يدفع المدين على العصيان وعدم الدفع ، لذلك قلما كانوا يقرضون البدو لصعوبة استرجاع دينهم منهم ، هذا الى أنهم كانوا يفرضون فوائد عالية على ديونهم ، لذلك حرم الله تعالى التعامل بالربا فقال : ﴿الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ﴾[3] ، وقد أدى تعامل التجار بالربا الى وصفهم بأبشع الأوصاف ، فقالوا : إن التجار هم الفجار[4] .

خامساً . صور من عادات وتقاليد أهل مكة :

---

(3) فتوح البلدان ، ص449 .

(1) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص137 .

(2) سورة آل عمران الاية : 130 .

(3) العلي ، تاريخ العرب القديم ، ص138 .

كان لمجتمع قريش عادات اجتماعية مثله كمثل بقية المجتمعات بسلبياتها وإيجابياتها ، وانفردت بعادات خاصة بها كتلك العادات المرتبطة بأمور الحج وخدمة البيت ، وقد شكلت مجموع تلك العادات جزءً من تراث هذه المدينة المقدسة الذي له اثر على الحياة الاقتصادية .

وذكرنا جملة من مآثر قريش ومكارمها والتي كان أكبرها وأعظمها السقاية والرفادة ، فقد اعتادوا على خدمة الحجيج وحرصوا على توفير الطعام والماء لهم ، وأقاموا السقايات على الطرق في الموسم لسقاية الحجيج والناس عامة[1] ، ولسنا هنا في باب إعادة ما ذكرناه .

وتستحكم العادة بالمجتمع فترسخ بين أفراده ويخضعون لها ولا يجرؤ فرد منهم على مخالفتها حتى جرت بينهم كالقانون الصارم ، ومن ذلك تعارفوا على قطع يد السارق ، وان الروايات تظهر إن هذه العقوبة سنت في وقت لم يكن بعيد عهد عن الإسلام ، فيذكر أن أول من سنها هو عبد المطلب ومنهم من يرجع سنها الى الوليد بن المغيرة فيقال : أنه أول من قطع يد السارق[2] .

يقول ابن حبيب : " وقطعت قريش رجالاً في الجاهلية في السرقة منهم وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم سرق في الجاهلية فقطعت يده ، وقطع عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم وقطع مراراً ثم سرق فرجم حتى مات ، والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وعبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم قطع في سرقة ابل ، ومدرك بن عوف بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، ومليح بن شريح ابن الحارث بن أسد ، ومقيس بن قيس بن عدي السهمي وكانا سرقا حلي الكعبة في الجاهلية "[3] ، ويبدو أن هذه الإجراءات كان القصد منها هو المحافظة على الأعراف الاقتصادية وإشاعة الأمان على التجارات والأموال داخل مكة .

---

(4) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص75 .

(1) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص55 .

(2) المحبر ، ص328 .

ومن الأمور التي تعارفوا عليها أن دية القتيل عشرٌ من الإبل ، لكن بعد فداء عبد الله بن عبد المطلب صارت دية القتيل مائة من الإبل تسلم لوليه[1] ، وكان سادة مكة يتولون تنفيذ الأحكام ، وقد تولى بنو سهم حكومة قريش – كما ذكرنا سابقاً – ولم تقتصر هذه الحكومة على أهل مكة وحدهم بل تشمل من يجاورها ومن يفد الى مكة من غير قريش أي أن بني سهم تولوا منصب قضاة مكة وحكامها يحتكم إليهم القرشيون وغيرهم ممن يؤم مكة ، وشرعت قريش بنشر العدل والنظر في المظالم وهذا ما نتلمسه في حلف الفضول وأسبابه .

ومن الأمور المعتادة عند أهل مكة الاعتناء بالمظهر الخارجي ، فقد اهتم القرشيون بمظهرهم وحسن هندامهم فأقتنوا الملابس الجميلة الغالية الثمن ، بل اتخذوا كل ما يزين في الملبس خاصة ، فأتخذوا العمائم للرأس ، لبسها بنو عبد المطلب فزادتهم هيبة فوق جسامتهم وشخصياتهم ، ولبس أهل الجزيرة عامة الثياب الطوال واستعملوا غطاء الرأس وأحياناً يستفاد منه لتغطية جزء من الوجه عند التلثم (اللثام) وفي لباسهم هذا تناسب لبيئتهم ، ففي ذلك حماية للجسد والوجه من لفح حرارة الشمس واتقاء لذرات الرمال المتطايرة مع هبوب الرياح[2] .

ومن الأمور التي اعتاد عليها القرشيون أنهم استباحوا لعب الميسر وشرب الخمر ، فقد لعبوا القمار وداوموا عليه ردحاً من الزمن[3] ، ويبدو أن نهجهم هذا متأتٍ من حالة الرفاه الاقتصادي الذي كانوا يعيشونه ثم انتبهوا الى أضراره فحرمه بعضهم وامتنع عنه ، وقيل ان أول من حرمه من قريش الوليد بن المغيرة وكان أول من خلع نعليه عند دخول الحرم ثم خلع الناس بعده[4] ، وممن حرمها أيضاً عثمان بن مظعون بن حبيب من بني سهم وكان يقول : لا اشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني[5] ، وكذلك الحال بالنسبة لقيس بن عاصم المنقري وهو من سادات الناس في الجاهلية والإسلام[6] ،

---

(3) السهيلي ، الروض الانف ، ج1 ، ص176 .

(1) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص134–135 .

(2) ابن قتيبة ، المعارف ، ص552 .

(3) المصدر نفسه ، ص552 .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج3 ، ص190 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص176 .

وحرمها أناس من سادات مكة وأشرافها لما لها من أثر سيء على الشخص وعلى المجتمع[1] .

ومما تقدم يتضح لنا أن هذه النخبة من المجتمع القرشي قد قاموا بإصلاح اجتماعي مبتدئين بأنفسهم لعل غيرهم يهتدي بهم ، وان للمجتمع القرشي ظواهر اجتماعية متعددة فقامت المنادمات والمناظرات وتفاخروا بالآباء والأجداد وتفاخروا بالاحساب والأنساب والشرف والسيادة والكثرة العددية وبالثروة والأموال .

وكان لهذا اثره في بناء الشخصية الاقتصادية لأهل مكة وبالتالي تكوين نظام اقتصادي له خصوصيته في تكوين حكومة مستقرة لها كيانها المستقل عما حولها من الدول والامبراطوريات فكان ذلك من اثر الوازع الاقتصادي في بناء ونشأة الحكومة المكية .

---

(6) سلامة ، قريش قبل الإسلام ، ص126 .

الخاتمة

بعد إنجاز هذا الدراسة المعنونة **(اثر الوازع الاقتصادي في نشأة حكومة مكة قبل الإسلام)** فقد توصلنا الى جملة من النتائج كان من أهمها :

- أن مدينة مكة المكرمة هي واحدة من أقدم مدن العالم على وجه المعمورة ، وإنما شاع اسمها وعرفت بعد أن اسكن إبراهيم عليه السلام زوجه وأبنه فيها ، ثم أصبحت مقصد كل العرب بعد أن أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالنداء للحج .
- إن حكومة مكة قد تأسست على يد قصي بن كلاب بعد أن وضع لها الأسس والقواعد التي تستند إليها ، وبعد أن أنزل قريش بطحاء مكة مستنداً في ذلك على الأسس القبلية التي تجمع قريش مع بقية قبائل شبه الجزيرة العربية .
- إن مكة المكرمة بعد أن تولى أمورها قصي بن كلاب أصبحت المدينة التجارية الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، وذلك بعد أن وطد الأمن فيها نتيجة لما اتبعه من سياسة مع القبائل المحيطة ، فضلاً عما تتمتع به مكة من موقع مهم على الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية لاسيما بين بلاد الشام واليمن .
- لقد سار أبناء قصي على النهج نفسه الذي سار عليه أبوهم في السياسة الداخلية ، بل تعدوا ذلك الى التوسع في هذه السياسة القائمة على المصالح المشتركة الى خارج شبه الجزيرة العربية فعقدوا المعاهدات التجارية (الإيلاف) مع الدول الإقليمية المجاورة .
- كان وقوف قريش على الحياد في الصراع الدائر بين الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية قد جعلها مركزاً آمناً للتبادل التجاري ، فقصدتها القوافل التجارية من شتى البقاع وأصبحت بذلك المركز الاقتصادي الأول والأقوى في المنطقة .
- تتمتع شبه الجزيرة العربية بشبكة واسعة من طرق المواصلات التي لها الدور الأبرز في عملية التبادل التجاري ، وأن مكة قد شكلت مركزاً دينياً واقتصادياً مهماً بين هذه الطرق نظراً لموقعها المتميز فضلاً عما تتمتع به من قداسة دينية جعلتها مقصد العرب ، وهذا بطبيعة الحال من العوامل المساعدة في عملية الازدهار والتقدم الاقتصادي .

- عملت قريش على ربط العمل التجاري بالوظائف الدينية عندما جعلت بعض هذه الوظائف بيد القبائل العربية القوية ، وهي خطوة على جانب من الأهمية في دعم ما عقدته من تحالفات سابقة ، وكذلك حفاظاً على إيلافها التجاري ومصالحها الاقتصادية .
- إن أسواق شبه الجزيرة العربية الموسمية كانت نتيجة لحركة المواصلات بين أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وأن أعظمها قد ارتبط بموسم الحج دلالة على الأهمية الدينية بالنسبة لاقتصاد شبه الجزيرة العربية .
- إن الوظائف الدينية في مكة قد وزعت توزيعاً يضمن الاستقرار لجميع سكانها الأمر الذي يعود على مكة عموماً بالرفاهية والرخاء الاقتصادي ويحافظ على المكتسبات التي تحققت بعد وصول قريش الى سدة الحكم في مكة .
- ارتبطت بالحج آثار اقتصادية واجتماعية بالنسبة للعرب عامة وأهل مكة بشكل خاص ، وهو ما نتلمسه من قيام أسواقها الثلاثة بالتزامن مع موسم الحج ، كذلك ما يمكن أن يحققوه لأنفسهم من منافع عن طريق البيع والشراء والتبادل مع الوافدين عليها وما يقدمه الحاج للكعبة من هدايا ونذور ، وهو ما نتلمسه أيضاً في الأشهر الحرم ، إذ لولا وجود هذه الأشهر لما استطاعوا التحرك والاتصال والتبادل فيما بينهم بأمور التجارة والاقتصاد والشعائر الدينية ، ونجد هذا الترابط بين الأمور الدينية والاقتصادية كذلك في حملة أبرهة الحبشي على مكة وكذلك فيما ابتدعته قريش من أمر الحمس فضلاً عن أنساء الشهور .
- إن الأمور الاقتصادية قد ارتبطت بالحياة الاجتماعية لأهل مكة ، وهذا ظاهر من توزيع الثروة بين أغنياء مكة وفقرائها ، والذي يعد صورة من صور التكافل الاجتماعي في هذا المجتمع المثالي الذي يمتلك هذا النوع من العادات والتقاليد الى جانب ما يملكه من علوم ومعارف .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قائمة ألمصادر

القرآن الكريم

أولاً . المصادر الأولية :

❁ الابشيهي ، ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد بن منصور (ت852هـ/1448م)

1. المستطرف في كل فن مستظرف ، عالم الكتب ، (بيروت – 1998م) .

❁ الآبي ، ابو سعد منصور ابن الحسين الرازي (ت421هـ/1030م)

2. نثر الدرر في المحاضرات ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2004م) .

❁ ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ/1209م)

3. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، (بيروت – 1979م) .

❁ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م)

4. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل احمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996هـ) .

5. الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1987م) .

❁ الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله الحسيني الطالبي (ت560هـ/1164م)

6. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1988م) .

❁ الازدي ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ/933م)

7. جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1987م) .

8. الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، (بيروت – 1991م) .

❁ الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت250هـ/864م)

9. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : عبد الملك عبد الله دهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2003م) .

❁ ابن أبي أسامة ، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي (ت282هـ/896م)

10. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تحقيق : حسين احمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، (المدينة المنورة – 1992م) .

❁ الاستانبولي ، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت1127هـ/1715م)

11. روح البيان ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) .

❁ الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت346هـ/957م)

12. المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1937م) .

❁ الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت356هـ/966م)

13. الأغاني ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1959م) .

❁ الألبيري ، ابو مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت238هـ/853م)

14. (مختصر في الطب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب ، تحقيق : محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) .

❁ الألوسي ، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ/1854م)

15. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) .

❁ الانباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت328هـ/939م)

16. الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1992م) .

❁ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (256هـ/869م)

17. التاريخ الكبير ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – د.ت) .

18. الجامع الصحيح ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار ابن كثير ، (بيروت – 1987م) .

❁ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م)

19. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، (الرباط – 1996م) .

❁ البعلي ، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي (ت709هـ/1309م)

20. المطلع على أبواب الفقه ، تحقيق : محمد بشير الادلبي ، المكتب الإسلامي ، (بيروت – 1981م) .

❁ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1338م)

21. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) .

❁ البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت1093هـ/1682م)

22. خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1997م) .

❁ ابن بكار ، الزبير بن عبد الله القرشي الاسدي المكي (ت256هـ/870م)

23. جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة – 1961م)

❁ البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م)

24. المسالك والممالك ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 1992م) .

25. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط3 ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1996م) .

❁ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892هـ)

26. أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، (القاهرة – 1959م) .

27. فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله وعمر انيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، (بيروت – 1987م) .

❁ البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي (ت440هـ/1047م)

28. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ، ط2 ، عالم الكتب ، (بيروت – 1982م)

❁ البيهقي ، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت458هـ/1066م)

29. دلائل النبوة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1984م) .

30. السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط3 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2003م) .

❁ الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت279هـ/892م)

31. الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت – 1998م).

❁ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1038م)

32. التمثيل والمحاضرة ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، (القاهرة – 1981م)

33. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد بك أبو شادي ، مطبعة الظاهر ، (القاهرة – 1908م) .

❁ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي (ت255هـ/868م)

34. البيان والتبيين ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت – 2002م) .

35. الحيوان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2003م) .
36. الرسائل الأدبية ، تحقيق علي ابو ملحم ، ط2 ، مكتبة الهلال ، (بيروت – 2002م) .
37. رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – 1964م) .

❁ ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن احمد الكناني الأندلسي (ت614هـ/1217م)

38. رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت – د.ت) .

❁ الجرجاني ، الشريف علي بن محمد بن علي (ت816هـ/1413م)

39. التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1983م) .

❁ ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)

40. مثير العزم الساكن الى أشرف الأماكن ، تحقيق : مرزوق علي إبراهيم ، دار الراية ، (دمشق – 1995م) .
41. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1992م) .

❁ الجوهري ، أبي نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت398هـ/1002م)

42. الصحاح في اللغة ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، دار العلم الملايين ، (بيروت – 1987م) .

❁ الحازمي ، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت548هـ/1188م)

43. الأماكن ، تحقيق : حمد محمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، (الرياض – 1994م) .

❁ ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي(ت354هـ/965م)

44. الثقات ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن – 1973م) .

45. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، تحقيق : عزيز بك وجماعة من العلماء ، ط3 ، دار الكتب الثقافية ، (بيروت – 1996م) .

❁ ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت245هـ/859م)

46. المحبر ، تحقيق : ايلزة لبتن شنيتر ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت – 1942م) .

47. المنمَّق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد احمد فاروق ، عالم الكتب ، (بيروت – 1985م) .

❁ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر (ت852هـ/1448م)

48. الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1994م) .

❁ ابن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت656هـ/1258م)

49. شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة – د.ت) .

❁ ابن حديدة ، ابو عبد الله جمال الدين محمد بن علي بن احمد بن حسن الانصاري (ت783هـ/1381م)

50. المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله الى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، تحقيق : محمد عظيم الدين ، عالم الكتب ، (بيروت – د.ت) .

❁ ابن حزم ، محمد بن علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1063م)

51. جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، (القاهرة – 1962م) .

❁ الحلي ، ابو البقاء هبة الله محمد بن نما (توفى القرن السادس الهجري)

52. المناقب المزيدية في أخبار الملوك الاسدية ، تحقيق : محمد عبد القادر خريسان وصالح موسى درادكة ، مكتبة الرسالة الحديثة ، (عمان – 1984م) .

❁ الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م)

53. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، (بيروت–1984م) .

❁ ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت241هـ/855م)

54. مسند الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الارناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 2001م) .

❁ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت367هـ/961م)

55. صورة الأرض ، ط2 ، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر ، (بيروت – 1992م) .

❁ ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت400هـ/1010م)

56. الإمتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية ، (بيروت – 2003م) .

57. البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد والقاضي ، دار صادر ، (بيروت – 1988م) .

❁ الخازن ، ابو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت741هـ/1341م)

58. لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، (بيروت – 1979م) .

❁ ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن عبد الله (ت300هـ/912م)

59. المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1889م) .

❁ الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي (ت388هـ/988م)

60. غريب الحديث ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، دار الفكر ، (بيروت – 1982م) .

❁ ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي ، (ت808هـ،1405م)

61. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذة ، دار الفكر ، (بيروت – 1989م) .

❁ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر الاربلي(ت681هـ/1282م)

62. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت – 1900م) .

❁ خليفة بن خياط ، أبو عمرو بن خليفة العصفري البصري (ت240هـ/854م)

63. طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت – 1993م) .

❁ الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف البلخي (ت387هـ/997م)

64. مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – د.ت) .

❁ ابن أبي خيثمة ، أبو بكر احمد بن زهير بن حرب (ت279هـ/892م)

65. التاريخ الكبير ، تحقيق : صلاح فتحي هلل ، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، (القاهرة – 2004م) .

❁ الديار بكري ، حسين بن محمد الحسن ، (ت966هـ/1558م)

66. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، (بيروت – د,.ت) .

❁ الذهبي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م)

67. سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف : شعيب الارناؤوط ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1985م) .

❁ الرازي : فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي (ت606هـ/1210م)

68. مفاتيح الغيب ، ط3 ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1999م) .

❁ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (666هـ/1267م)

69. مختار الصحاح ، ط2 ، مكتبة لبنان ناشرون ، (بيروت – 1995م) .

❁ الراغب الأصفهاني ، ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت502هـ/1108م)

70. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بيروت – 1999م) .

❁ ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/902م)

71. الأعلاق النفيسة ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1988م).

❁ الزبيدي ، أبو الفيض محمد بن مرتضى الحسيني الحنفي (ت1205هـ/1790م)

72. تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المحمدية ، (القاهرة – 1887م) .

❁ الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت236هـ/850م)

73. نسب قريش ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط3 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) .

❁ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (ت538هـ/1143م)

74. أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) .

75. الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق : احمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 1999م) .

76. الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعرفة ، (بيروت – بلا ت) .

❁ ابـن سـعد ، أبـو عبـد الله محمـد بـن سـعد بـن منيـع البصـري البغـدادي (ت230هـ/844م)

77. الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1990م) .

❁ ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك العنسي المدلجي (ت685هـ/1286م)

78. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، (عمان – د.ت) .

❁ ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ/839م)

79. غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد – 1964م) .

80. الغريب المصنف ، تحقيق : صفوان عدنان داوّدي ، الجامعة الإسلامية ، (المدينة المنورة – 1996م) .

❁ السـمعاني ، أبـو سـعيد عبـد الكـريم بـن محمـد بـن منصـور التميمي(ت562هـ/1166م)

81. الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط2 ، مكتبة ابن تيمية ، (القاهرة – 1980م) .

❁ السمهودي ، أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي (ت911هـ/1505م)

82. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) .

❁ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت581هـ/ 1185م)

83. الروض الأنف ، تحقيق : مجدي بن منصور بن سيد الشورى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ/1065م)

84. المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) .

85. المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 1996م) .

❁ السيرافي ، ابو زيد الحسن بن زيد (ت بعد 330هـ/941م)

86. رحلة السيرافي ، تحقيق : عبد الله الحبيشي ، المجمع الثقافي ، (ابو ظبي – 1999م) .

❁ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)

87. الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، مكتبة اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق – 1985م).

88. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) .

❁ الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي (ت842هـ/1535م)

89. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1993م).

❁ الشربيني ، محمد بن احمد الخطيب (ت977هـ/1569م)

90. السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ/1363م)

91. الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت – 2000م) .

❁ الضبي ، العباس بن الوليد بن بكار (ت222هـ/837م)

92. أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق : سكينة الشهابي ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1983م).

❁ ابن الضياء ، أبو البقاء محمد بن احمد المكي الحنفي (854هـ/1450م)

93. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) .

❁ الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب (ت360هـ/971م)

94. المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – 1983م) .

❁ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م)

95. تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) .

96. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : صدقة حميد العطار ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – د.ت) .

❁ الطريحي ، فخر الدين بن محمد النجفي (ت1085هـ/1674م)

97. مجمع البحرين ومطلع النيرين ، تحقيق : احمد الحسيني ، مكتبة الثقافة العراقية ، (النجف – 1961م) .

❁ ابن ظهيرة ، جمال الدين بن أبي بكر بن علي القريشي (ت986هـ/1578م)

98. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة – 1921م) .

❁ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عاصم النمري (ت463هـ/1070م)

99. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت – 1992م) .

100. الانباه على قبائل الرواة ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، (بيروت – 1985م) .

❁ ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/939م)

101. العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد الترحيبي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1983م) .

❁ عبد القاهر البغدادي ، أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي(ت429هـ/1037م)

102. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، ط2 ، دار الأفاق الجديدة ، (بيروت – 1977م) .

❁ أبو عروبة ، الحسين بن أبي معشر محمد بن مودود الحراني (ت318هـ/930م)

103. الأوائل ، تحقيق : مشعل بن باني الجبرين المطيري ، دار ابن حزم ، (بيروت – 2003م) .

❁ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م)

104. تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر ، (بيروت – 1995م) .

❁ العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي الشافعي (ت1111هـ/1699م)

105. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) .

❁ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري (ت1089هـ/1679م)

106. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ، (دمشق – 1986م) .

❁ الفاسي ، تقي الدين محمد بن احمد الحسني المكي (ت832هـ/1428م)

107. الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد – 2001م) .

108. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) .

❁ الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت272أو 284هـ/885أو 897م)

109. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله دهيش ، ط2 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1994م).

❁ الفراهيدي ، الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الازدي البصري(ت175هـ/791م)

110. كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط2 ، دار ومكتبة الهلال ، (بغداد – 1985م) .

❁ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن أيوب (ت732هـ/1331م)

111. تقويم البلدان ، تحقيق : رينوه وماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس – 1840م) .

112. المختصر في اخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب وآخرون ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) .

❁ الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت207هـ/822م)

113. معاني القرآن ، تحقيق : احمد يوسف النجاتي وآخرون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة – د.ت) .

❁ ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين احمد بن يحيى ، (ت749هـ/1348م)

114. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : عبد الله بن يحيى السريجي ، المجمع الثقافي ، (أبو ظبي – 2003م) .

❁ ابن الفقيه الهمداني ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق (ت340هـ/951م)

115. البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، (بيروت– 1996م) .

❁ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت817هـ/1414م)

116. القاموس المحيط ، دار الفكر ، (بيروت – 1978م) .

❁ الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ/1368م)

117. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ط2 ، المكتبة العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت544هـ/1149م)

118. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، دار التراث ، (بيروت – د.ت) .

❁ القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي (ت356هـ/967م)

119. الامالي في لغة العرب، تحقيق : محمد عبد الجواد ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1978م) .

❁ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)

120. عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية ، (بيروت –1997م) .

121. غريب الحديث ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، (بغداد – 1976م) .

122. المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – د.ت) .

❁ القرطبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي (ت671هـ/1272م)

123. الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، ط4 ، عالم الكتب ، (الرياض – 2003م) .

❁ القزويني ، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ/1004م)

124. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، (بيروت – 1979م) .

❁ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)

125. آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) .

❁ قُطرب ، أبو علي بن المستنير بن احمد (ت206هـ/821م)

126. الأزمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : 1985م) .

❁ القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت821هـ/1418م)

127. صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ط2 ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة – 1914م) .

128. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط2 ، دار الكتب الإسلامية ، (القاهرة – 1980م) .

❁ ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)

129. البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (الرياض – 1997م) .

130. تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي محمد سلامة ، ط2 ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، (الرياض – 1999م) .

131. السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت –1976م) .

❁ الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري (ت634هـ/1237م)

132. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1999م) .

❁ ابن الكلبي ، أبو منذر هشام بن محمد السائب بن بشر (ت204هـ/819م)

133. الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، ط4 ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة –2000م) .

134. جمهرة النسب ، تحقيق : محمد فردوس العظم ، ط2 ، دار اليقظة العربية ، (دمشق – د.ت) .

❁ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/1058م)

135. الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الحديث ، (القاهرة – د.ت) .
136. أعلام النبوة ، دار مكتبة الهلال ، (بيروت – 1988م) .
137. النكت والعيون ، تحقيق : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ مجاهد ، أبو الحجاج بن جبير المكي القرشي المخزومي (ت104هـ/722م)
138. تفسير مجاهد ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، (القاهرة – 1989م) .

❁ المحب الطبري ، أبو العباس محب الدين احمد بن عبد الله بن محمد (ت694هـ/1295م)
139. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، مكتبة القدسي ، (القاهرة – 1937م) .

❁ المحلي ، جلال الدين محمد بن احمد (ت864هـ/1459م) والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)
140. تفسير الجلالين ، دار الحديث ، (القاهرة – د.ت) .

❁ المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت421هـ/1030م)
141. الأزمنة والأمكنة ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1996م) .

❁ المزي ، أبو الحجاج جمال الدين ابن الزكي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي (ت742هـ/1341م)
142. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – 1980م) .

❁ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)

143. التنبيه والأشراف ، تحقيق : عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، (القاهرة – د.ت) ، ص210 .

144. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، دار الفكر ، (بيروت – 1973م) .

❁ مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن بن بشير الازدي البلخي (ت250هـ/767م)

145. تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، (بيروت – 2002م) .

❁ المقدسي ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت322هـ/933م)

146. البدء والتاريخ ، تحقيق : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1997م) .

❁ المقدسي البشاري ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر (ت414هـ/1023م)

147. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط2 ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1903م) .

❁ المقريزي ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبدي (ت854هـ/1441م)

148. إمتاع الإسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1999م) .

149. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1998م) .

❁ المنجم ، إسحاق بن الحسين المنجم (465هـ/1072م)

150. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، تحقيق : فهمي سعد ، عالم الكتب ، (بيروت – 1988م) .

❁ ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري المصري (ت711هـ/1311م)

151. لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) .

❁ المهلبي ، الحسن بن احمد العزيزي(ت380هـ/990م)

152. المسالك والممالك (الكتاب العزيزي) ، تحقيق : تيسير خلف ، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، (القاهرة – 2006م) .

❁ الميداني ، أبو الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت518هـ/1124م)

153. مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، (بيروت – د.ت) .

❁ ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت481هـ/1088م)

154. سفرنامة ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط3 ، دار الكتاب الجديد ، (بيروت – 1983م) .

❁ النسفي ، أبو حفص نجم الدين عمر بن محمد بن احمد بن إسماعيل (ت537هـ/1142م)

155. طلبة الطلبة ، مكتبة المثنى ، (بغداد – 1893م) .

❁ أبو نعيم الأصبهاني ، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت430هـ/1038م)

156. معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر ، (الرياض – 1998م) .

❁ النووي ، ابو زكريا محي الدين بن شرف بن مري الدمشقي الشافعي (ت676هـ/1277م)

157. تحرير الفاظ التنبيه ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم ، (دمشق – 1987م) .

158. تهذيب الأسماء واللغات ، تحقيق : شركة العلماء بمساعدة إدارة المطبعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)

159. نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة – 1023م).

❁الهروي ، أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت370هـ/980م)

160. تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت – 2001م) .

❁الهروي ، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت611هـ/1214م)

161. الإشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، (القاهرة – 2002م) .

❁ابن هشام ، ابو محمد بن الملك بن هشام المعافري (ت213هـ/828م)

162. السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، (بيروت – 1975م) .

❁أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت395هـ/907م)

163. الأوائل ، تحقيق : محمد السيد والوكيل ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، (طنطا – 1987م) .

❁الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف(ت334هـ/945م)

164. صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، (ليدن – 1884م) .

❁الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الاسلمي المدني (ت207هـ/822م)

165. مغازي الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس ، ط3 ، دار الاعلمي ، (بيروت – 1989م) .

❁ ابن الوردي ، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر القرشي المعري الحلبي (ت852هـ/1448م)

166. خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، تحقيق : أنور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، (القاهرة – 2008م) .

❁ وكيع ، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت306هـ/926م)

167. أخبار القضاة ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، (القاهرة – 1947م) .

❁ ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ/1227م)

168. معجم البلدان ، دار الفكر (بيروت – 1960م) .

❁ اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت292هـ/904م)

169. البلدان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2001م) .

170. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) .

❁ ابن يونس ، ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يوسف الصدقي المصري (ت347هـ/958م)

171. تاريخ ابن يونس ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2000م) .

ثانياً . المراجع الحديثة :

❁ إبراهيم ، حقي إسماعيل

172. أسواق العرب التجارية في شبة الجزيرة العربية ، دار الفكر ، (عمان – 2002م) .

❁ الاعظمي ، عواد مجيد وحمدان عبد المجيد الكبيسي

173. دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد – 1988م) .

❁ الأفغاني ، سعيد

174. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط4 ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، (الكويت – 1996م) .

❁ الالوسي ، جمال الدين ابو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود البغدادي (ت1342هـ/1923م)

175. بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجت الاثري ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – د.ت) .

❁ البصام ، خلدون ،

176. علم المعادن في التراث العربي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1999م) .

❁ توفيق برو

177. تاريخ العرب القديم ، ط2 ، دار الفكر ، (دمشق – 1996م) .

❁ الجارم ، محمد نعمان

178. أديان العرب في الجاهلية ، مطبعة السعادة ، (القاهرة – 1923م) .

❁ جبران ، نعمان محمد وروضة سحيم آل ثاني

179. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، دار اليازوري ، (عمان – 2011م) .

❁ الجميلي ، خضير عباس

180. قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام ، المجمع العلمي العراقي ، (بغداد – 2002م) .

❁ جواد علي

181. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، (بغداد – 1993م) .

❁ حسن ، حسن إبراهيم

182. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط4 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1996م) .

❁ حسن ، علي إبراهيم

183. التاريخ الإسلامي العام ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – د.ت) .

❁ حمّور ، عرفان محمد

184. المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الاسلام ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، (بيروت – 2000م) .

❁ الخضراوي ، احمد بن محمد بن احمد بن مسعود المكي الشافعي (ت1327هـ/1909م)

185. العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ، مطبعة وادي النيل ، (القاهرة – 1872م) .

❁ رزق ، عاصم محمد ،

186. معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي (القاهرة – 2000م) .

❁ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد الدمشقي (ت1396هـ/1976م)

187. الأعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 2002م) .

❁ زيدان ، جرجي

188. العرب قبل الإسلام ، ط2 ، مطبعة الهلال ، (القاهرة – 1922م) .

❁ السقاف ، أبكار

189. الدين في شبه الجزيرة العربية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت – 2004م) .

❁ سقال ، ديزيرة

190. العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، (بيروت – 1995م).

❁ سلامة ، عواطف أديب

191. قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني ، دار المريخ للنشر ، (الرياض – 1994م) .

❁ سليم ، أحمد أمين

192. جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة – 1997م) .

❁ الشبكة الدولية للمعلومات

193. ويكيبيديا الموسوعة الحرة / مكة ، الأحد 2012/1/8م .

❁ شراب ، محمد محمد حسن

194. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، دار القلم ، (دمشق – 1990م) .

❁ الشريف ، احمد إبراهيم

195. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، (القاهرة – 1968م) .

196. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – د.ت) .

❁ الشعراوي ، محمد متولي (ت1419هـ/1998م)

197. تفسير الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، (القاهرة – د.ت) .

❁ الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني (ت1393هـ/1973م)

198. أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر ، (بيروت – 1995م) .

❁ الصباغ ، محمد بن احمد بن سالم المالكي المكي (ت1321هـ/1903م)

199. تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2004م) .

❁ صقر ، نادية حسين

200. الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، (جدة – 1981م) .

❁ ضيف ، شوقي

201. تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ط4 ، دار المعارف ، (القاهرة – 2003م) .

❁ العلي ، صالح احمد

202. تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، (بيروت – 2000م) .

203. المعالم العمرانية في مكة في القرنين الاول والثاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد – 1989م).

204. محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد – 1968م) .

❁ الغازي ، عبد الله المكي الحنفي (ت1365هـ/1945م)

205. إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام ، تحقيق : عبد الملك عبد الله الدهيش ، مكتبة الاسدي ، (مكة المكرمة – 2009م) .

❁ قلعجي ، محمد رواس وحامد صادق قنيبي

206. معجم لغة الفقهاء ، ط2 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت – 1988م) .

❁ القمني ، سيد محمود

207. الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية ، ط4 ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة – 1996م) .

❁ الكبيسي ، حمدان عبد المجيد

208. أسواق العرب التجارية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد – 1989م).

❁ كحالة ، عمر رضا

209. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) .

❁ الكردي ، محمد طاهر المكي (ت1400هـ/1979م)

210. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، مكتبة النهضة الحديثة ، (مكة المكرمة – 2000م) .

❁ مؤنس ، حسين

211. أطلس تاريخ الإسلام ، (القاهرة : مؤسسة الزهراء للإعلام العربي – 1987م) .

212. تاريخ قريش ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، (القاهرة – 2002م).

❁ المباركفوري ، صفي الرحمن

213. الرحيق المختوم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، (قطر – 2007م) .

❁ محمود ، محمود عرفة

214. العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (القاهرة – 1995م) .

❁ مصطفى ، شاكر

215. التاريخ العربي والمؤرخون ، ط3 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1983م) .

❁ الملاح ، هاشم يحيى

216. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 2008م) .

❁ مهران ، محمد بيومي

217. دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية – د.ت) .

❁ هيكل ، محمد حسنين

218. حياة محمد ، ط3 ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة – 1956م) .

❁ ولفنسون ، إسرائيل أبو ذئيب

219. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، (القاهرة – 1927م) .

ثالثاً . الكتب المترجمة :

❁بروكلمان ، كارل (ت1956م)

220. تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، (بيروت – 1968م) .

❁حتي ، فليب

221. تاريخ العرب ، ترجمة : محمد مبروك نافع ، ط2 ، دار الفكر ، (بيروت – 1953م) .

❁سيديو ، ل ، أ

222. تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار العالم العربي ، (القاهرة – 2009م) .

❁كستر ، م . ج

223. الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : يحيى الجبوري ، (بغداد – 1976م) .

❁وات ، ويليام منتجمري

224. محمد ﷺ في مكة ، ترجمة : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – 1994م) .

❁ول ديورانت ، وليام جميس (ت1402هـ/1981م)

225. قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب محمود وآخرون ، دار الجيل ، (بيروت – 1988م) .

رابعاً . الرسائل والاطاريح الجامعية :

❁ دخيل ، حسن كاظم

226. طريق الحج البري من الحيرة الى مكة قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2005م .

❁ الفياض ، عبد العزيز خليل محمد

227. السلم عند العرب قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2008م .

شكل (1)

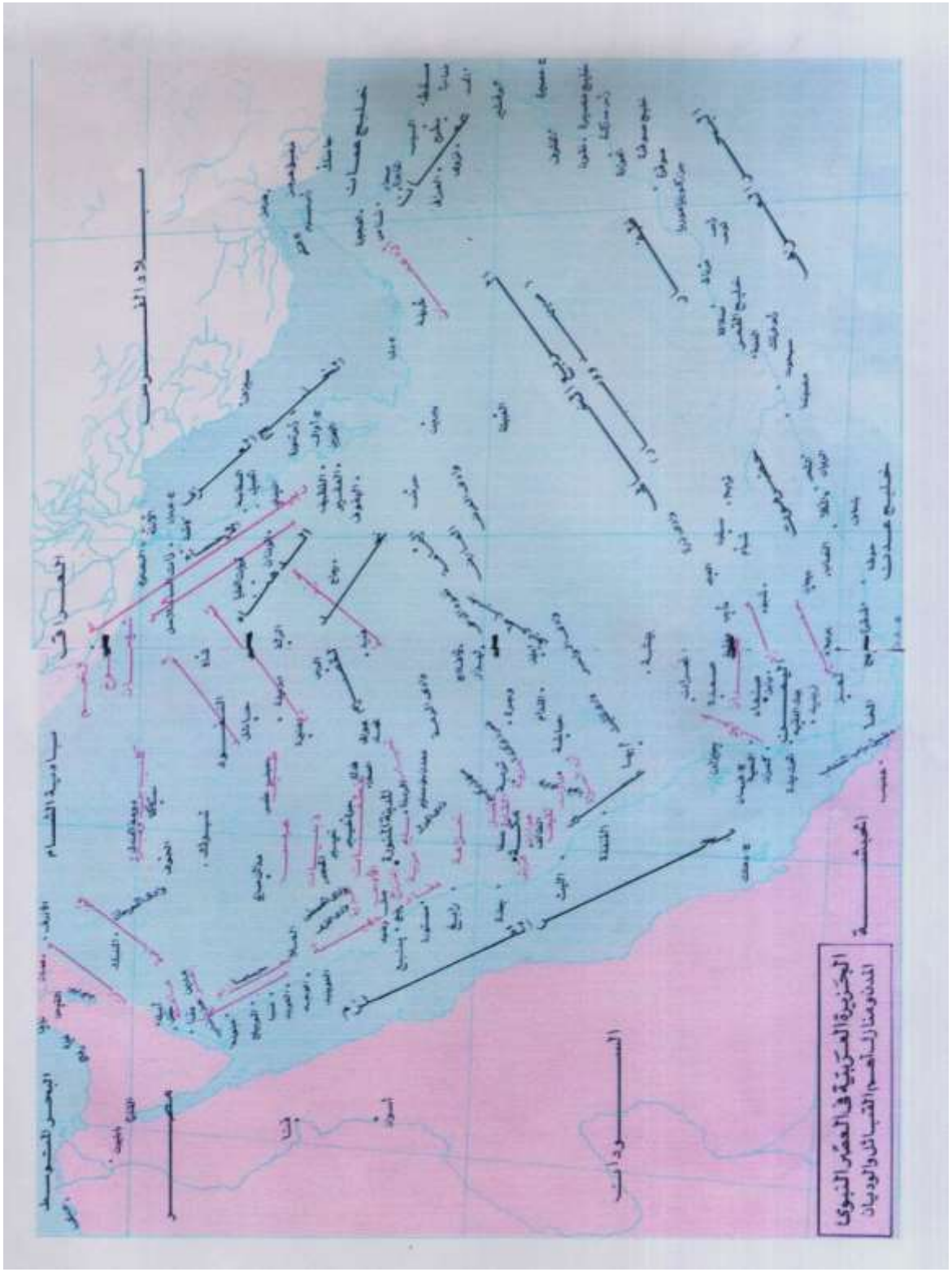

خارطة تمثل مدن شبه الجزيرة العربية واهم القبائل التي تقطنها

المصدر : مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، (القاهرة : مؤسسة الزهراء للإعلام العربي – 1987م) .

شكل (2)

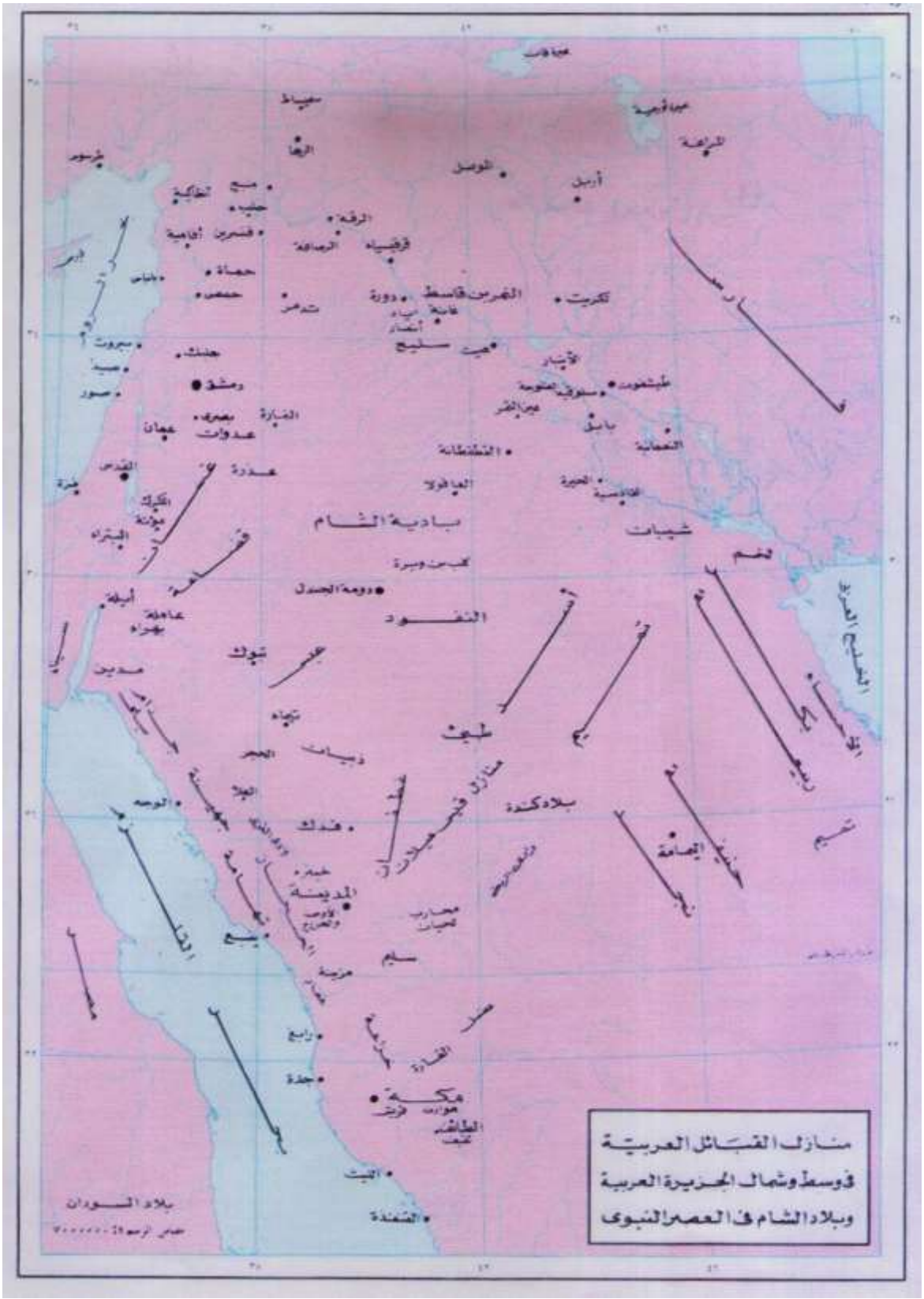

خارطة تمثل منازل القبائل العربية قبل الإسلام

المصدر : مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام .

شكل (3)

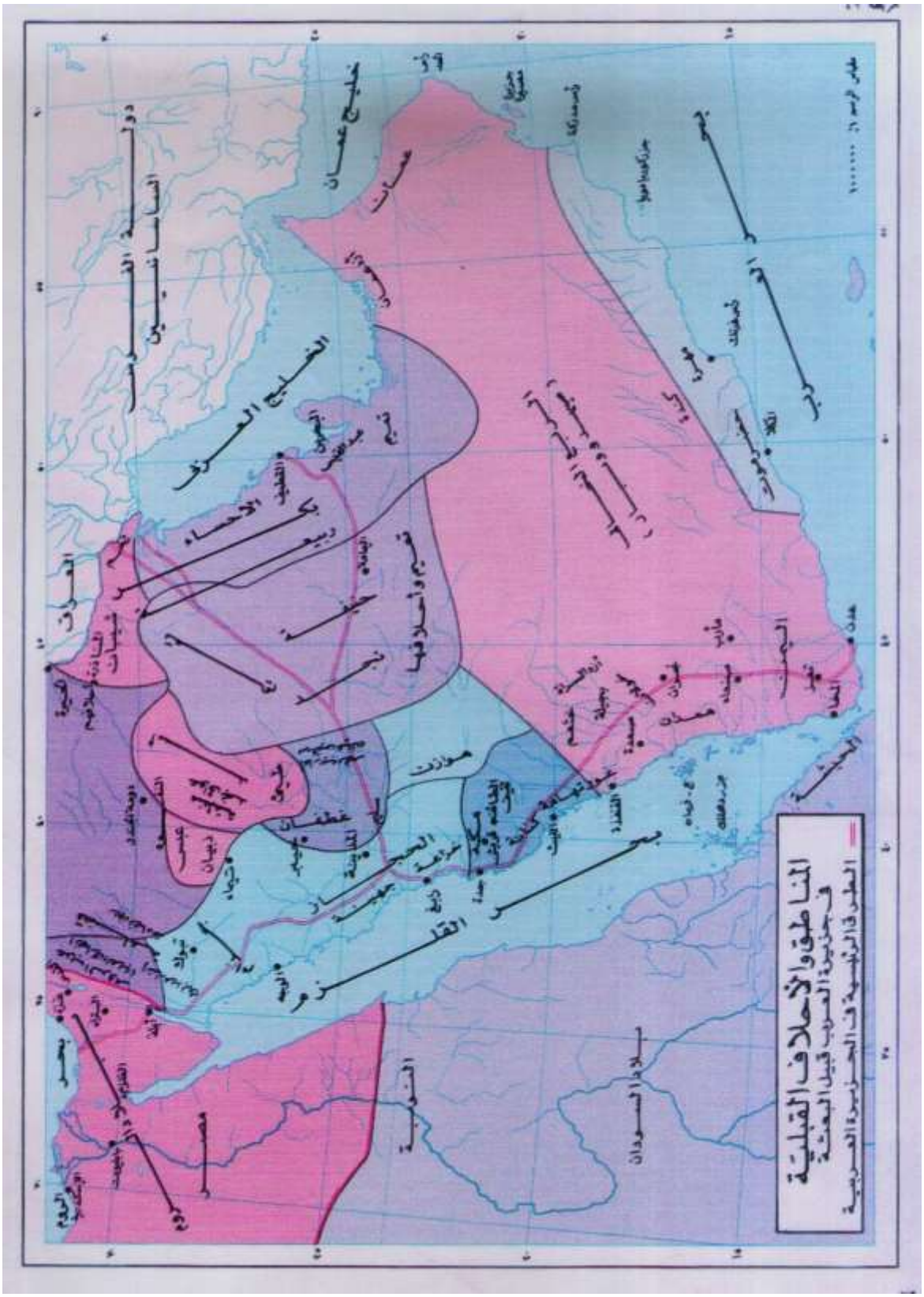

خارطة توضح مناطق الأحلاف القبلية

المصدر : مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام .

شكل (4)

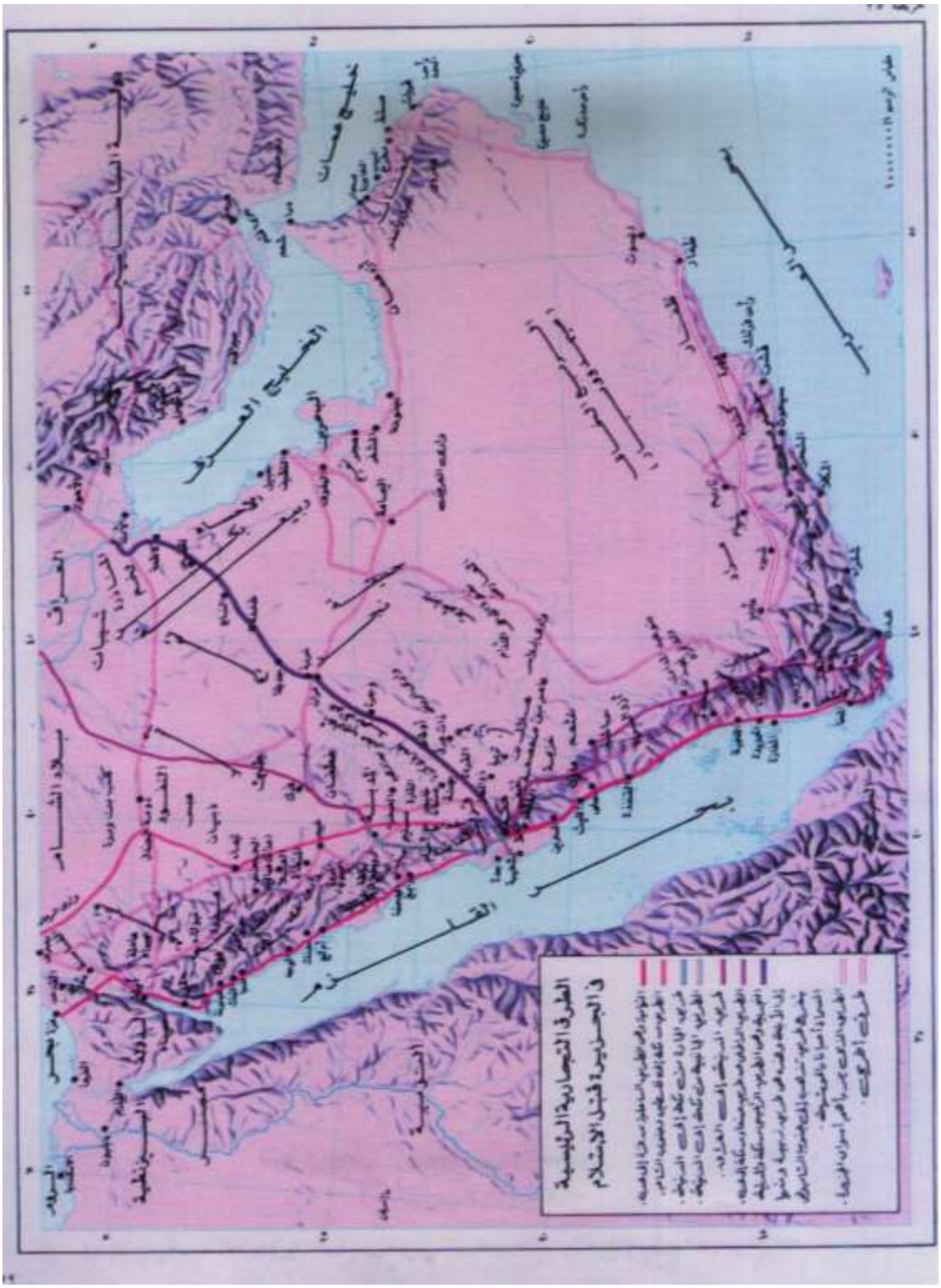

خارطة توضح الطرق التجارية الرئيسية

المصدر : مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام .

شكل (5)

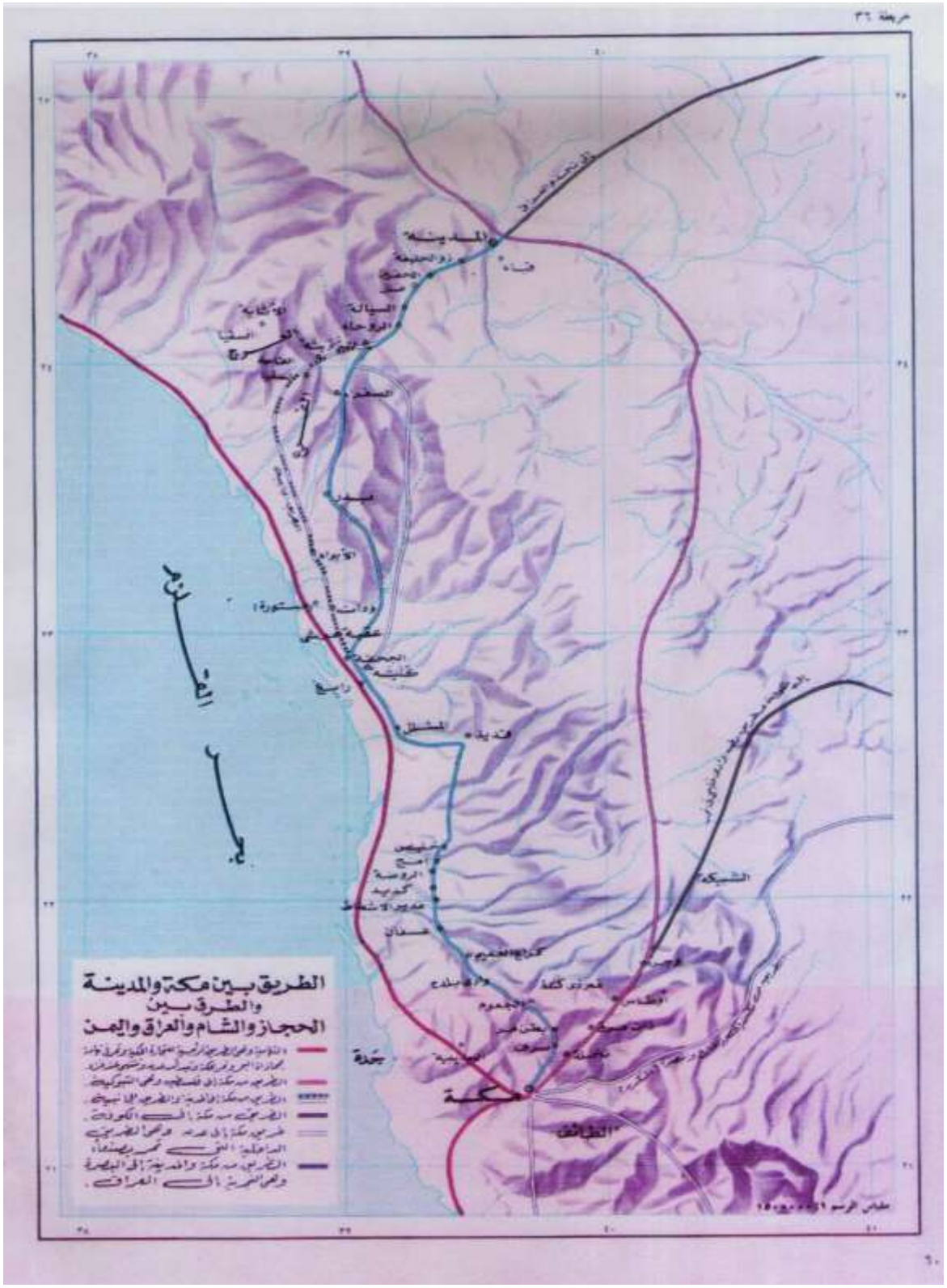

خارطة توضح الطريق التجاري

بين مكة والمدينة المنورة وبين الحجاز والشام والعراق واليمن

المصدر : مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام .

شكل (6)

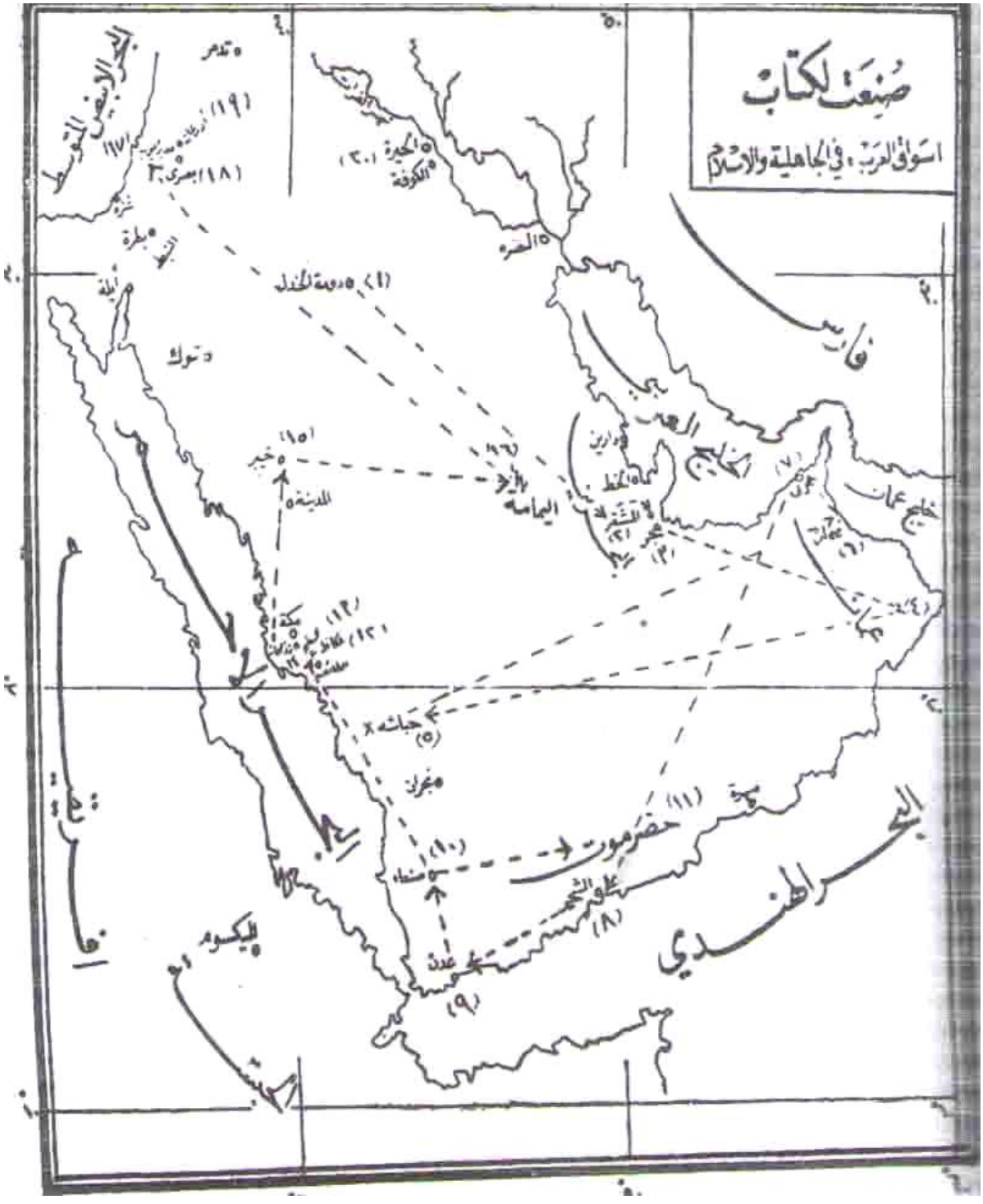

خارطة توضح توزيع

الأسواق والانتقال بينها ابتداءً من دومة الجندل

المصدر : الأفغاني ، أسواق العرب .

Abstract

The holy city was getting especial importance by Muslim writers in the past and recently, because it's location of Muslims hearts and all Arabs.

There is Kaba Temple which is (Allah's House) that gave it importance religiously which was the basis for the emergence of this city. spectator of economic status that people depend on agricultural economy , animal economy and commercial economy in semidesert , Arab tribes live in places which is to be found water and used it for camels and sheep , The Arab tribes would leave , these places when the water lessen . The Arab tribes fought with them to have better source of there was scattered agricultural oasis.

The population lives in it. There was activity agricultural commercial and industrial in these cities there were most commercial activities in The holy city because there were many of element from its location in valley without plant which Koran appear it.

Its location controlled on commercial path between Yaman and Shame countries, loaded caravans of spice, incense and perfume cross from it. The holy city link between south and north of Arab peninsula, Makah citizen took advantage of its religious location of Arabs hearts. They protected commercial caravans from assaults of Bedouin tribes which live near commercial, paths. They made

number of an agreement between them to economic benefits for holy city.

Masters of Mecca expanded commercial activity abroad Arab peninsula because of that the holy city got large economic importance from was expanded its relationship with territorial states in particularly, Bezants Empire, Saceany Empire and Habasha. Hashem bin Abed Manaf made number of agreement with Bezants Empire then their brother followed him in that. They made number of agreement with Saceany Empire and Habasha countries.

Mecca played important role in world commerce. This role was not produced by chonce but Qosi bin kleab made it on economic bases then their children we are studying historical events of Mecca from Qosi bin kleab got to ussume a position of responsibility to Mohammedan mission. We are studying economic positions which helped to build Mecca government.

The study appeared economic role and organized role which link with it. Kaba was organized and its religious ceremonies. Religion was used to be employed prosperous economy. In spite of important historical event in this time, but we searched about sources hardly and great diffulty, we found sources, they returned to Islamic era and Abasian era. This favela from historical event time which was studied whose had written , the historical event may by submission of political pressure , social pressure and mental pressure , also historical subject in this era contradict in what did write at late era .

Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
Diyala University
College of Education for Human Sciences
Department of History

Economic impact of restraint in the genesis of the Government of Mecca before Islam

A Dissertation Submitted By
(Ghassan Jabbar Abdullah Ahmed AL- Obaidi)
To
The board of the faculty of Education for College Human Sciences University of Diyala as a partial of the requirements of the master degree in Islamic History

Supervised by of Assistant Professor Dr.
Shakeer Mahmoud Ismail AL-Obaidi

2012 A.D *1433 A.H*